

تقديم

بقلم أنور السادسات

سكرتير عام المؤتمر الإسلامي

www.AL-MOSTAFA.COM

الحمد لله ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد .

أما بعد ، فقد طال التصدى للإذى ، بقصد البخل منها ، وبغير قصد ، واستبرأ الكثيرون من أحكامها ، يدعى بدعونها وبغدر دعوى . وهان على بعض الجهات أن تشكك فيما في العلم ، وحاربين هواه وهواه ، كثيرون ، حتى أصيح أمر الدين شيئاً وظنياً . وهذه ظاهرة من شأنها أن تشغل بال المؤثر الإسلامي ، وتبلغ من عناية واهتمامه مبتداً بعيداً .

حدث هذا بدمعي حرية الفكر ، وحرية البحث ، وما درى هواه جمهماً أن حرية الفكر والنظر تتطلب غزارة معرفة ، واسناع أفق ، وعمق بحث ، وسلامة منطق ، ووضع حجة ، وإنما قلب ، وأنصاف رأى ، واستقامة مذهب ، ونزاهة عن الهوى . ولما كان محل اتفاق أن الاستاذ عباس محمود العقاد مؤفّر الصحب من هنا كله ، كان طبعياً أن يتذكر إليه ، وكان طبعياً أن يرثي إلى هذا الإيجاد ، لما أخذ نفسه به من مؤازة الحق وتزيده ، ومقاؤة الباطل وتفنيده . وهذا كتابه «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» يحرجه المثير الإسلامي لكل معنى بالمناقشة ، راغباً في تمييز الحق من الباطل ، راجياً أن يقف على أصول الإسلام وبياناته ، ليتحقق به المؤثر عرضاً من أغراضه ، هو نسر الثقافة الدينية خالصة عما يشوبها من شبهات ، ويعاقب بها من ربب .

هذا ، والنية أن يترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية ، واللغات الآسيوية ، لعم

تفعه ، وليكون له الأثر المرجو.

والله سبحانه هو المستعان ، وهو علينا ، وهو نعم المولى ونعم الوكيل . ٠٠٠

فاتهـة

بسم الله ، وعلى هدى من الإيمان بالله .

و بعد فهذا كتاب عن فضائل الإسلام وأباطيل خصومه يتصانى التمهيد له أن نقدم بين يديه بكلمة موجزة عن فضل الدين كله أو فضل المقيدة الدينية في

إذلا محل الكلام على فضل دين من الأديان مالم يكن أمر الدين كله حقيقة مقدرة أو ضرورة واصحة ، ولا معنى كذلك لأن تصر الخطاب على المؤمنين المسلمين ولا يتسلل به المشككين والمترددين ، بل المكررين والمعطلين ، لأن المشكك والمعطل أولى بتوجيه هذا الخطاب من المؤمن الصدق ، وأفضل الدين على دين مالم يكن الدين كله فضل مطلوب تتفاوت فيه العقائد كما يتفاوت فيه من يعتقدون ومن لا يعتقدون .

أثوارالاسلامات

السكرتير العام للمؤتمر الإسلامي

تحرير في ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧ .

هل للدين حقيقة قائمة ؟
هل للدين ضرورة لازمة ؟
سؤالان مستثيران ، بل سؤال واحد في صورتين مختلفتين ، ولست أزعم أن الصفحات القليلة التي تقدم بها هذا الكتاب كافية للإجابة عن هذا السؤال الذي يحال عليه كل يوم بما يتسع بعد الجواب الواحد للألف جواب . ولكننا نزعم أن هذه الكلمة الموجزة كافية لوضعها القابور من هذا الكتاب ، لأنها تكتفى لهذا الموضوع إن ترك شكوك المترددين والمشككين مخصوصة الأثر منقوصية الأساس ، وتكتفى لوضعها إذا تركت من يشكك ويتزدد وقد أحسن الوهن في يواضع شكه وأسباب تزدهره ، ويبحث عن جانب المقيدة فيها فلم يجد له ، أو يبحث عنها فوجدها في الجانب الآخر أقرب إلى العقل والبراءة وأجرد بالإنجاه في وجهها إلى نهاية الطاف .

شبيه الشر

أما شبيهة الشر فهو من أقدم الشبهات التيواجهت عقل الإنسان منذ عرف التفرقة بين الخير والشر وعرف أنهما صفتان لا يتصف بهما كائن واحد . وربما كان تفرق الإنسان الهمجي بين شعائر السحر وبين شعائر العبادة مقدمة للدول الكثيرة التي عالج الإنسان البدائي أن يجعل بها هذه المشكلة العصبية . ثم ترقى الإنسان في معارج المعرفة والإدراك فاحدى إلى حل آخر وأوفى من هذا الحل المساجد وأقرب إلى المعقول . وذلك حيث أمن بلهمن الدين وسمى أحدهما باليه النزد وسمى الآخر باليه النلام وجعل النزد عنواناً لجميع المخارات والظلام عنواناً لجميع الشرور .

إن هذا الحل على ارتكائه وفاته بالقياس إلى المطلوب البدائي في عقائد القبائل الهمجية لن يرضي عقول المؤمنين بالتوحيد ولكن يحل لهم مشكلة الشر في الواقع ، لا يزال في عرفهم حتى اليوم خرباً من الكفر يتسبّب بوجود الجادين ووجب في رأينا ، قبل رأي غيرنا ، أن نستطيع الإلقاء ونترد في الجرم والتفضيل .

● ● ●

وبناءً على ذلك من البداية في هذه الناقلة ذوقوا إن أكبر الشبهات التي تتعرض عقول المشككين والمتذمرين شبيهان : هنا شبيه الشر في العالم وشبيه المرافة في كثير من العقائد الدينية . وخلال هذه شبيه الشر أنهم لا يستطيعون التوفيق بين وجود الشر في العالم وبين الإيمان به تدبر كامل في جميع الصنفات . وخلال هذه شبيهه المرافة في كثير من العقائد الدينية أنهم لا يستطيعون التوفيق بين العقائد وبين المحسوسات والمعقولات التي تتكتشف عنها معارف البشر كلما تقدموها في معارج الرقي والإدراك .

وخلال هذه الحل الذي يطلق عليه اسم حل التكافل بين أجزاء الوجود لأن المعتقدين به يرون أن الشر لا ينافض الخير في جزءه ولكنه جزء متسم له أو شرط لازم لتحققه . فلا معنى للشجاعة بغير الخطأ ولا معنى للكرم بغير الحاجة .

وأما الكمال المطلق الذي يتحقق كمتلاط مطلقاً مثله فهو تقىضيه أخرى من تقاضه فقط لا تستقيم كذلك في التغيير به استقامتها في التفكير. فإن الكمال المطلق صفة مقدرة لاتقبل المحدود وأول لها ولا آخر. وليس فيها محل ما هو كامل وهو أكمل منه، ومن اليديه أن يكون الخالق أكمل من الخلق ولا يمكن كالهما متساوين في جميع الصفات. ولا يخلو الخلق من تقىضه عنده الحال.

فإنها في الكمال المطلق مستجبل يتعذر على التصور ولا يحصل تصوره مشكلة من المشكلات. وإذ تقىض في العالم الخلق فهو حقيقى أن يتسع لهذا الشر الذى نشكوه وأن يقترب بالالم الذى يفرضه الحرمان على الخروجين، وبخاصية إذا نظرنا إلى الإجزاء المترفرفة التي لا بد أن يكون كل جزء منها قاصراً عن جميع الاجراء، وأن يكون كل شيء منها مخالفاً لما عداه من الأشياء.

فوجود الشر في العالم لا ينافي صفة الكمال الإلهي ولا صفة القدرة الإلهية. بل هو لا ريب أقرب إلى التصور من تلك الفسروض التي يستخلصها المتكلرون والمترددون لا يذهبون معها خطوة في طريق الفهم وراء الخيال العقيم. وقد يختلف مدلول القدرة الإلهية ومدلول النعمة الإلهية بعض الاختلاف في هذا الاعتبار. فمدلول القدرة الإلهية يستلزم - كما تقدم - حل هذا العالم الموجود، ولكن مدلول النعمة الإلهية يسمح لبعض المشائخ أن يحسبوا أن ترك المخلوقات وهذا نعده العدم أرجح بها من إخراجها إلى الوجود، ما دام الآلم في قضاء محظوم على جميع المخلوقات. ومهما يكن من شريع الشتاويم بين طائفتين من المتكلمين فليس تفسير النعمة الإلهية بترك المخلوقات في ساحة العدم تفسيراً أقرب إلى المقبول من تفسير هذه النعم الإلهية باغمام الله على مخلوقاته بتصييب من الوجود بيلغون به مبلغهم من الكمال المستطاع لكل مخلوق.

وليس الشر إذن مشكلة كونية ولا مشكلة عقلية إذا أردنا بالمشكلة أنها شئ، متناقض عصى على الفهم والإدراك ، ولكنه في حقيقته مشكلة الهرى الإنساني الذي يرضى الألم ويفسدى أن يكون شعوره بالسرور غالباً على طبائع الأمور . فإذا كانت في هذا الوجود حكمته التي تطبق كل حالة من حالاته فلابد من حكمة فيه تطابق طبيعية ذلك الشعور، ولا نعلم من حكمة تطابق طبيعية ذلك الشعور ، غير الدين ...

ولامعنى للصبر بغير الشدة، ولا معنى لفضيلة من الفضائل يغير تقيضه تقابلها وترجم عليها . وقد يطرد هذا الفعل في لذات المحسوسة : يطرد في فضائلنا النفسية وطالبتنا العقلية . إذ نحن لا نعرف لذة السبع بغير المجموع ، ولا يستمتع بالرى مالم نشعر قبله بهفة الطما ، ولا يطيب لنا منظر جميل مالم يكن من طبيعتنا أن يسوانا المنظر القبيح .

وهذا الحال - حل التكافل بين أجزاء الوجود - أوفي وأقرب إلى الاقتراح من جميع المخلوقات التي عوجلت بها هذه المشكلة على أيدي الحكماء أو على أيدي فقهائها الأديان ، ولكنها لا تقتضى المأثر المتردد عن سؤال لأبد له من جواب وهو : لماذا كان هذا التكافل لربما في طبيعة الوجود ؟ ولماذا يتوقف الشعور باللذة على الشعور بالالم أو يتوقف تطهير قيبة الفضيلة على وجود التغيبة وضرورة الاشتغال منها ؟ ليس الله يقاد على كل شيء ؟ ليس من الأشياء التي يتطور عليها أن يتساوى لديه خلق اللذة وخلق الألم ؟ ليس خلق اللذة أولى برحمة الإله الرسم من خلق الألم ؟ كيف كان موقعه من التكافل بينه وبين اللذات ؟

وعدنا أن المشكلة كلها بعد جميع ما عرضنا من حلولها إليها هي مشكلة الشعور الإنساني وليس في صسيمه بالشكلة الكونية .

و هنا نعود إلى الباب الذي نستفتح به مسالك هذه المشكلات ونسأل أنفسنا : إذا كان الإله الذي توجد الناقص واللام في خلقه إليها لا يليغ مرتبة الكمال المطلق فكيف يكون الإله الذي يبلغ هذه المرتبة في تصورنا و بما ترضيه عقولنا ؟

إيكوناتها قادرًا ثم لا يخلق عالماً من العالم على حالة من الحالات ؟ إيمون إليها قد يخل عالماً يمثله في جميع صفات الكمال .

هذا وذلك فرضيان مستحيلان أو بعيدان عن المقبول ، كل منهما أصعب فهما وأعسر تصوراً من عالماً الذي تذكر فيه التناقض واللام .

فاما الإله القدير الذي لا يخلق شيئاً فهو تقىضيه من تقاضن الفسق لا تستقيم في التغيير به استقامتها في التفكير ، فإذا معنى للقدرة مالم يكن معناها الافتدار على عمل من الأعمال :

لما أن يتساوى الناس تساواياً أليها في كشف حقائق الكون من أول عهد البشر بالتدبر إلى آخر عهدهم المقدور لهم من الحياة الأرضية - فإنها هو نكبة بهم إلى حالة لا فرق بينها وبين أحوال الجحود أو أحوال الآلات التي لا عمل فيها لاجتياز الروح ولا لتربيته الفضير .

ولما أن تتبدل العقائد في كل لحظة تتغير فيها مدركات العلوم ومدركات المعرفة على العموم فتدرك حالتنا تحاول أن تصوّرها في إطار إجماعات فلا ترى أنها قابلة للتصرور في جماعة واحدة تعيش من مسلمات إلى مسلمات مختلف منابع الدين ، أو المؤلف للستين ، اللهم إلا إذا تصوّرنا عقول هذه الجماعة وضاربناهم في صورة الصفحات التي تتقلب صفححة بعد صفححة حتى تدعى على قرتها وهي تربون تقلّبها أو لا تربون .

كل هذه الصور يترجّحها من يشاء ولا يكفي نفسه أن يتساءد مع صورة منها في التخيّل أو يعالج تطبيقها في الواقع فإذا استطاع ... وما هو يستطيع .
ويكاد نقول عن شرافة الدين بين جماعات البشر كما شرافة عالم الواقع أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ، لولا أنها ترى أن الرمان المتناول قد يكن في اليوم مالم يكن ممكناً بالأمس وقد يكن فيه غداً ما ليس يمكن في يومنا هذا ، ولأن في الأيام التي سافت . وقد يمكن فيه عند قيام العصر الواحد ما يتذرّ على آخرين في العصر نفسه ... إلا أنها تدين بقول النذلاني : «إنه ليس في الإمكان أبدع مما كان» إذًا نظرنا إلى تطور الدين نظرة تحيط بطاروه كلها في جسم الأزمنة وبين جميع الأقوام .

ويتبين أن ذكر أن التعبير الرمزي والعنيدة الإيمانية لازمات من لوانات الشعور والتغيّر التي يتساوى بها إيمان الدين وشغافه مالما تكن على الدين لا تنهض عنه ولا يتأتى لها أن تفهم طراوئه وخشافيه مالما تكن على استعداد لتفسير هذا التغيير وقبول ذلك الإيمان .
ولسنا نقبل التعبير الرمزي والعنيدة الإيمانية ترخصاً مع الدين وهذه يرخصة لأنّ تمسّكها مع سائر المدركات الحسية أو النفسية ، لأننا نعلم أن التعبير الرمزي والعنيدة الإيمانية لازمات من لوازن تكون في مدركات حسه ومدركات نفسه على اختلاف الأساليب ومعارض الإدراك .

إن الشعور الإنسان في هذه المشكلة المحلي يتطلب الدين . فهو ثمة مانع يمنعه من قبل العقل أو من قبل المعرفة التي يكتسبها من تقدمه في العلم والمحضرة ؟ هنا يستطرد بما الكلام على مشكلة الشر إلى الكلام على مشكلة الدين أو مشكلة الدين في جملته . وخلصتها كما قدمنا عند الترددين والمطبلين أن الأديان قد اخطلت قدماً بكثير من الخرافات وأن العقل يتعرّض عليه أحاجينا أن يوق في بين عقائد الدين وحقائق المعرفة العلمية .

شببهة الغرافة

و هنا تعود مرة أخرى إلى سؤالنا الذي افتتحنا به هذه الكلمة فسأل المترددين والمطبلين : إذا كان الدين على هذه الحالة التي وجد بها غير حسن في تقديمكم وكيف يكون الحسن ؟ وكيف تتصورونه ممكناً على نحو أقرب إلى العقل وأيسر في الإسكان ؟
وكأننا بهم يقتربون دينياً لا يرثون إليه إلا النخبة الخاتمة من كبار العقول الذين لا تسترب الحرافة إلى مداركهم في عصر من العصور ، كائناً ما كان مرقع ذلك العقل من درجات التقدّم والمحضرة .
هذا ، أو يقتربون دينياً يتساوى فيه كبار العقول وصغارهم تساواياً أليلاً عملي فيه لاجتياز الروح وتربية الضمير واستفادة المستفيد من كتاب الحرواث وتجارب الحياة .
هذا ، أو يقتربون دينياً يتبدل في كل فترة تبدل إلى كلما تبدل معارف الأم في مختلف الأزمنة أو مختلف البلدان .
ومهما نسترس في تصور المفترحات التي تخطر للمترددين والمطبلين فلا تنحال أنا منتهون إلى مقتراح بيروه ويراه غيرهم أقرب إلى التصور وأپسر من الدين في تاريخه المعهود ، فإنّ إطار الدين كما شرأت من أقدم عصورها إلى اليوم لازال أقرب إلى المعمول من كل مقتراح ذكرناه على مستتهم بين هذه الفروض .
فالحقيقة المحدّدة من كبار العقول لا تخرج إلى تعليم الدين كما تخرج إليه طرائق البشر من الجهلاء أو صغار العقول . وقد يتنزه أبناء النخبة المختارة عن الخرافات في أونتها محدودة ولكنهم لن يتشرّعوا عنها في كل أونتها مع السليم يتطور العلم وتتطور الإدراك الذي يستفيد من جملة العلوم .

فأى إدراك للإنسان أصلق عنده من إدراك العليان؟ وما هي حقيقة هذا الإدراك إن لم يكن في صميمه تغيير رمزي نفع له من الأسماء ما ليس بينه وبين الواقع مطابقة غير مطابقة الرمز للحقيقة التي ترمز إليها؟ فنحن نسمى الآلوان باسمائها ثم نرجع إلى حقائقها فلا نعلم لها حقيقة في الواقع إلا أنها ذبذبات كما يقال في أسلوب الأثير ، ولا نعلم لأثير من حقيقة في الواقع غير أنه كما يقال فرض يقول به لأننا لا زلنا نقول بفرض العدم أو بفرض الفضاء والملاء .

ومن أمثلة العقيدة الإيمانية التي نمسها في كل حي أو نمسها في كل مولود . إن الآباء والأمهات يحبون ذريتهم ولديهم بديلاً منها ، ولو كان البديل خيراً من تلك الذرية وأجمل منظراً وأفضل منحراً وأدعى إلى الغبطة والرجلاء . ولا ينبع لأنواع الأحياء إذا قامت الأبوة على عاطفة غير هذه العقيدة الإيمانية التي يرتبط بها قوام الحياة . ولا يختلف اثنان في وصف هذا الحنان الآبوي بالخلافة إذا أردنا أن مجرد الحياة من صواب العاطفة أو صواب العقيدة ولا تدين فيها بغير صواب المقول . فإذا وجب علينا أن نقبل التعبير الرمزي والعقيدة الإيمانية في مدركات الدين فنحن لا نترخص مع الدين وحده بهذه الرخصة الشائعة عندها نحن بنى الإنسان في جميع مدركتانا ، بل نحن نرسو بين رخصة الدين ورخصة الحس ورخصة العقل في هذه اللغة الحيووية التي ينطق بها كل حي مع احتساب الظروف والعبارات .

على أتنا لا نستigni بداعياً من العقل إذا متينا الدين بونصبة لا تساويها رخصة قط فيما تدركه الموس أو تدركه العقول . لأن مدركات الدين تشمل أصول الوجود وأسراها الحقيقة وتتططلع إلى يواطن الغريب كما تتططلع إلى ما وراء هذا العالم المحدود ، كلما ارتفعت بها أشواقها إلى سماء الكمال المطلق : كمال الحال المبدع لجميع هذه المخلوقات .

فإذا قيلنا من عقولنا وحواسنا أن تنفتح بالتغيير الرمزي والعقيدة الإيمانية في إدراك حلقة محدودة من هذه المخلوقات التي لا عداد لها فإن من الشيطان أن نسمى العقل إدراكاً للحقيقة المطلقة يخلو من الرموز ويتجدد من عنصر الإيمان .

ومن أول الواقع على أصلة الدين ، أنك تلمس هذه الأصلة عند المقابلة بين الجماعة المتدينة والجماعة التي لا دين لها أو لا تتعرض من الدين يكن . وكذلك تلمس هذه الأصلة عند المقابلة بين فرد يؤمّن بعقيدة من العقائد الشاملة وفروعه معتبراً مضروراً بشعوره بغير موجود يلزمه وغير رجاء يسمو إليه . فهذا الفارق بين الجماعتين ، وبين الفرد ، كالفارق بين شجرة راسخة

ومى تورت النفس على تسلیم هذه الشرائط الازمة لكل دین من الأديان فقد وجب على العارفين ان يضعوا بالتفوق بينها وبين مطالب الجماعة ومطالب الرعن وطالب السريرة في أعماقها، حيث تتصدى بعلم الغيب وعالم الشهادة صلاحتها

الى لاتقطع لعنة غير .

وظهر من سياق الكلام عن الدين في هذه الفائحة أنتا تعنى به التدين على إلaf ونرى أن ندل على أصالته في حياة الفرد وحياة الأمة، ومتى عرفنا للتدین أصلاته في كتاب الحياتين منذ الوف النبئي - فليس ما يتعي أن يكون بين البيانات التي أمن بها البشر قدّها وحدّها ديانة أفضل من ديانة وعقيدة أقرب من عقيدة إلى الكمال .

ولما تفضل الديانة سراها يقدّر شمولها لطلاب الروح وارتفاع عقائدنا وشمارتها في أفاق العقل والضمير، وكذلك كانت المدينة الإسلامية - كما أنها ملة - ملة لا تفضلها ملة في شمول حقائقها وخالص عبادتها وشعائرها من شوائب الملل الغاربة .

وذلك هو موضوع هذا الكتاب فيما يعرضه من حقائق الإسلام وفيما يعرض له من أباطيل المفترين عليه .

إن بعض العقادل يصعب النفر بما يشبه ذاء الفحاص ، لأنه يتسم الشخصية الإنسانية على نفسها ويترى الضمير المخازن بين نوازع الجسد وتوازع الروح وبين سلطان الأرض وسلطان السماء وبين فرائض لسمى وفرائض العبادة . وشمول العقيدة الإسلامية هو الذي يعص ضمير المسلمين من هذا الفحاص الروحاني وهو سباب الذكى النافع والغنى الحامل .

ومن شرائط الدين الازمة أن تدين به الأمة في العصر الواحد على تفاوت ايتها في المعرفة والسلجية والرأى والمشتبه . فلا يؤخذ على الدين إذن بحسب فيها الأجيال حقيقة بعد حقبة إلى أبد بعيد . فلا يؤخذ على الدين إذن بحسب هذه الأجيال حيث تأخرت كما يناسبها حيث تقدمت على مر الزمان تطور العلم والحضارة .

ومن شرائط الدين الازمة أن تدين به الأمة في العصر الواحد على تفاوت الدين يعلمه أن يرفع رأسه حين تدول دولته أيام المسيطر عليه ، وهو الذي يحفظ كيان الأمم الإسلامية أمام الضربات التي تلحقت عليها من غارات الفاشيين أو غارات المرتزق الصلبية أو غارات الاستعمار والشبيه .

الذى يعلمه أن يرجع الضمير فيما يجهله الإنسان - ولابد أن يجل - من شفون الغريب وأسرار الكون . لأنها الشئون والأسرار التي لا يحيط بها له المحدود ولا يحيطها له ظواهر الزمان والمكان . فلا يؤخذ على الدين إذن أن يتولى حبيب هذه الأسرار الابدية يسلوب الجاز والتسيّه أو يسلوب الرمز الذي تدركه بقوله البشّرة على مقدار حظها من المطنة والنفاذ إلى بواسط الأمور ونحوها . كما أمنت به الأمّ المسجية والمحسية والبرهمية في مصر وسوريا وفارس والهند والصين .

منيتها وشجرة مجنته من أصولها ، وقل أن ترى إنسانا معطل الفضير على شئ ، القوة والعظمية إلا أمكناً أن تخبيه أقوى من ذلك وأعظم إذا حللت العقيدة في حدانه محل التعطل والحرارة .

وبعد ، فنحن نختم هذه الفائحة كما بدأناها بالتبني إلى غرضنا من هذه المنشقة جبارة الشبهات المترددين والمطعنين على الدين في أساسه ، فنقول في خاتمتها

قالنا في مستهلها إننا لا نحسب أن مقاشه من المنشقات في هذا الموضوع الجلل من الخلاف وتحتم المطاف . ولكننا نعلم بعزم الإيمان عن مواطن الصعف من الشبهات وعلم أنها أصعب من أن تتخلص أصول العقيدة الدينية من الطبيعةنسانية ، وأنها تهافت تباعاً كلما استحضر الباحث في خالقه شرائط الدين مفولة التي تلازمه حتى في رأى الثمن بدين من الأديان وفي رأى المكر بجميع ديان على سواء .

فنحن شرائط الدين الازمة أن تدين به جماعة عتيد أجلها وراء أجالهاء وراء عيّاقب فيها الأجيال حقيقة بعد حقبة إلى أبد بعيد . فلا يؤخذ على الدين إذن بحسب هذه الأجيال حيث تأخرت كما يناسبها حيث تقدمت على مر الزمان

ولكن الناظر القريب قد يدرك شمول المعقيدة الإسلامية من مرافق أمواه المسلم في معيشته وعباداته ، ويكفي أن يرى المسلم مستقلًا بعباداته عن الهيكل والصنم والأوثقة والوثن لعلم أنه وحدة كاملة في دينه وعلم من ثم كل ما يرغبه في ذلك الدين أيام أن كان الدين كله حكم الملاكاهن ووقفا على المعبد وعالة على الشعائر والمراسم مدى الحياة .

لقد ظهر الإسلام في إيان دوله الكهانة والمراسم وواجه أنسا من الوثنين أو من أهل الكتاب الذين صارت بهم تقاليد الجمود إلى حالة كحالة الوثنية في تقطيع الصور والسمائيل والتموريل على المعبد والكافاهن في كل كبيرة أو صغيرة من شعائر العبادة . ولاح للناس في القرن السابع للميلاد خاصية أن (المتدين) قطعة من المعبد لا تم على افراطها ولا تخيب لها ديانة أو شفاعة يعزز عنه : فالذين كله في المعبد عند الكافاهن ، والمتدينون جميعا قطع متفرقة لاستقل يوما يقوم الحياة الروحية ولازال معيشتها الخاصة والعامة تثوب إلى المعبد استترود منه شيئاً تسم به عقidiتها ولاستغنى عنده مدى الحياة .

لأدين بعزل عن المعبد والكافاهن والأيقونة ، اسماء في العبادة الوثنية أو في عادة أهل الكتاب إلى ما بعد القرن السابع بتجاهل مطردلة .
فإنما ظهر المسلم في تلك الأوانة ظهر الشمول في عقidiته من نظره واحدة ظهر أنه وحدة كاملة في أمر دينه يصلى حيث شاء ولا تتوقف له نعمة على منشئته أحد من الكهان ، وهو مع الله في كل مكان ، فما ينتقا تولوا قائم وجه الله .
ويذهب المسلم إلى الحج فلا يذهب إليه ليتعتم من أحد يركه أو نعمه يصفيفها عليه ولكنه يذهب إليه كما يذهب الآلوف من إخوانه . ويشتهركون جمبيعا في شعائره على سنته المساوية ، بغير حاجة إلى الكهانة ، وقد يكون السلطان الحاكمين مجاوزين للكعبية خداما لها وله يسلونه حين يطلب منهم الدلاء . ويترکهم إن شاء فلا سبيل لأحد منهم عليه .
فإنما توسيع قليلا في العلم بشعائر الحج علم أن الحج لا يفرض عليه زيارة قبر الرسول ، وأن هذه الرسالة ليست من مناسك الدين ولأنها تحمية منه يريديها من عدهه غير ملزم ، كما يودي التجربة الكل دفين غير مجهوب لديه .
(هل إنسانا يشرّطكم يوم حرج إلى) .
[الكهف : ١٢] .

ولقد عرى انتشار الإسلام في صدر الدعوة الخمودية إلى قبة السيف ، وما كان للإسلام يومئذ من سيف يصول به على أعدائه الأقواء ، بل كان المسلمين هم ضحايا السيف وطراطه الغشم والجرروت . وإن عدد المسلمين اليوم بين أبناء الهند والصين وأندونيسية والقاراء الأفريقية ليبلغ تسعه عشرات المسلمين في العالم أجمع ، وما روى لنا التاريخ من أخبار الغزوارات الدينية في عامة هذه الأقطار ما يكفي لتحوليل الآلاف العددودة - فضلا عن مئات الملايين - من دين إلى دين .

ولقد عزى انتشار الإسلام بين السود من أبناء القراءة الأفريقية إلى سماح الإسلام ببعد الزوجات ، وما كان تعدد الزوجات بالأمر الميسور لكل من يشهيه من أولئك السود المقلبين على الدين الإسلامي بغرض مجهود . ولكنهم يجدون الحرمسيررة لهم حيث أرادوها وقد حرمها الإسلام أشد التحرير ... فلم يتصحرف عنهم السود لأنه قد حال بينهم وبين شهوة الشراب التي قبل أنها كانت شائعة بينهم شسوج الطعام والمذاء .

إنها هو شمول المعقيدة الإسلامية دون غيره هو العامل القروري الذي يجمع إليه الفروس ويحفظ لها قوته الإمامان ، ويستنقى عن السيف وعن الملا في بث الدعوه ، كلما تفتحت أبوابها أمام المدعون إليها بغير عائق من سلطان الحاكمين والسلطانين .

● ● ●

فإنما في باب المعقيدة الشاملة من كتابنا عن الإسلام في القرن العشرين :

لو يشير إلى الدهن أن الشمول الذي امتازت به المعقيدة الإسلامية صفة خفية عميقية لا تظهر للناظر من قريب ولابد لإظهارها من بحث عوين فى قواعد الدين وأسرار الكتاب وقرائض المعاملات ، فليست هي ما يراه الناظر الوثنى أو الناظر البليوى لأول وهلة قبل أن يطلع على حقائق الديانة ويتعمق في الاطلاع .
ومن المتفق أن إدراك الشمول من الوجهة العلمية لا يتائق غير الدراسة الواقعية ، المقارنة المستغلة في وجوه الاختلاف وجوه الاختلاف بين الديانات وبخاصه في شعائرها ومواسمها التي يبتلاقى عليها المؤمنون في بيئتهم الاجتماعية .

نعم كلهم فقراء إلى الله ، وكلهم لافضل لواحد منهم على سائرهم إلا بالعنوي ، وكلهم في المسجد سواء ، فإن لم يجدوا المسجد فمسجدهم كل مكان فوق الأرض وتحت السماء .

إن عقيدة المسلم شيء لا يترافق على غيره ولا تبقى منه بقية وزرءه ، ومن كان إماما له في مسجده فلن ترتفع به الإمامة تماما فوق مقام النبى صاحب الرسالة : النبى يشر ويندر ، ولا يسيطر ، ويبلغ قوله ما حمل عليهم ما

حملوا ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

ومنذ يسلم المسلم يصبح الإسلام شأنه الذى لا يعرف لأحد حقا فيه أعلم من حقه أو حسنة فيه أكبر من حصنه ، أو مكانا يأدى إليه ولا يكون الإسلام فى غيره . كذلك لا ينقسم المسلم قسمين بين الدنيا والآخرة ، أو بين الجسد والروح ، ولا يعاني هذا الفضام الذى يشق على النفس احتماله ويفجرها فى الواقع إلى طلب المقيدة ولا يكون هو فى ذاته عقيدة تنتقص بها من الحرية والانتقام .

﴿وابَّعْ فِيْسَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسِيْكَ مِنَ الدِّيَنِ﴾ [القصص: ٧٧]

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَلْبِنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]

فإذا كانت العقيدة التي تساعد المسافة بين الروح والجسد تعينا من العمل حين يشق علينا العمل - فالعقيدة التي توحد الإنسان و يجعله كلا مستقلأ بذاته شفاء له من ذلك الفضام الذى لا يستريح إليه السريرة إلا حين يضطر إلى الهرب من عمل الإنسان الكامل فى حياته ، وحافظ له إلى الحال من القهر كلما غلب على أمره ووقع فى قبضة سلطان غير سلطان ربه ودينه .

ومن هنا لم يذهب الإسلام مذهب التفرق بين ما لله وما لا يضر لأن الأمر فى الإسلام كله لله (بِاللهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) (١) (ولله المشرق والمغارب) (٢) (رب الشفق والمغارب وما يبيهها إن كنتم تعقلون) (٣) .

وقرأ فيه : (فَإِنْ أَعْصُرُوا فَمَا أُرْسَلَكُمْ عَلَيْهِ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكُمْ إِلَّا إِلْبَلَغُهُ) [الشورى: ٤٨]

وقرأ فيه : (فَلَمْ يُطِعُوا اللَّهَ وَأَطْعَمُوا الرَّسُولَ فَإِنَّا عَلَيْهِ مَا حُمِلَ) [الطور: ٥٤]

[ف: ٤٥]

[العاشرة: ٢٢]

وقرأ فيه : (لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسْطِرٍ) وقرأ فيه : (وَمَا أُرْسَلَكُ إِلَّا كَافِلٌ لِلنَّاسِ بَشِّرًا وَنَذِيرًا وَكَلَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [سيا: ٢٨]

وقرأ فيه أيات لاتخرج فى وصف الرسالة عن معنى هذه الآيات .

مر بنا أن فساد رجال الدين كان من أسباب انتصارهم عن دينهم ودخولهم أقوابا عقيدة المسلمين . مثل هذا لا يحصل فى أمة إسلامية فسد فيها رجال دينها ... فما من مسلم يذهب إلى الميدان ليقول لكاهنةه : خذ دينك إليك فلانتي لا أؤمن به ، لأننى لا أؤمن بك ، ولا أرى في سيرتك مصدقا لا وأمرك ونواهيك أو أموارك ونواهيه . كلا . ما من رجل دين يسلو للمسلم أنه صاحب الدين وأنه حين يؤمن بالله يؤمن به لأنه ذلك الدين توسيط بينه وبين الله أو يعطيه من تعمته قواما لروحه .

(١) والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطعير (٢) إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولهم سمعوا ما استجاها لكم ويرجمونه بغيرهم بغيركم ولا يبتئل مثل خضر (٣) يا أليها الناس أنت القراء إلى الله والله هو الغني الحميد (١٥)

له حياة وإن من شيء إلا يسيّح بمحده ولكن لا تفهمه تسبيحهم ^(١) وأشار

إلى هذه الآيات ، بصمير العقول ، وعلم منه المسلمون أن الله أقرب إليهم من حبل الوريد وأنه نور السموات والأرض وأنه (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء علیم ^(٢)) وحسب المرء أن يتعلم هذا من كتاب دينه لسيّح لنفسه من سبحات التصوف كل ما يستباح في عقائده الوحدية ، ولعله لم يوجد في أهل دين من الأديان طرق للتصوف تبلغ ما بلغته هذه العرق بين المسلمين من الكثرة والنفوذ ، ولا وجّه للمقاولة بين الإسلام وبين البرهمنية أو بين البوذية مثلاً في المعتقد الصوفي . فإن إيكار الجسد في البرهمنية أو البوذية يخرجهما من عداد المعقائد الشاملة التي يتقبلها الإنسان بحملته غير متنصل عن جسده أو عن دينه .

وسبب المرء أن يرضى مطالبه الروحية ولا يخالف عقائد دينه ليوصف ذلك الدين بالشمول ويتراكيه الصمير من دائرة الفحاص . كذلك يخاطب الإسلام العقل ولا يصرخ خطابه على الصمير أو الوجدان ، وفي حكمه أن النظر بالعقل هو طريق الصير إلى الحقيقة ، وأن التفكير بباب من أبواب الهدى التي يتحقق بها الإيمان :

﴿ قل إنما أعلمكم بواحدة أن تقووا الله مثني وفرادي ثم تفكروا﴾ [سيا : ٤٦] [القرآن : ١١٩]

وما كان الشمول في العقيدة اليدب فيها منها أبعد وأوسع من خطاب الإنسان روحًا وعقولًا وضميرًا بغرض يحس ولا إفراط في ملائكة من هذه الملائكة .

● ● ●

ياء العادة على عشرات الألوف .

وبنفي أن نفرق بين الاعتراف بحقوق الجسد وإنكار ح حقوق الروح ، فإن الاعتراف بحقوق للجسد لا يستلزم إنكار الروحانية ولا المقد من سباحتها التي اشتهرت باسم التصوف في اللغة العربية أو اشتهرت باسم «الخفيات والسريرات» في اللغة الغربية *Mysticism* .
إذا يوصف بالشمول دين يذكر الجسد كما لا يوصف بالشمول دين يذكر الروح ، وقد أشار القرآن الكريم إلى الفوارق بين عالم الظاهر وعالم الباطن في قصيدة الخضر وسمى عليهما السلام ، وذكر تسبيح الموجودات ما كانت له حياة دائمة ومالم تكن

ولما كانت الفرق بين ما لله وما لا يحصر تفرقه الفرودة التي لا يقبلها المقادير وهو قادر على تطوع فصر بأمر الله ... وهذا التطوع هو الذي أوجبه العقبة الشاملة وكان له الفضل في صدور الأم الإسلامي لسيطرة الاستعمار وإيانها الراسخ بأنها دولة دائلة وحاله لإبدلها من تحويل .

وقد أبى هذه العقبة على الرجل أن يعطي المساكم بجزء منه ويطبع الله بغيره ، وأثبت على المرأة أن تعطى بذاتها في الزواج لصاحبها وتتأى عنه بروجها وسريرتها ، وأبى الإنسان جملة أن يستريح إلى «الفضم الوجданى» ويحبسه حال لشكك الحكم والطاعة قبلاً للدلوام .

إن هذا الشأن العظيم - شأن العقبة الشاملة التي تجعل المسلم «وحدة كملة» - لا يتجلى واضحًا قويًا كما يتجلى من عمل الفرد في نشر العقيدة الإسلامية . فقد أسلم عثرات الملاين في الصحاري الأفريقية على يدي تاجر فرد أو صاحب طريقة منفرد في خلوته لا يتصمم بسلطان هيكيل ولا يرمي باسم كهانة . وتصنع هنا قدرة الفرد الواحد مالم تصنعه جموع الشبيه والسلطنة ، فجملة من أسلموها في البلاد التي انتصرت فيها جيوش الدول الإسلامية هم الأربعون أو خمسون مليونا بين المهاجر والصبيب وشواطئ» البحرين الأبيض والأحمر ، فثاما الذين أسلمو يالقدوة الفردية العمالقة فهم فوق المألئين من الملائكة ، أو هم كل من أسلم في الهند والصين وجزائر جاوة وصغارى أفريقية وشواطئها ، إلا القليل الذى لا يزيد في وكذلك *«بين الله لكم الآيات لكم تفكرون»* ^(٣)

١١: الإسراء : ٤٥
٢: الحديد : ٣
٣: العرش : ٤٥
٤: فاطر : ١١
٥: الدار : ٨١

تُعب كلها الحياة فما أَعْ

ومن عقائد دينه أيضاً .

وعلى هذا المثال يقال ثانية إن عقيدة القضاء والقدر تُنعت المسلمين ويقال ثالثة أن أخرى إنها ضرر لهم وأوكار لهم إلى التواكل والحمدود ، وصواب القول إنهم ضعفوا قبل أن يفسروا القضاء والقدر ذلك التفسير . وتلك خديعة الطبع الضعيف .

وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول لأنها تشمل الأم الإنسانية جمِيعاً كما

تشمل النفس الإنسانية بجعلها من عقل وورق وضوء .
فليس الإسلام دين أمّة واحدة ولا هو دين طبقة واحدة ، وليس هو للسادة
السلطان دون الصعفاء والخربين ولا هو للصعفاء والخربين دون السادة السلطانين ،
ولكنه رسالة تشمل بني الإنسان من كل جنس وملة وقبيلة :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَلَ النَّاسَ بِشَرِّهَا وَنَذِيرَاهُمْ﴾

﴿أَذْرَافٌ﴾
[سما : ٢٨]

﴿فَوْلَأُتَّمَا اللَّهُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهَا رِبِّهَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيُعَقُّبُ وَالْأَسَاطِيرُ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رِبِّهِمْ لَا يُنَزِّعُ بَيْنَ
أَهْدِهِمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿الْقُرْآنَ﴾
[القرآن : ٦٦]
[الآيات : ١٥٣]
[الآيات : ١٥٤]
[الآيات : ١٥٥]
[الآيات : ١٥٦]

فهذه عقيدة إنسانية شاملة لا تخص بعمر الله أمة من الأمّ لأنها من سلالة
مختراء دون سائر السلالات لفضلية غير فضيلة العمل والصلاح :
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذِكْرٍ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُورًا وَقَبْلَ لِعْنَارَقْرَفْرَانَ
أَكْرَمْنَا عَدَدَ الْأَنْقَامِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ﴾

[الجراثيم : ١٢]

﴾الرعد : ٢٣﴾

﴾هود : ٣٧﴾

﴾الشورى : ٢٠﴾

وليس في الإسلام أن الحقيقة موروثة في الإنسان قبل ولادته ، ولا أنه يحتاج
إلى التدرب عنها إلى كفارنة من غيره . وقد قبل إن الإيمان بالقضاء والقدر هو علىه
حمد المسلمين ، وقبل على تقبيل ذلك أنه كان حافظهم في صدر الإسلام على
بقاء الموت وقلة الملاحة بفارق الحياة ، وحقيقة الأمر أن المسلم الذي يترك العمل
حجبة الاكتاف على الله يخالف الله ورسوله لأنه مأمور بذلك بعمل في آيات الكتاب
أحاديث الرسول ﷺ وقل أعلموا أفسروني الله عَلَيْكُمْ ورَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) ... قبل
حقيقة الأمر أن خلاصة كله موقفه عليه . وأن إيمانه بحربيته وتدبره لا يقتضي
نهاية أن الله سبحانه مسلوب الحرية والتدبر .

وصدق ما يقال في عقيدة القضاء والقدر أنها قوة للقوى وعذر للمضعف وحافز
للاب عمل وتعلمه على يديه ولادقدر عليه ، وذلك ديدن الإنسان في كل ياعنة
في كل نعلمة كمما أوضحنا في الفارق بين أئمّي الطيب المتنبي وأئمّي العلاء الغوري
 بما يقولون بقول واحد في عبُث الجهد وعُبُث الحياة .

فابو الطيب يقول عن مراد النغوش .

ومراد النغوش أهون من أن

شم يخدل من ذلك باعثاً للجهاد والكفاح فيقول :

غُسرَ أنَّ الفَتَّى بِلَا فِي الْمَلَأِ
كَالْحَلَاتِ وَلَا يَلْقَى الْهُمَّا

وَالْمُعْرِى يَقُولُ إِنَّ التَّعْبَ لِأَنَّهُ لَا يُؤْدِي بَعْدَهُ إِلَى رَاحَةٍ فِي الْحَيَاةِ . وَلِكِنَّهُ
جَبَ مِنْ أَجْلِ هَذَا لِمَ يَعْبُرُونَ وَيَطْبَلُونَ الْمَرْدَ .

ومن ضعيف هو ضعيف إذا صبر على البلاء، فإذا عرف الصبر عليه فإنه

الأقوى من العصبية الأشداء.

الآن حنف الله عَدْكُمْ وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صارفة يعلوها
ماشيتن وان يكن منكم ألف يغير القبس ياذن الله والله مع الصابرين^٦

[الانتقال : ٢٧]

فما كان إلاه الذي يدعين به المسلم إلى ضعفه، أو إله أقواء، ولكنه إله من يعمل
ويصر ويستحق العول بفضل فيه، جرأوه أن يكون مع الله والله مع الصابرين.
 بهذه المقدمة الشاملة على المسلمين أقوية الأرض ثم صسلوا أغلبة الأقواء
عليهم يوم دلالت الدول وتبليات المقادير وذاق المسلمون يأس القوة مغلوبيين مدافعين.

وهذه العقيدة الشاملة هي التي أفردت الإسلام بمنتهى تعهد في دين آخر من
الأديان الكسايبة، فإن تاريخ التسحول إلى هذه الأديان لم يسجل لنا قط غلوا
إجماعاً إليها من دين كنائس أخرى يحضر الرضا والاقتتال، إذ كان المتحولون إلى
المسيحية أو إلى اليهودية قبلها في أول نشأتها أمراً وثنية على الفطرة لآتين بكتاب
ولم تعرف قبل ذلك عقيدة التوحيد أو الإله المطلق المحيط بكل شيء، ولم يحدث
قط في أيام ذات الحضارة الغربية أنها تركت عقيدتها لتسجول إلى دين
كتابي غير الإسلام، ولما تفرد الإسلام بهذه المزية دون سائر العقائد الكتابية،
فتحولت إليها الشعوب فيما بين النهرين وفي أرض الهلال الخصيب وفي مصر
ولذا ذكر القرآن الفضل فلا يذكره لأن الفضل نعمة أو قصيلة مختارة لذاتها،
نه يذكره ليقول للمفعي إنه أهل لمعونة الله إذا جاهد وصر وأافت أن يستحربه
بالمستكريين، والإ فيه من الجرميين.

[الرثى : ٩٥]

﴿هَل يَسْتَوِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿لَا يَسْتَرِي الْقَادُونُ مِنَ الْمُرْضِينَ غَيْرُ أُولَئِكُ الظَّرِيرُ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَالْهَمَّ وَالْفَسَدِ﴾

﴿السَّاعَةِ : ٩٥﴾

﴿النَّحْلُ : ٧١﴾

﴿وَاللَّهُ فَضَلَّ بِعِصْكُمْ عَلَى بَعْضِ فِي الرِّزْقِ﴾

وفي أحاديث النبي عليه السلام أنه «الفضل لعربي على عجمي ولا لقرشى
في جنسى إلا بالتفوى».

وليس للإسلام طريقة يؤثرها على طبقه أو منزلة يؤثرها على منزلة، فالناس
جات يتغافلون بالعلم ويتغافلون بالعمل ويتغافلون بالرزق ويتغافلون بالأخلاق.

﴿بُرْ قَعْدَةُ الْمُلْكِ أَمْوَالًا مَكْمُ وَالْمُلْكُ أُوتُوا الْعِلْمُ درجات﴾

﴿الْجَادَلَةُ : ١١﴾

﴿غَنِيَ الَّذِينَ اسْتَكْرِروا لَوْلَا أَتَمْ لَكُمْ مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَعْفَرُوا أَنْحَنِ صَدَنَاتِكُمْ عَنِ الْهَدِيِّ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلَكَمْ
مِنْ (٣٢)﴾

﴿وَرَبِّدَ أَنْ تَسْعَنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَعْمَلُوكُمْ أَنْهَمَهُ وَتَعْلَمُهُمْ
ثُنِّ (٣٣)﴾

﴿وَرَبِّدَ أَنْ تَسْعَنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَعْمَلُوكُمْ أَنْهَمَهُ وَتَعْلَمُهُمْ
ثُنِّ (٣٤)﴾

﴿وَرَبِّدَ أَنْ تَسْعَنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَعْمَلُوكُمْ أَنْهَمَهُ وَتَعْلَمُهُمْ
ثُنِّ (٣٥)﴾

﴿وَلِرَأْزَهُ الْمُرْتَبَةَ - مَرْتَبَةُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي أَعْمَاتَ أَصْحَابَهَا عَلَى الغَلْبِ
وَعَلَى الدَّافَعِ وَالصَّسْوَدِ - هُوَ الَّذِي نَسْعَنَ بِهِ عَلَى الْخَلْرِ فِي مَصْبَرِ الإِسْلَامِ بَعْدِ
رُونَ (٣٦)﴾

﴿الْفَصْنُ : ٦٠﴾

الفصل الأول

عذاتي الحالتين، ونزيد بهما حالة القوى الغالب وحالة القوى المغلوب التي لم يسلبه الفسق قوته الصمد وللأخيره إلى أن يحيى الحين وتبديل بين حالي الغالب والمترب حاليه التي يرجوها لغدوه المأمول ولكن كانت حالة الصمود حسني الحالتين في موقف الفسق مع شمول العقيدة وبنائها صالحة للنفس الإنسانية في جسماتها للعلم الإنساني في جملته، ليكتزن المصير في الغد المأمول أكرم ما يكون مع هذه المؤولة وهذا الشمول ».

في هذه المجالة عن شمول المقيدة الإسلامية كافية لقصدنا في هذا الكتاب الذي نود أن نستعرض فيه كل ما يستقصى عن حقوق الدين في حيز هذه

أما المزاجية التي امتازت بها عقائد الإسلام وأحكامه فنحن مفرون لها ما يلى من صور الكتاب الأربعية، وهي مبوبة بفصل عن العقائد وليه فصل عن المعرفة

فصل عن العاملات وفصل عن الأخلاق والأداب .

وجهتنا التي تتجه إليها في هذه البحوث : «ولا» أن الإسلام يوصى إلى المسلم مقيدة في الذات الإلهية ومقيدة في الهدایة التبوية وعقيدة في الإنسان لاتعلوها قيادة في البيانات ولا في الحكمة النظرية أو المحكمة العملية .

وإذنها أن أحكام الإسلام لا تقوى المسلمين عن غاية تقتضيها أسماء أشواط العلم الخفارة .

وثلاثًا أن في الإسلام زاد المأرم الإنسانية في طريق المستقيم الطريق يواليها

«غنى» لها حيث تضيّب الأزواد من وظايب العقائد الروحية أو تقاد .
وياسم الله تتجه في وجهتها ، وعلى هدى من الإيمان بالله ..



المفتوحة . ويرجح الأكثرون أن «أفالاطرون» نفسه لم يكن يتصور ما يتصوره من تلك الصنفات ، وإنما كانت غاياته التصوري أن يذهب بالتصور إلى منقطع العجز والأعجل .

فمن ذلك أنه يذكر صفة الوحدانية ليقول بصفة الأحادية ويقول أن الواحد غير الواحد لأن الواحد قد يدخل في عداد الاثنين والثلاثة والعاشرة ، ولا يمكن الواحد إلا مفردا يعبر تكرار .

ومن ذلك أنه يذكر صفة الوجود ليقول أن الله لا يوصف بأنه موجود تزكيها له عن الصفة التي يقابلها العدم وتشترك فيها الموجودات أو الموجبات .

لهمـا يتصـرون المـلـىـ بـأـسـطـوـنـ فـيـ تـزـيـهـ الإـلـهـ وـلـاـ يـصـرـونـ المـلـىـ بـأـقـلـاطـونـ لـأـنـ مـلـعـبـهـ يـنـتـطـلـعـ فـيـ صـوـمـعـةـ مـنـ غـيـرـيـةـ الـدـهـولـ لـأـعـرـجـ بـجـاهـ فـكـرـيـهـ وـلـاـ بـجـاهـ عـلـيـةـ .

وـلـهـ حـكـمـ الـأـدـيـانـ ،ـ لـأـنـ الـقـيـسـوـفـ الـنـظـرـ يـنـتـطـلـعـ فـيـ تـنـكـرـهـ وـتـقـدـيرـهـ غـيرـ مـقـيدـ .

بـفـرـاضـ الـعـبـادـهـ وـسـلـوـدـ الـعـمـلـاتـ الـتـيـ يـتـقـيـدـ بـهـ الـحـكـيمـ الـدـيـنـ وـتـقـيـدـ بـهـ مـنـ يـأـمـرـ لـهـ وـلـاـ إـرـادـهـ .ـ مـنـذـ كـانـ الـعـمـلـ طـلـبـاـ لـهـشـ ،ـ وـالـلـهـ غـنـىـ عـنـ كـلـ طـلـبـ ،ـ وـقـدـ

كـانـ الـإـرـادـهـ اـخـتـيـارـاـ بـيـنـ أـمـرـيـنـ وـالـلـهـ قـدـ اـجـتـمـعـ عـنـهـ الـاصـلـ الـأـفـضـلـ مـنـ كـمـ الـفـلـاحـ حـاجـةـ بـهـ إـلـىـ الـاخـتـيـارـ بـيـنـ صـالـحـ وـغـيرـ صـالـحـ وـلـاـ بـيـنـ فـاضـلـ وـمـعـصـلـ .ـ وـلـيـسـ عـاـيـاسـ بـإـلـهـ فـيـ رـأـيـ أـرـسـطـوـنـ أـنـ يـسـتـدـيـ الـعـمـلـ فـيـ زـمـانـ لـأـنـ إـلـهـ

عـنـيـةـ تعـيـهـ .

فـالـإـلـهـ الـكـامـلـ الـكـمالـ لـأـيـنـيـهـ أـنـ يـنـاطـ الـعـالـمـ أـوـ يـنـخلـقـ مـادـتـ الـأـوـلـىـ وـهـيـ (ـالـهـمـولـىـ) .ـ وـلـكـنـ هـلـهـ (ـالـهـمـولـىـ)ـ قـاـبـلـيـةـ الـلـوـجـوـدـ يـخـرـجـهـاـ مـنـ الـقـوـةـ إـلـىـ الـفـعـلـ

هـلـهـلـهـ .ـ

وـجـاءـ الـإـسـلـامـ مـنـ جـوـفـ الصـحـراـءـ الـعـرـبـيـةـ يـأـسـ عـقـيـدةـ فـيـ الـإـلـهـ الـواـحـدـ

الـأـحـدـ ،ـ صـحـحـتـ فـكـرـةـ الـلـامـفـةـ النـظـرـةـ كـمـاـ صـحـحـتـ فـكـرـةـ الـعـقـائـدـ الـدـيـنـيـةـ ،ـ فـكـانـ

تـصـحـيـحـهـ

لـكـلـ مـنـ هـاـتـيـنـ الـفـكـرـتـيـنـ

-ـ فـيـ جـانـبـ النـفـسـ مـنـهـاـ .ـ اـعـظـمـ الـعـجـزـاتـ الـتـيـ

أـتـيـتـ لـهـ فـيـ حـكـمـ الـعـقـلـ الـلـامـفـةـ

وـالـبـهـيـهـ الـصـادـقـةـ آـنـهـ وـسـىـ مـنـ عـنـ الدـهـ .

يـقـالـ عـلـىـ الـإـجـمـاعـ أـنـ صـفـاتـ الـإـلـهـ قـدـ اـرـتـعـتـ إـلـىـ ذـرـوـتـهـاـ الـعـلـيـاـ مـنـ التـزـيـهـ

ـ .

وـالـجـريـدـهـ فـيـ مـلـهـ (ـأـسـطـوـنـ)ـ الـفـلـيـسـوـفـ الـبـيـانـيـ الـكـبـيرـ .ـ

وـالـذـينـ بـرـوـنـ هـذـاـ الرـأـيـ لـاـ يـسـوـنـ مـدـهـ (ـأـفـلـاطـونـ)ـ إـمامـ الـفـلـسـفـةـ الـأـفـلـاطـونـيـةـ

ـ .ـ

الـمـدـيـنـهـ وـشـيـخـ الـفـلـسـفـهـ الصـرـوـفـهـ بـيـنـ الـغـرـبـيـنـ إـلـىـ الـعـصـرـ الـأـخـيـرـ .ـ غـيـرـ أـنـهـ

لـأـدـكـرـهـ فـيـ مـعـرـضـ الـكـلامـ عـلـىـ التـزـيـهـ فـيـ وـصـفـ اللـهـ لـأـنـ مـدـهـهـ أـفـرـبـ إـلـىـ

الـغـيـرـيـوـنـيـةـ الصـرـوـفـهـ مـنـهـ إـلـىـ السـفـكـيـرـ الـجـلـيـ وـالـمـلـعـقـ الـمـعـقـولـ ،ـ وـطـرـيـتـهـ فـيـ التـزـيـهـ أـنـ

يـعـنـ فـيـ الـرـيـادـهـ عـلـىـ كـلـ صـفـهـ يـوـصـفـ بـهـ اللـهـ فـلـاـ يـرـأـلـ يـتـخـطـلـهـاـ كـلـاـ

ـ .ـ

استـطـاعـ الـرـيـادـهـ الـلـامـفـةـ حـتـىـ تـنـقـطـ الصـلـهـ بـيـنـهاـ وـبـيـنـ جـمـيعـ الـمـلـلـاتـ الـمـهـوـرـهـ اوـ

المقدمة للهبة



لأنه في حق الإله، وإذا خلق الله شيئاً في الزمان فلا ينظر إلى الأبدية الإلهية

بل ينبع أن تنظر إلى الشيء الموجود على المخلوق في زمانه ثم لا يائع عقلاً من أن

يكون هو العدم المطلق على حد سواء.

أو كمال مطلق يوشك أن يكون هو العدم المطلق على حد سواء.

ولذكر أنه أرسطرو صاحب هذا المذهب قبل كل شيء .
لقد كان مفهوم البساطة في الأبدية الباقية عند أرسطرو غير مفهومها الذي لمسه
اليوم لسما في هذه الكائنات الأرضية - المثلية - فلا جرم يكون مفهومهم الكمال
المطلق عندها غير مفهومه الذي جعله أرسطرو أثبه شيء « بالعدم المطلق غير عامل ولا
مريد ولا عالم بسوى العمدة والسعادة ... قاتل بأنه منعم سعيد .

● ● ●

قط لا ينعد قصارى مداره ولا يستوفى مقتضياته وموانعه جهد ما في الطاقة

وعلى هذا يبقى لنا أن نسأل : هل استطاع أرسطرو بتجربته الفلسفى أن يسمو
بالكمال أعلى فوق مرتبته التي يستلمها المسلم من عقيدة دينه ؟

نقول عن يقين : كلا ، فإن الله في الإسلام أصل له ولا آخر ، وله
المثال الأعلى ، فليس كمثله شيء ، وهو مجسط بكل شيء .
ثم يبقى بعد ذلك أن نسأل : هل تعكس العقيدة الدينية من المكرة الفلسفية
في مذهب التنزيه ؟

والجواب كلا : بل الدين هنا فلسفة أنسح من الفلسفه إذا قرئت بالقياس
الفلسفى الصحيح . لأن صفات الإله التي تعددت في عقيدة الإسلام لا تعدل أن
تكون نفسها للنفاق الفاسد التي لا ينور في حق الإله . وليس تعدد النقادين بما يقضى
بتعدد الكمال المطلق الذي يتفرد ولا يتعدد . فإن الكمال المطلق واحد والنقادين
كثيره ينفعها ذلك الكمال الواحد . وما يإن المسلم بأن الله عليم قادر فعال
لابد كريم رحيم ، إلا يائنا بأنه جل وعلا قد تزره عن تقاضص الجهل والعجز .

وأجل واجبه لذاك الخطأ فى فهم لوازم البساطة والكمال ، ولوازم البقاء والفناء ،
كان خليعاً أن يهدىء إلى فهم خطأه فى تصور الكمال الإلهي ، فلا يتعنت فى عقله
ويختلق ويريد لخلق ما يشاء ومتى يرضى عمله وخلقه أن يتبرأ عن تلك « العزلة
السعيدة » التي توهمها أرسطرو مخططاً فى التجريد والتبرير . فهو سعيد بنعمه كماله
الإله فى الإسلام ، ومنها الرحمة والكرم والقدرة وال فعل والرادة ، ولا يتعنت فى عقله
أذ يكون لهذه الصفات لوازمهها ومتى يرضىها ، إذ لا تكون قدرة بغير مقدار عليه ، ولا
يكون كرم بغير إعطاء ، ولا تكون مشيئة بغير اختيار بين أمرين ، وإذا اختار الله أمرًا
الإله بدل أول ولا آخر ولا شريك ولا مثل .

لذكر أنه أرسطرو لكي نذكر أن هذا العقل النادر لم يؤت من نفس في تصور
الصفات العلوية لأنه عاش في زمان لم تكشف فيه المعرفة من خصائص هذه
الكائنات الأرضية « السفل » التي تحسها وتعيش بينها . ولو أنه عرف ما هو لاصق
بها من خصائصها وأعراضها لكان له رأى في الكمال العلوي غير ذلك الذي ارتراه
بعض الفتن والقياس على غير دين .
الإنسانية من استياء .

لقد كان يفهم من كمال الكائنات العلوية - السماوية - أنها خالدة باقية لانتفى
لأنها من نور والنور بسيط لا يعرض له الفناء كما يعرض على التركيب .
ولأنه أرسطرو عاش حتى علم أن المادة الأرضية - السفل - كلها من نور ، وأن
عناصر المادة كلها تتول إلى الذرات والكمارب ، وأن هذه الذرات والكمارب تتشق
فروع إلى شعاع - لمسافة الفطن والقياس إلى ذلك الخطأ فى التفرقة بين لوازم البقاء
ولوازم الفناء ، أو بين خصائص البساطة وخصائص التركيب .

وعل إدراكه لذاك الخطأ فى فهم لوازم البساطة والكمال ، ولوازم البقاء والفناء ،
كان خليعاً أن يهدىء إلى فهم خطأه فى تصور الكمال الإلهي ، فلا يتعنت فى عقله
عطله أن يجتمع الكمال الواحد من صفات عدة كالصفات الحسنى التي وصف بها
الإله فى الإسلام ، ومنها الرحمة والكرم والقدرة وال فعل والرادة ، ولا يتعنت فى عقله
أذ يكون لهذه الصفات لوازمهها ومتى يرضىها ، إذ لا تكون قدرة بغير مقدار عليه ، ولا
يكون كرم بغير إعطاء ، ولا تكون مشيئة بغير اختيار بين أمرين ، وإذا اختار الله أمرًا
 فهو لا يختاره لذاته سيعانه وتعالى يل يختاره لخواصه التي تحيز عليه حالات شئ

«ومن صفات الله في الإسلام ما يعسر ردا على فكرة الله في الفلسفة الأرسطية كما يعترضها على أصحاب التأويل في الأديان الكتبية وغير الكتابية . فالله عند أسطر يعقل ذاته ولا يعقل ما دونها ، ويتنزه عن الإرادة لأن الإرادة طلب في رأيه والله كمال لا يطلب شيئاً غير ذاته ، ويجل عن علم الكليات والجزئيات لأن الله يحبها من علم العقول البشرية ، ولا يعني بالخلق رحمة ولا قسوة . لأن الخلق أحرى أن يطلب الكمال بالسعى إليه . ولكن الله في الإسلام عالم الغيب والشهادة .

﴿لَا يَحِبُّ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾
﴿وَهُوَ بِكُلِّ حَلْقٍ عَلِمٌ﴾
﴿وَمَا كَانَ عَنِ الْخَلْقِ غَافِلٌ﴾
﴿وَرَسَّ رِبَّا كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهَا﴾
﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَالْأَمْرُ﴾
﴿عِلْمُ بَدَاتِ الصَّدُورِ﴾
﴿وَقَالَ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مُغْنِيَةٌ عَلِتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعُوا بِمَا قَالُوا بِلَيْدَاهُ مَسْوُطَانٌ﴾
[سبا : ٣٢]

[يس : ٦٧] ومن ثم كان فكر الإنسان من وسائل الوصول إلى معرفة الله في الإسلام ، وإن كانت الهدایة كلها من الله .
[المؤمنون : ١٧] ومجمل ما يقال عن عقيدة النذات الإلهية التي جاء بها الإسلام أن النذات الإلهية غاية ما يتصوره العقل البشري من الكمال في أشرف الصفات ... وقد جاء الإسلام بالقول الفصل في مسألة البقاء والفناء . فالعقل لا يتصور للوجود الدائم والوجود الفاني صورة أقرب إلى المفهم من صوريتهما في العقيدة الإسلامية لأن العقل لا يتصور وجودين متخلقين ، أحدهما مجرد والأخر ماد ، وهذا وذلك ليس لهما ابتداء وليس لهما انتهاء .
[الإندى : ٦] ولكنه يتصور وجوداً أبداً يتحقق وجوداً زمانياً ، أو يتصور وجوداً يدوم وجوداً ينتهي وينتهي في الزمان .
[الأعراف : ٤٩] وقد قال أفالاطن - وأصحاب فهما قال - : «إن الزمان محاكاة للأبد ... لا بد من مختلف والأبد غير مختلف ».
[فاطر : ٢٨] وفي هذه الآية رد على يهود العرب بمناسبة حكاية تتعلق بالرثابة والصدقات كما جاء في أقوال بعض المفسرين ، ولكنها ترد على كل من يخلون إزادة الله على وجهه من الوجه ، ولا يبعد أن يكون في بهذه الحزينة من يشير إلى رواية من روايات الفلسفة الأرسطية للذلك المقال .
[الأنبياء : ١٢] وقد أشار القرآن الكريم إلى الخلاف بين الأديان الشديدة فجاء فيه من سورة الحج : «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالشَّهَادِيِّينَ وَالصَّحْوَنِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَا يَحُوزُ فِي الْخَلْقِ السُّرْدِيِّ حِرْكَةً وَلَا اسْتِقْرَارٌ .
[الفرقان : ٦٥] فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَنْصُلُ بِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج : ١٧]

وأشار إلى الدهريين فجاء في سورة الأنعام ...
﴿هُوَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حِلَاثًا الَّذِي نَمُوتُ وَنَحْنُ وَمَا يَهْكُنَا إِلَّا دَهْرٌ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾
[الملائكة : ١٢]

هـ وـ قالوا ما هي إلا حِلَاثاً الَّذِي نَمُوتُ وَنَحْنُ وَمَا يَهْكُنَا إِلَّا دَهْرٌ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾
[الملائكة : ١٢]

هـ وـ قالوا ما هي إلا حِلَاثاً الَّذِي نَمُوتُ وَنَحْنُ وَمَا يَهْكُنَا إِلَّا دَهْرٌ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾
[الملائكة : ١٢]

هـ وـ قالوا ما هي إلا حِلَاثاً الَّذِي نَمُوتُ وَنَحْنُ وَمَا يَهْكُنَا إِلَّا دَهْرٌ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾
[الملائكة : ١٢]

الفيلسوف قد اجتهد قصارى اجتهاده فى تزويه زيوس وتصوирه للناس فى صورة من

القداسة والعظمة تاسب صورة الإله المعرود بعد ارتقاء العبادة شيئاً ما في ديانة اليونان الأقدمين.

وما رواه الرواة المخالفون عن زيوس أنه كان يخادع زوجته «هرة» ويرسل إليه الغمام لدارة الشمس فى مطاعمها حذراً من هبوب زوجته الغيرى عليه مع مطلع النهار ومخاجاته بين عشيقاته على عرش «الأوليبس». وحدث مرة أنها فاجأته وهو يقبل إلى السماء... فلم يتصل «زيوس» من تهمة العuf بسابقه ومهره يسوع مسلكه لزوجته بما جعله من لدة الجموع بين روحى الكناس وروحى الشفاه.

ومن ثم القدادعة كمثال البيزان فى بعد الدارق بين صورة الإله فى حكمه

ال فلاستة وبين صورته فى شعائر الكهان والمعبددين.

فالاهندة القدادعة كانت تطوى حباكلها ومعابدها على طوائف من الآرانب منها يلحق بالحيوان وعناصر الطبيعة ومنها ما يلحق بالأوثان والأنصاب ، وكثير منها يخطب سلطنته أن يتقريراً بالبغاء المقدس ومسنات الدماء .
وقد انتهت هذه الآرانب المعددة إلى الثالوث الأبدى الذى استهل على ثلاث

[المؤمنون : ٨٠]
[القصص : ٢٢٨]
[وهو الذي يحيى ويميت]
« وكل شيء هالك إلا وجهه » (١)
ولما كان المترى الذى ارتضى إليه تزويه الفكرة الإلهية فى مذهب أرسطو كما شرحاها بعض الشرح أو مذهب أستاذة أفلاطون كما أودنا إليه بعض الإياء - فهذا التزويه الفلسفى فدمة منتبة عن البيعة التي عاش فيها «الفيلسوفان» ويكاد هذا التزويه الفلسفى أن يكون خ بلا جامحا بالنسبة إلى العقادى الإلهية التى كانت ناشية بين الكهان والمعبددين من أبناء اليونان .

فلاشك أن صورة «زيوس» رب الآرانب عدهم كانت أقرب إلى صورة الشيطان منها إلى صورة الآرانب التزهير ولهم يبلغ وصف التزويه عدتهم تنصيا ملحوظاً من

الكمال .

كان «زيوس» حقدوا المودا مستعملاً بشهوات الطعام والغرام لا يialisى من شهون

الآرانب والخلوقات إلا ما يعنيه على حفظ سلطانه والتمادي فى طغيانه ، وكان يغضب على «المسئولاً» إله الطب لانه يداوى المرضى فيحرمه جبارية الضريبة على أرواح الموتى الذين يستغلون من ظهر الأرض إلى باطن الهاوية ، وكان يغضب على ببروصهوس «إله المعرفة والصناعة» لأنه يعلم الإنسان أن يستخدم التاريفى الذى لم يتعذر من المعرفة قوله تصراع قورة الآرانب والإله «افتثنو» فى صورة الحافظ والإله «سيفينا» فى صورة الهادام ... فجعلوا الهادم والفساد من عمل الإله حتى إذا جن الليل عادت سليمه فى بدنه لتعود الجوارح إلى تهشها بعد مطلع الشمس ... ولا يزال هكذا دوليك فى العذاب الدائم مردود الشفاعة سرفوش الدعا ، وما رواه الشاعر الفيلسوف «هزيد» عن علم غضب الإله على «بروصهوس» أنه قسم له تصيبه من الطعام فى وليمة الآرانب فاكتفى من العظام وأقل فيه من اللحوم والشحوم ، فاعتذر «زيوس» أنه يتعلم عليه بعرفته والآرواح الخبيثة المعهودة فى أقدم البيانات . فإذا ارتفعوا فى معارج التزير والتجريد وغطته لأنه اشتهر بين الآلهة بمعرفة وأفرة وفضلة نافذة لم يستشهد بها الإله الكبير . ولا يغيب عننا وتحسن تزوتها العليا فى صورتين مختلفتين أحداهما صورة «الكاراما» بلغنا منها ذروتها العليا فى صورتين مختلفتين أحداهما صورة «NIRVANA» وكلاهما تحسب من قبيل المعانى المذهبية

هذه الشواهد من التاريخ القديم شوأهـد تـشـيل لا شـواهـد حـصـر وـتفـصـيل ، وهـي مـعـنيـة فـي الدـلـالـات عـلـى الـمـلـدـى الـذـى وـصـل إـلـى تـنـزـيه الـفـكـرـة الـإـلهـيـة فـي أـمـ الـتـارـيخ الـقـدـيم جـمـيعـها ، لـأـنـها تـدـل عـلـى مـا وـصـلـت إـلـى الـفـكـرـة الـإـلهـيـة الـمـزـهـة فـي أـرـفع الـمـخـازـات الـأـولـى وـهـي الـمـخـازـة الـمـصـرـيـة وـالـمـخـازـة الـهـيـدـيـة وـالـمـخـازـة الـبـيـانـيـة . وـجـمـلة الـمـلـاحـظـات عـلـى تـنـزـيه الـفـكـرـة الـإـلهـيـة عـنـدـ الـأـقـدـمـين أـنـ تـنـزـيهـا خـاصـا مـقـصـرا عـلـى الـقـدـيـة الـقـلـيـة مـنـ الـمـكـرـيـنـ وـالـمـطـلـعـيـنـ عـلـى صـفـوة الـأـسـرـارـ الـدـيـنـيـة .

وـالـرـقـانـا حـالـة عـامـة كـحـالـة الـكـارـامـا . إـلـى أـنـها إـلـى الـعـدـم أـقـرـبـ منـهـا إـلـى الـوـجـودـ . لـأـنـها الـحـالـة الـتـي تـنـتـهـي إـلـيـها جـمـيعـ الـأـرـوـاحـ حـيـنـ تـفـرـغـ مـنـ عـاءـ الـوـجـودـ وـتـجـرـدـ مـنـ شـوـافـلـ الـأـجـسـادـ وـشـوـافـلـ الـأـرـوـاحـ عـلـىـ السـوـاءـ وـتـسـاوـيـ أـرـوـاحـ الـبـشـرـ . وـيـعـمـلـهـ غـيرـ صـالـحـ لـأـخـذـهـ فـيـ دـيـنـاتـ الـجـمـاعـةـ عـلـىـ الـمـخـصـوصـ . فـيـ الـدـيـانـةـ الـمـصـرـيـةـ لـمـ تـسـلـمـ فـكـرـةـ التـوـحـيدـ مـنـ شـائـيـةـ الـوـثـيـقـةـ وـلـمـ تـرـلـ عـبـادـةـ الـسـمـسـ طـاهـرـةـ الـأـثـرـ فـيـ عـبـادـةـ الـأـئـمـونـ .

وـدـيـانـةـ الـهـنـدـلـ تـلـعـمـ النـاسـ الـإـيـاغـ «ـيـدـاتـ الـلـهـيـةـ» مـعـرـوفـةـ الصـفـاتـ وـلـسـ فـيـ مـعـيـودـاـهـاـ أـشـرـفـ مـنـ الـكـارـامـاـ وـالـقـرـآنـاـ ، وـهـماـ بـالـعـانـيـ الـذـهـنـيـةـ أـشـبـهـ مـنـهـاـ بـالـكـاتـابـاتـ الـلـهـيـةـ ، وـلـأـدـاهـمـهاـ . وـهـيـ الـرـفـانـاـ . إـلـىـ الـفـنـاءـ أـقـرـبـ مـنـهـاـ إـلـىـ الـبـقـاءـ . وـالـتـزـيـهـ الـفـاسـقـيـ الـذـي اـرـقـتـ إـلـيـهـ حـكـمـةـ الـبـونـانـ فـيـ مـدـعـبـ أـرـسـطـرـ يـكـادـ يـلـفـقـ الـكـمالـ الـطـلـقـ بـالـعـدـمـ الـطـلـقـ ، وـيـنـجـحـ لـاـ صـورـةـ الـإـلـاـهـ لـاـتـصـلـ لـلـإـيـانـ بـهـاـ وـلـاـ لـلـإـقـاعـ بـهـاـ عـلـىـ هـدـىـ مـنـ الـفـهـمـ الصـحـيـحـ .

وـكـلـ أـوـكـلـ لـأـيـلـعـ بـالـتـزـيـهـ الـإـلـهـيـ مـبـلـعـهـ الـذـي جـاءـتـ بـهـ الـدـيـانـةـ الـإـسـلـامـيـةـ صـالـحـ الـإـيـانـ بـهـ فـيـ الـعـقـيـدةـ الـدـينـيـةـ وـصـالـحـ الـلـاـلـخـدـ بـهـ فـيـ مـذاـهـ الـتـفـكـرـ .

وـالـدـيـانـةـ الـإـسـلـامـيـةـ . كـمـاـ هوـ مـعـلـومـ . ثـالـثـةـ الـدـيـانـاتـ الـمـشـهـورـةـ بـالـدـيـانـاتـ الـكـاتـابـيـةـ ، مـكـانـهـاـ فـيـ عـلـمـ الـفـارـقـةـ بـيـنـ الـأـدـيـانـ مـرـتـبـطـ بـمـكـانـ الـدـيـانـاتـ الـأـخـرـيـنـ وـهـماـ الـمـوـسـيـةـ وـالـسـيـحـيـةـ ، وـعـمـرـيـ الـقـارـيـةـ بـيـنـ الـإـسـلـامـ وـيـنـهـماـ فـعـلـاـ فـيـ كـتـابـاتـ الـغـرـبـيـنـ قـلـاـ يـتـوـرـعـ أـكـثـرـهـمـ مـنـ حـسـبـانـ الـإـسـلـامـ سـخـةـ مـشـوـهـهـ أوـ مـحـرـفـهـ مـنـ الـسـيـحـيـةـ أوـ الـمـوـسـيـةـ .

وـقـلـ أـنـ تـوـصـفـ بـوـصـفـ الـذـاتـ الـإـلـهـيـةـ . فـالـكـارـامـاـ هـيـ الـقـدـرـ الـغـالـبـ عـلـىـ جـمـيعـ الـمـوـجـودـاتـ وـمـنـهـاـ الـإـلـهـيـةـ وـأـفـلـاكـ الـسـمـاءـ ، وـهـذاـ الـقـدـرـ هـوـفـيـ الـوـرـاقـ حـالـةـ مـنـ الـمـحـالـاتـ الـعـامـةـ يـكـنـ أـنـ نـعـبـرـ عـنـهـاـ بـأـنـهـاـ هـيـ «ـأـمـ يـسـبـغـ» أـوـ هـيـ الـوـضـعـ الـحـاـصـلـ عـلـىـ الـسـعـوـدـ الـأـمـشـلـ . فـلـيـسـ الـقـدـرـ الـمـسـمـيـ بالـكـارـامـاـ عـنـدـهـمـ دـاـتـ إـلـهـيـةـ مـعـرـوفـةـ الصـفـاتـ ، وـلـكـهـ مـوـادـفـ الـكـلمـةـ «ـالـإـيـغـاعـ» أـوـ كـلمـةـ «ـالـوـاجـبـ» كـمـاـ وـجـبـ فـيـ الـمـحـادـدـاتـ .

وـالـرـقـانـاـ حـالـةـ عـامـةـ كـحـالـةـ الـكـارـامـاـ . إـلـىـ أـنـهاـ إـلـىـ الـعـدـمـ أـقـرـبـ مـنـهـاـ إـلـىـ الـوـجـودـ . لـأـنـهاـ الـحـالـةـ الـتـي تـنـتـهـيـ إـلـيـهاـ جـمـيعـ الـأـرـوـاحـ حـيـنـ تـفـرـغـ مـنـ عـاءـ الـوـجـودـ وـتـجـرـدـ مـنـ شـوـافـلـ الـأـجـسـادـ وـشـوـافـلـ الـأـرـوـاحـ عـلـىـ السـوـاءـ وـتـسـاوـيـ أـرـوـاحـ الـبـشـرـ . فـيـ حـالـةـ الـرـفـانـاـ هـذـهـ كـلـمـاـ سـعـدـتـ بـنـعـمـةـ الـمـلـوـدـ غـيـرـ مـحـسـوسـ وـلـاـ مـشـهـدـ .

• • • • •

وـلـسـاـ تـرـيدـ فـيـ هـذـهـ الصـفـاتـ الـقـلـيـةـ أـنـ تـنـتـعـ الصـورـ الـإـلـهـيـةـ وـالـرـبـوـرـيـةـ كـافـهـ بـيـنـ أـمـ الـمـخـارـضـ الـأـولـىـ ، وـلـقاـ خـيـرـيـ مـنـهـاـ بـالـسـادـسـ الـدـالـلـةـ عـلـيـهـاـ فـيـمـاـ اـرـقـتـ إـلـيـهـ مـنـ الـتـزـيـهـ وـفـيـمـاـ هـبـطـ إـلـيـهـ مـنـ الـتـحـسـيـسـ أـوـ الـتـشـبـيـهـ أـوـ الـتـشـوـرـ ، وـلـهـمـاـ يـغـبـيـنـ عـنـ الـإـسـترـسـالـ فـيـ شـرـحـ عـادـاتـ الـأـقـدـمـينـ أـنـ تـضـيـفـ إـلـىـ مـاـ تـقـدـمـ مـثـلـاـ أـخـرـ يـتـمـ أـمـثلـةـ الـبـوـنـانـ وـالـهـنـدـ ، وـذـلـكـ هـوـ مـثـلـ الـدـيـانـةـ الـمـصـرـيـةـ الـقـدـيـمـةـ مـنـ أـبـدـ عـهـودـ الـفـرـاغـةـ إـلـىـ عـهـدـ الـدـيـانـاتـ الـكـاتـابـيـةـ ، وـهـيـ أـنـ الـدـيـانـةـ الـمـصـرـيـةـ الـقـدـيـمـةـ . أـرـفـعـ الـدـيـانـاتـ فـيـمـاـ تـعـلـمـ تـرـقـيـاـ إـلـىـ ذـرـوـةـ الـتـوـحـيدـ وـالـتـزـيـهـ ، وـأـنـ كـانـتـ فـيـ عـبـادـةـ الـشـافـعـيـةـ تـهـبـطـ أـجـيـانـاـ إـلـىـ مـهـبـطـ الـدـيـانـاتـ الـغـارـيـةـ مـنـ عـبـادـةـ الـطـوـاطـمـ وـالـأـنـصـابـ ، وـعـبـادـةـ الـأـرـوـاحـ الـمـحـيـةـ وـالـشـافـعـيـنـ .

يـلـغـتـ دـيـانـةـ مـصـرـ الـقـدـيـمـةـ ذـرـوـتـهـاـ عـلـيـاـ مـنـ الـتـوـحـيدـ وـالـتـزـيـهـ فـيـ دـيـانـةـ «ـأـلـوـنـ» الـتـي بـشـرـ بـهـ الـفـرـعونـ الـمـسـوبـ إـلـيـهـ «ـأـخـاتـوـنـ» .

وـيـوـخـدـ مـنـ صـلـوـاتـ أـخـاتـوـنـ الـمـحـفـوظـةـ بـيـنـ أـلـيـدـاـ أـنـهـ كـانـ يـصـلـيـ إـلـىـ خـالـقـ وـاحـدـ يـكـادـ يـقـرـبـ فـيـ صـفـاتـهـ مـنـ الـإـلـهـ الـمـالـقـ الـذـي يـصـلـيـ لـهـ الـعـارـفـونـ مـنـ أـسـابـعـ الـدـيـانـاتـ الـكـاتـابـيـةـ ، الـمـلـأـ شـائـيـةـ مـنـ الـعـبـادـةـ الـوـثـيـقـةـ عـلـقـتـ بـهـ مـنـ عـبـادـةـ الـشـمـسـ فـكـاتـ هـذـهـ

ولا حاجة في المقارنة بين هذه الديانات إلى أكثر من ذكر العقيدة الإلهية في كل

منها للعلم الصحيح يكفيها من التنزه في حكم الدين وحكم المعرفة النظرية .

إن المراجع التي تلقينا منها عقائد العبريين كما يديرون بها أتباع الديانة الموسوية إلى يومنا هذا مسؤولة بين أيدي جمسيع الفاذرين على مطالعتها في لغاتها الأصلية أو لغاتهاترجمة ، وأشهرها التوراه والشامود .

قصورة الإله في هذه المراتج من أولئها إلى آخرها هي صورة «يهوا» إله شعب إسرائيل ، وهي صورة بعيدة عن الوحدانية يشتر� معها اليهود كثيرون تعبدوها الأم التي حاولت العبريين في أوطن شتاهم وأوطان هجرتهم ، ولكن «يهوا» يغادر منها ولا يريد من شعب إسرائيل أن ينفت إليها ، لأنه يريد أن يستثار بشعب إسرائيل لنفسه بين سافر الشعوب وإن يستثير شعب إسرائيل به لأنهم بين سافر الإلهية ،

وكان إذا غضب منهم إلى غيره قال لهم كما جاء في سفر أشعيا الثاني «عن تشبهوني وتسووني وتعلواني لتشابه؟» ... وكان النبي أرميا يقول لهم يلسان رب إلهم : «إذ أبهكم قد ترکوني وذهبوا وراء الهيئة أخرى وعبدوها ولم يأت التغيير فيه من قبل أبناء إسرائيل الحافظين على عقيدتهم الأولى بل أنتي وهذا التغيير من قبل المسلمين الجدد في الدين اليهودي وقام به من بينهم رسول قل يا لم يحظوا أنا الرب فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً» .

فلم يكن العبريون يكررون وجود الإلهية الكثرين غير إلههم الذي يعبدونه تارة وتركتونه تارة أخرى . ولكنهم كانوا يحسون الكفر به خسرا من حرابة الرعية المكها واعتراضهم بالطاعة لغيره من الملوك القائمين بالملك في أرض غير أرضه وبين رعيته غير رعيته ، فإذا تركوا «يهوا» حينما من الزمن ثم أثروا الرجعة إلى عبادته فلما يرجعون إليه لاعتقادهم بالتجزية المزعومة أنه أقدر على الكتابة به وأن الآلهة الأخرى عجزت عن حسابه من سخطه وانتقامته .

الاصح السليع :

إن أمراً يانتها روح نجس سمعت به فأتأت وخررت عنده قدميه وكانت المرأة ألمية . وقد وصفوه في كتبهم المقدسة فقالوا عنه مرأة أنه يحب ريح الشواء وقالوا عنه مرأة أخرى أنه يتمشى في ظلال الحدائق ليسبّر بهوافها وقالوا عنه غير هذا وذلك أنه يصرّ عباده وبصار عنده وأنه يخاف من مرتكبات الجبال كما يخافها جنوده ، وغيره ردها من الدهر وهم يسرون به وبين عازيل شيطان البرية فيقرؤون إليه بذريحة ويقتربون إلى الشيطان بذريحة مثلها .

ومن تسع نعوت «يهوا» من أوائل أيام العبريين في أوطان شتاهم وأوطان هجرتهم إلى أواخرها قبل عصر البلاط المسيحي . لم يتبين من تلك العهود أنهم وسمعوا أفق العبادة لهذا الإله ولا أنهم وسمعوا مجال المطرفة عندهم ، بل إنه لتبين من نعوت السابقة واللاحقة لهم كانوا يصيرون أفق عباداته ويصصرون مجال المطرفة عندهم جيلاً بعد جيل ، فكان شعبه اختار في مبدأ الأمر عاماً شاملأ لفروع إبراهيم ثم أصبح بعد بضعة قرون ممحضوا ممحضرا على قوه يعقوب بن إسحق ثم أصبح بعد ذلك ممحضرا ممحضرا على قوم موسى ثم على أبناء داود وعلى من يدينون لعرشه باللاء ... ومن ذريته كان ينبغي أن يظهر المسيح الخاص لهم في آخر الزمان . ● ● ● ● ●

فالمقيدة الإلهية كما دان بها العبريون وجمدوا عليها إلى عصر الميلاد إنما هي

عقيدة شعب مختار بين الشعوب في إله مختار بين الآلهة، وليس في هذه العقيدة إيان بالتوحيد ولا هي ما يتسم لدنيا إنسانية أو ما يصح أن يحسبه بالاست

النصف مقدمة لإيان بالإله الذي يدعو إليه الإسلام.

ثم ظهرت هذه العقيدة الإلهية بعد ظهور المسيحية فانتقلت من الإيان بالإله لأنباء إبراهيم في الجسد إلى الإله لأنباء إبراهيم في الروح، وأتقضى عصر السيد المسيح وعصر يسوس الرسول وأتصلت المسيحية بالأم الأنجينية وفي مقدمتها الأمة فاتت ومسجدت له قائلة يا سيد أعنى فاجتاب وقال يسوس حسناً يؤخذ خنزير الشرين ويطرح للكلاب، فقالت نعم يا سيد والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة زبادها حبسته أحباب بسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك . لكن لك عقيدة الشالوت المجتمع من الآب والابن والروح القدس ، وفحواها أن المسيح الخالص هو ابن الله وأن الله أرسله فداء لأنباء آدم وحواء وكفارة عن الخطية التي وقعتها عندما أكلوا من شجرة المعرفة في الجنة بعد أن نهاهما عن الاقتراب منها .

وظهر الإسلام وقحوى العقيدة الإلهية كما ظهرت بها الديانة المسيحية أن الله الإله واحد من أقاتم ثالاثة هي الآب والابن والروح القدس وأن المسيح هو ابن من هذه الآقانيم ، وهو ذو طبيعة الإلهية واحدة في مذهب فريق من المسلمين وذو طبعتين الإلهية والنسانية في مذهب فريق آخر .

ومن البديهي أن الباحث الذي يريد تطبيق علم المقارنة بين الأديان على المسيحية والإسلام مطلوب بالرجوع إلى حالة الديانة المسيحية حيث ظهرت دعوة الإسلام في الجزيرة العربية ، فلما يجوز لأحد من هؤلاء الباحثين أن يزعم أن الإسلام نسخة محرفة من المسيحية فإذا اعتقد أن نسخة الإسلام قد أخذت من المسيحية وبالاعتراض والسؤال ولم يستجيبوا الدعوه ، فاطلق عليهم إلى أخطاف الطريق يدعون من يصادفهم من الغرباء وعابري السبيل ، على غير معروفة بهم ولا صلة بينه وبينهم ، حتى استلات بهم الدار و لم يبق على الوائد مكان لمن اختصمهم بالدعوة ويلاحق في قصبة المرأة الكندغانية أنها كانت تدعوا المسيح بالسيد ابن داود ، وأن عقيدة العبريين لم تزل تعلق أمالهم بالخلاص على يد رسول من ذرية داود ومن العصر فالعقيدة المسيحية التي يجوز لمساحب المقارنة بين الأديان أن يجعلها قدوة جزيرة العرب . ومهما يكن من تطور العقائد المسيحية في سائر البيئات وبختلف الإسلام إنما هي عقيدة المسلمين في الجزيرة العربية وما حولها ، وقد وصف جوزج سبل مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية حالة المسلمين في المجاز وفي سائر الأنحاء القرية منها فقال ما تنقله من مقدمة ترجمته للقرآن :

أنه من المتفق أن ما ألم بالكنيسة الشرقيه من الاضطهاد واحتلال الأحوال في صدر الثالثة لميلاد قد اضطر كثيرون من نصارها أن يلجأوا إلى بلاد العرب

أذى قد خرج الشيطان من إنتك

إن السيد المسيح «خرج من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصبياً ، وإذا امرأة كندغانية خارجية من تلك النخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا بن داود انتي محبوبي جداً فلم يجدها بكلمة . فتقدم تلاميذه وطلبو إيه قائلين اصرفها لأنها تصبح راءعاً فأجاب وقال : لم أرسل إلا خراف بيت إسرائيل الصاله .

فأنت ومسجدت له قائلة يا سيد أعنى فاجتاب وقال يسوس حسناً يؤخذ خنزير الشرين ويطرح للكلاب ، فقالت نعم يا سيد والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة زبادها حبسته أحباب بسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك . لكن لك كها تردد بن . فشفيت ابنتها من تلك الساعة .

ونحن نعلم من هذه القصة ومن جملة أخبار السلاميد في الأنجليل أن السيد المسيح قد تاجر على اختصاص بني إسرائيل بدعوه ولم يتحول عنهم إلى غيرهم إلا بعد إصرارهم على رفعه وبلاجتهم في إنكار رسالته فوجد بعد اليأس منهم أنه في حل من صرف الدعوه عنهم إلى الأم المحبسه بهم ، وضرب المثل لذلك بصاحب الدار الذي أقام ولبسية العرس في داره وأرسل الدعوه إلى ذويه وجيرانه فتعلموا بالمعاذير والسواغل ولم يستجيبوا الدعوه ، فاطلق عليهم إلى أخطاف الطريق وينبهون من يصادفهم من الغرباء وعابري السبيل ، على غير معروفة بهم ولا صلة بينه فاعرضوا عنها .

ويلاحظ في قصبة المرأة الكندغانية أنها كانت تدعوا المسيح بالسيد ابن داود ، وأن عقيدة العبريين لم تزل تعلق أمالهم بالخلاص على يد رسول من ذرية داود ومن عقيدة المسلمين لم تزل تعقد أمالهم بالخلاص على يد رسول من ذرية داود ومن سلالة يعقوب بن إبراهيم .

ومضى عصر المسيح وجاء بعده عصر يسوس الرسول وعقيدة الملائص المؤرشف على سلالة إبراهيم الخليل باقية مسلمة بين العبريين الجامدين على تقاليمهم وبين المسلمين المترددين من تلك التقليد ، وإنما أضيف إليها تفسير جديد لهذه البنية وهو أنها بنوة روحيه لا تتوقف على بنو الجسد ولا فرق فيها بين من يحملون سنته إبراهيم الخليل من العبريين أو من الأمهرين الذين يسمح لهم العبور (بالجودين)

وكم من بدعة انتشرت في جزيرة العرب حتى لا تقول نشأت فيها !؟ فمن ذلك

بعدة كان أصحابها يقولون بالوهية العذراء مريم وبعيلونها كلانا هي الله ويتربون لها أفراداً مغضورة من الرفاق يقال لها كليرس وبها سمي أصحاب هذه السمعة كليرين ... وفضلاً عن ذلك فقد اجتمع أيضاً في جزيرة العرب علاء وأفراد من

الفرق المختلفة الأسماء بدوا إليها هرباً من اضطهاد الفياصرة^(١).

كانت عقائد الفرق المسيحية في جزيرة العرب، وفي العالم المترافق حول جزيرة العرب على هذا النحو الذي وصفه رجل متخصص على الإسلام لا يتم بمحاباته مقامه باكتله وهي الكوفة عند ابن المسرى أو بلدة أخرى بالقرب من بغداد عند ابن ولاظن به أن يتجانف على المسيحية وهو قادر على مداراتها . ومن الواضح الذين عقائد الفرق المسيحية على ذلك التحول لم يكن بما يغري بالإعجاب أو ما يدعوه إلى الافتداء . ومن الواضح الذين أن موقف الإسلام كان موقفاً الصريح للسمم ولم يكن

يكون لهم هؤلء الكريسين سوى أسفاق واحد تحملت رئاسته بطردكم^(٢).

موقف الناقل المستعير يغير فهم ولا دراية .

فقد جاء الإسلام بالدعوة إلى الله منزله عن لولته الشرك ، متزنة عن جهلة العصبية وسلامة النسب ، متزنة عن التشبيه الذي تسرب من بقايا الوثنية إلى الأديان الكتابية .

فالله الذي يؤمن به المسلمين إله واحد لم يكن له شركاء^(٣) سبحانه عَنْ شُرْكَنْ^(٤) .

وما هو برب قبيلة ولا سلالة يتوثّرها على سواها بغير مائرة ولكنه هو رب العالمين^(٥) . خلق الناس جسمياً ليعارفوا ويتفضّلوا بالتقوى فلما فضل بيتهن لعربي منهم نفرا من قواد الجيوش أو من أصحاب الخطيب يكون لهم عليهم الولاء ويتقوى بهم ، وبذلك صارت المناصب تناول بالرثى والذى يتصفه تباع وتشترى جهاراً . أما الكنيسة الغريبة فقد كان فيها من تناول دعاسوس وأرسكيوس في الماشحة على منفعة الاستفادة - أي استفادة واما ما أقصى إلى احتدام نار الفتنة وسفك الدماء بين حزيمها ... وكان أكثر ما تنشأ الماقشات من القياصرة أنفسهم ولاسيما التعبير قسطنطينوس قوله إذ لم يقدر أن يميز بين صحيح الدين المسيحي وخرافات العجائزي بل الدين بكثير من المسائل الخلافية ... هذا ما كان عليه حالةنصرانية في بلاد العرب . أما في بلاد هذه الأمة التي هي موضوع بحثنا فلم تكن خيراً من ذلك ... فكان في بعض أعرق قوم يعتقدون أن النفس تموت مع الجسد وتشر معه في اليوم الآخر وقيل أن أوريجانوس هو الذي دس فيهم هذا المذهب ، وكم

طلب المحررية وكان معظمهم يعانيه فإذا كان معيظ نصارى العرب من هذه الفرقة .

ولهم القباباً التي تصرّرت حمير وغسان وربعه وتغلب وبهاره وتنوخ وبعض طي^(٦) بلاد العرب لزم عن ذلك ولابد أنه كان للنصاري أسفاقه في مراضع جمدة لتنظيمهم سياسة الكائنات وقد تقدم ذكر أسفاق ظفار وقال بعضهم كانت تجران مقام أسفاق وكأن للمعاقبة إسفاقان .. يسمى أحدهما أسفاق العرب يطلق المفظ وكان مقامه باكتله وهي الكوفة عند ابن المسرى أو بلدة أخرى بالقرب من بغداد عند ابن الفداء ، وتأتيهما يدعى أسفاق العرب التغلبين ومقامه بالجرية . أما النساطرة فلم يكن لهم هؤلء الكريسين سوى أسفاق واحد تحملت رئاسته بطردكم^(٧).

والى أن يقول :

أاما الكنيسة الشرقية فإنها أصبحت بعد الفضاض المجمع التقليدي مرتکبة عيقات لا يكاد تتفقى وانتقض جبلها بمحاكاة الأرزيوسين والنساطرة والمعقوبة والآخر أولى من تدعى حجّة يتغلب بها كل من المناظرين على اختلافه في المعتقد نفسه ، وإن تدعى حجّة يتغلب بها كل من المناظرين على غيرهم من أهل البدع . على أن الذي ثبت بعد البحث أن كلاً منهم يدعى المقاومة والإساقفة وتحاكون لبعض كل واحد منهم كل منه وتحيل القضايا إلى هواه . تم إن نافل الكلمة منهم وأصحاب المكانة في قصر الملك كان كل واحد منهم نفرا من قواد الجيوش أو من أصحاب الخطيب يكون لهم عليهم الولاء ويتقوى بهم ، وبذلك صارت المناصب تناول بالرثى والذى يتصفه تباع وتشترى جهاراً . أما الكنيسة الغريبة فقد كان فيها من تناول دعاسوس وأرسكيوس في الماشحة على منفعة الاستفادة - أي استفادة واما ما أقصى إلى احتدام نار الفتنة وسفك الدماء بين حزيمها ... وكان أكثر ما تنشأ الماقشات من القياصرة أنفسهم ولاسيما التعبير قسطنطينوس قوله إذ لم يقدر أن يميز بين صحيح الدين المسيحي وخرافات العجائزي بل الدين بكثير من المسائل الخلافية ... هذا ما كان عليه حالةنصرانية في بلاد العرب . أما في بلاد هذه الأمة التي هي موضوع بحثنا فلم تكن خيراً من ذلك ... فكان في بعض أعرق قوم يعتقدون أن النفس تموت مع الجسد وتشر معه في اليوم الآخر وقيل أن أوريجانوس هو الذي دس فيهم هذا المذهب ، وكم

حاسمة حازمة لا تاذن بالهواة ولا بالمساومة . فها من حالة كانت أبغض إليه من حالة العصبية الجاهلية والمناجرة الجاهلية والتاجر الجاهلي على فوارق الأنساب والأجراب . فهم صنمهم بلاد العصبية خرج الدين الذي ينكر العصبية .

ومن جوف بلاد القبائل والعشائر خرج الدين الذي يدعوه إلى إله واحد «رب العالمين» ورب المشرق والمغرب ورب الأم الإنسانية جميعاً . بغير فارق بينهم غير فارق الصلاح والإيان .

على أن الباحثين الذين يصطنعون سمعت العلم من علماء المقارنة بين الأديان في المغرب يطلقون نعوتهم على الإسلام سمعاعاً فيما يظهر من مقرراتهم أو من مذكراتهم التقليدية التي ييلو منها أنهم كلفوا عقولهم جداً وحقوا أن تلميذاتهم واحدة بهذا الدين في جملة أو تفصيل .

فهي كتاب من أحدث الكتب عن أديان بني الإنسان ألفه أستاذ للفلسفه في جامعة كبيرة يقول المؤلف المتخصص لهذه الدراسات بعد الإشارة إلى السيف والعنف والاقتباس من النصرانية والصهاينة والمحوسية : «إن محسداً أسمى على الله - رب - ثوراً من الخلق العربي والشخصية العربية .»

ويقول المؤلف : «الحقيقة» التي قررها هنا تتجلى للباحث كلما تقدم في دراسة هذا الدين العربي وهذه الشخصية الإلهية العربية .

بعدها السمع التقليدي ينبع المؤلف إلى الإسلام بعد أن تقدم في دراسته على حد قوله . . فماذا كان عراه قاتلاً لوانه لم يسمع باسم الإسلام إلا على الإشاعة من بعد ؟

لعله لم يكن بحاجة إلى التقادم وراء البسمة في سورة الفاتحة ليعلم أن المسلمين رب العالمين وأنه يصف رب بالرحمة مرتين عند الابداء بكل سورة من سور (Man's Religions by Professor John B. Noss Franklin and Marshall College .)

لأن إنساناً بذنب إنسان ، ولا يحاسب أمة عانقت بحرارة أمة سلفت ولا يدين العالم كله بضرر ذلبيه .

• • • • •

﴿تَلَكَ أَمْمَةٌ قَدْ حَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْسَأُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[فاطر : ۸۸]

﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[البقرة : ۱۲۲]

﴿وَمَا كَانُوا مُعْذِنِينَ حَتَّىٰ نَعْثُرَ رَسُولَهُمْ﴾

وَدِينَهُمُ الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ ، تَفَتَّحَ كُلُّ سُورَةٍ مِّنْ كِتَابِهِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

﴿وَمَا رَأَيْتُكُمْ بِظَلَامٍ لِّمَعَيْدِ﴾

﴿وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْأَطْمَنُ﴾

[الأعراف : ۳۸]

﴿وَسَعَ رَبُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾

﴿وَهُوَ بِكُلِّ حَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

وللباحث في مقارنات الأديان أن يقول ما يشاء عن هذا الإله الواحد الأحد رب العالمين وزرب المشرقين والمغاربيين ، إلا أن يقول أنه نسخة مستمددة من عقائد العرب الجاهلية أو عقائد الفرق الكبائية التي خالطت عقائد الجاهلين على التحوذ الذي وصفه جونج سبل في مقدمة ترجمة القرآن الكريم ، فإن العقيدة الإلهية التي تستمد من تراث الجاهلين لن تكون لها صيغة أغلب من صبغة العصبية ولا سخراً أظهر من مفاسخ الأحساب ، ولن تخلو من لوثة الشرك ولا من عقابيل العادات التي امتهلت بالجاذب وحذلت فيها الرقى والتعاوين محل الشعائر والصلوات .

ومعجزة المعجزات أن الإسلام لم يكن كذلك بل كان تقىض ذلك في صراحة

٦٣

كتابه ... ولعله كان يحسب المقارنة جداً، وحقاً، لـ أنه قطع بهذه الصفة من صفات إله الإسلام وقارن بينها وبين دين الصفات التي يختارها غير المسلمين فـ يدكرون الله مفتتح دعواتهم بغير صفة القوة والجروت Almighty ١٩

شُتَّتَ فِي الْإِسْلَامِ فَكَمَا كُنَّتْ فِيهَا الشَّكْرَةُ الْأَلْهَوِيَّةُ . فَبَرَثَ هَذِهِ الرِّسْالَةُ السَّهْمَوِيَّةَ مِنْ شَوَّابِهَا الغَنِيَّةِ الَّتِي لَصَقَتْ بِهَا فِي عَقَائِدِ الْأَقْدَمِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الدِّيَارَاتِ الْوَثَيْقَيَّةِ وَالدِّيَارَاتِ الْكَتَابِيَّةِ ، وَخَلَصَتْ مِنْ بَعْدِ الْسُّحْرِ وَالْكِبَاهَةِ كَمَا

حصلت من مسورة لم يهم أسمى وبيروت التي تميزت بسموره ددي وببوره
القدس، لاعتقادهم أن الصابرين به يخطرون هذين لهم بوسى الأرواح العلوية التي
 تستولى عليهم، وثبت نبوة الإسلام حين خلصت من دعوى الموارق

فهي عقيدة كاملة صحيحة وتمت عقیدة الهند في الكارما والتراثان، لأنها
بروتير.

يذهب إلى حرب، أو في مسحوب الدات لاجواب بيته وبين أيامه الحياة.
وهي عقيدة كاملة صحيحة وتحت عقيدة العلم الأول بين فلاسفة الغرب
والآقدمين، لأنهم كانوا على خطأ في فهم التجريد والتزير ، ساق هذا الخطأ إلى القول
كمثال متعلق كالعدم المطلق في التحرر من العمل والتجدد من الإرادة والتجدد من

المسخر (١٢) لا يؤمن به وقد حللت ستة الأولين (١٣) ولو قطعنا عليهم يابا من السماء فظلوا فيه يعمر جون (١٤) لقالوا إنسانا سكرت أيسارنا بل نحن قرم [الﲪ្រោះ: ١١ - ١٥]

卷之三

فليست الحجارة ما يغنى النبي في دعوة المكابر المفترى. إنَّه لغيرها [إذن ضرباً من السحر أو السكر] ولو فتح له الأنبياء باباً من السماء . ولقد جاءت الموارق طائعة لبني الإسلام فصدقها الناس وألَّى لهم أن يصلووها أو يهُمُوها على غير حقيقتها ، ولو أنه سكت عنها حسبيوه الله معجزة من المجازات لم يستحقن مثلها من قبل لأحد من المرسلين . إنها الآية من آيات الله أن تكشف الشمس ملوت ابن محمد عليه السلام . وكسوف

وطرق تلتها موجة في المستقبل يفتحها صاحب النبوة الأخيرة فيعمل أنه يندد بالسحر والكمامة وزرني يقداسة الجنون أو جنون القدس، ويزوص بصيرة الإنسان على قبيل المهدية وإن لم تروضه لها روعة الخوارق وعشرة الغيب الجھول. لأنه دروس بصيرة الإنسانية على أن تنظر وتتصور، ولا يستوى الأعمى والبصير.

ومن نأمل هذا الفارق بين الطريقين الشاسعين في تاريخ الأديان لا جرم يطيل التأمل فلا يرى عجبًا أن تكون هذه النبوة خاتمة السبوتات . إذا كان الإصلاح بعدها منوطاً بذوات يستطيعها من لا يدعى خاتمة تفوق طاقة الإنسان ، ولا يهول العقول بالكشف عن غيب من الغيوب لا يدركها الإنسان .

• • •
وأبعد شئ عن البحث الأمين أن تتعقد المقارنة بين هذه النبوة الإسلامية ونبوات أخرى تقدمتها فizعم الباحث أنها نسخة محرفة منها أو مفترقة عنها ، فإن الفارق بين نبوة تقوم حجتها الكبرى على هداية العقل والضمير ونبوات تقوم حجتها الكبرى على الغرائب والأعاجيب - ل فهو من الفوارق البينة التي لا يترى فيها بالangkan منفصلان ، ودع عذلك الفارق بين نبوة تدعوه إلى رب العالمين ونبوات رب سلالة أو رب قبيلة . وربما اعتبرى الخطأ مقاييس البحث فتساوت لديه الزيادة والنقصان وتعادل أمامه الراجح والمرجوح . فاما أن يرجح الشخص على الزيادة فذلك هو الخطأ الذي لا ينجم إلا من زيف في الطبع أو المرجوح . فاما أن يرجح الشخص على

﴿ وَيَرُولُونَ لَوْلَا أَنْوَلَ عَلَيْهِ أَيْمَنَ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْعَيْبَ لِلَّهِ فَلَا يَنْتَظِرُوا إِلَيْهِ عَكْمَمَ مِنَ الْمُسْتَنْدِرِينَ ﴾ [الإنسان: ٢٠]

﴿ قُلْ لَا أَمْلَكُ لِنَفْسِي شَفَاعًا وَلَا ضُرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْكَتْ أَعْلَمُ الْعَيْبِ لَا سَتَكْرَتْ مِنَ الْعَيْسِ وَمَا مَسْتَيِ السُّوءِ إِنَّ أَنَّا إِلَّا نَدِيرُ وَبَشِّرُ لِلَّهُمَّ مِنْ أَغْرِفَ ﴾ [الأغراق: ١٦٨]

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عَدْيَ خَرَانِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْعَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ مَلَكْ إِنْ أَنْجَى إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيْكُمْ هَلْ بَسِرِي الْأَعْسَنِ وَالْعَسَرِ أَفَلَا تَفَكِّرُونَ ﴾ [الأغراق: ١٦٩]

• • •
عن النبوة كما كانت عقيدة الإسلام الإلهية مصححة متهمة لكل ما تقدمها من فكرة الواقع أن النبوة الإسلامية جاءت مصححة متهمة لكل ما تقدمها من فكرة عقائد بني الإنسان في الإله .

ومن عجيب الاستثناء أن القرآن الكريم قد أحصى النبوءات الغابرة بألوانها فلم يدع منها نوعاً واحداً يعرفه اليوم أصحاب المقارنة بين الأديان ، ومن تلك الأنواع نبوة السحر ونبوة الرؤيا والاحلام ونبوة الكهانة ونبوة الحذب أو الجنون المقدس ونبوة التنجيم وطوال الأفلاك ، وكلها مما يدعى المتبنون ويدعون معه العلم بالغيب والقدرة على تسخير نواميس الطبيعة ولكنها على اتفاقها في هذه الدعوة تختلف وتحللت فيها المرأة بالليل الصادق والمعلنة الحسنة .

عصادرها ونظرة الناس إليها أيام اختلاف .

الشمس يومئذ نخبر من أخبار الفلك الثوابت إلده حساب الملوكين في العهد الأخير ، فهو كان صلوات الله عليه رسولاً من الرسل الذين يتصدون للخوارق أو ينكرونها لأنهم لا ينتظرون أن يدعوها لما كلفته هذه الممارقة إلا أن يسكنت عنها فعلاً يدعهاها وإنكرها ، ولكنه لم ينس في ساعة حزنه أمانة المهدية للمؤمنين بدنيه وبادرهم ل ساعتها مذكر لهم بآيات الله أوان الشمس والقمر إيتان له لانتهفان لموت أحد ولا لحياته .

الله رب هو الله فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولما يغلب منهم رجل فامسكتهم فنزل بهم إيليا نهر فيسون ودبسهم هناك وقال إيليا لا أدخل أصلع رأس الكرمل وخر إلى الأرض وجعل وجهة بين ركبتيه وقال لغلامه اصعد قطع نحو البحر فصعد وقطع وقال ليس شيء قال أرجع سبع مرات . وفي المرة السابعة قال هو ذا غبية صغيره قد كف إنسان صاعد من البحر . فقال أصعد قل لأصحاب إشد واتول لشلا ي tumult المطر وكان من هنا إلى السماء أسرورت من العبر والريح وكان مطر عظيم فركب أصحابه ومضى إلى بدريل ، وكانت يد الرب على إيليا فشد حقوقه وركض أمام أصحاب حتى تمحى إلى بدريل .

● ● ● ● ●

وقد صاحبت القوم هذه الفكرة عن النبيه الماضية عند الطلب منذ أوائل عيورهم إلى أواخر عيورهم بالأنبياء قبل ظهور السيد المسيح . فلم تكون النبوة عند القوم في هذه العهود كائنة إلا صناعة مرادفة صناعة التجسيم أو لصناعة الفراسة النذرية بالكتارات الترقعة . فهم إما استطاعوا للخيابا أو صبيحة قرعر من تعمق «بيهوا» العبر من الصباح إلى الظهر فاليدين بما يصلح النبيه كلها انحرفا عن سنته ، وأشركوا بعداته على الخطب . ولكن لا يفهمون تاريا ولانا أقرب الغرب الآخر وأجعله ويعطوه ويعصوه على الخطب . ولكن تدعون باسم الهمسك ولانا أدعوه باسم الرب . والإله الذي يحب بنار فهو الله : فاجاب جميع الشعب وقالوا الكلام حسن فقال إيليا لا أبناء البعل اخترأ لأنفسكم ثوروا واحدا وفربوا ألواكم وأدعوا باسم العبركم ، ولكن لا يفهموا ثورا الذي أعطي لهم وفربيه ودعوا باسم العبر من الصباح إلى الظهر فاليدين يمكن صورت ولا مجسيب . وكأنوا يرثون حول المديح الذي عمل وعدنظهور سخر بهم إيليا وقال ادعوا بصورت عال لا أنه لم يلد مستغرق أولى حلوة أولى سفر أو العهد نالم فيتبه . فصرخوا بصورت عال وقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم ولما جاءوا يكتبوا إلى حين إصعاد التقدمة ولم يكن صورت ولا مجسيب ولا منع قال إيليا الظاهر وتبباوا إلى حين إصعاد التقدمة جميع الشعب إليه فرمي مدعي الرب المتهام ثم أخذ إيليا اثنى عشر حجراب بعدد أسباطبني يعقوب الذي كان كلام الرب إليه ، والراقة الذين يتكلون أقوال الأله في غير بنين «بيهوا» رب إسرائيل ، وأما شعب إسرائيل فقد أخبرهم وكتبية أسفارهم قد جدوا في محل العرائين المافتني والسمحة والرقة الذين يتكلون أقوال الأله في غير بنين «بيهوا» رب إسرائيل ، وأما شعب إسرائيل فقد تعلموا من النبيه وتذمروا إلى حين إصعاد التقدمة ولم يكن صورت ولا مجسيب ولا منع قال إيليا إلى جميع الشعب تقدموا إلى فتقديم جميع الشعب إليه فرمي مدعي الرب المتهام ثم أخذ إيليا اثنى عشر حجراب بعدد أسباطبني يعقوب الذي كان كلام الرب إليه ، فقبل لهم : «... ففيقيهم لك الرب يهوك نبيا من سلطك من إخوريك مثلي له فالذين نس كيلين من البدر ثم رتب المطرب وقطع الشر ووضعه على المطرب وقال إيلاروا أربع جرات ماء وصبرا على الحرقة وعلى المطرب ثم قال شواذتها ، وقال ثلثوا فثلثوا . فجرى الله حول المطرب واستلات القنة أيضا ماء وكان عند اصعاد التقدمة لا أعود أسمع صوت الرب يهوك أنا أطالبه . وأما النبي الذي يطلق فيتكلم باسم إيليا قد أحسنا فيما تكلموا . أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثالك . وأجعل إيليا النبي تقدم وقال إليها الرب إلها عريم وأسلافه وأسرائيل لعلم اليوم أملك أنست الله في إسرائيل وأنا عبدك وأمامك نه فقلت كل هذه الأمور استجبي يا رب استجبي ليعلم هذا الشعب أنت الرب الإله وأنك أنت حولت قلوبهم رجعوا فسمقطرت بار الرب وأكلات المحرقة والمطرب والمجارة والشراب ولست اليه التي في القناة . فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوجهم وقالوا الرب هو رات قلت في قلبك كيف تعرف الكلام الذي يتكلم به الرب ما تكلم به النبي باسم

«... ولاري أصحاب إيليا قال له أصحاب أنت هو مكدر إسرائيل . فقال لم أقدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بشركم وصلبا الرب وسيولة وراء البعض . فإذا أرسل واحداً إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل أربع الفتنة والمعينين حتى تعرجون بين المرقتين إن كان الرب هو الله فتابعوه ، وإن كان البعل فابتعوه ، وإنبياء السواري أربع الفتنة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل فأرسل أصحاب إلى جميع الشعب وقال إيليا إلى جميع الشعب وقال إيليا إلى جميع الشعب وقال إيليا إلى جميع الأنباء إلى جبل الكرمل فقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال إيليا إلى جميع الشعب وكلمته . ثم قال إيليا للشعب أنا يقيني تاريا ولانا أقرب الغرب واحداً البعل الرعناء وتحسون رجلـا . فلعلهموا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثورا واحداً ويقطوه ويعصوه على الخطب . ولكن لا يفهمون تاريا ولانا أقرب الغرب الآخر وأجعله على الخطب . ولكن لا أخص تاريا . ثم تدعون باسم الهمسك ولانا أدعوه باسم الرب . والإله الذي يحب بنار فهو الله : فاجاب جميع الشعب وقالوا الكلام حسن فقال إيليا لا أبناء البعل اخترأ لأنفسكم ثوروا واحدا وفربوا ألواكم وأدعوا باسم العبركم ، ولكن لا يفهموا ثورا الذي أعطي لهم وفربيه ودعوا باسم العبر من الصباح إلى الظهر فاليدين يمكن صورت ولا مجسيب . وكأنوا يرثون حول المديح الذي عمل وعدنظهور سخر بهم إيليا وقال ادعوا بصورت عال لا أنه لم يلد مستغرق أولى حلوة أولى سفر أو العهد نالم فيتبه . فصرخوا بصورت عال وقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم ولما جاءوا يكتبوا إلى حين إصعاد التقدمة ولم يكن صورت ولا مجسيب ولا منع قال إيليا الظاهر وتبباوا إلى حين إصعاد التقدمة جميع الشعب إليه فرمي مدعي الرب المتهام ثم أخذ إيليا اثنى عشر حجراب بعدد أسباطبني يعقوب الذي كان كلام الرب إليه ، فقبل لهم : «... ففيقيهم لك الرب يهوك نبيا من سلطك من إخوريك مثلي له فالذين نس كيلين من البدر ثم رتب المطرب وقطع الشر ووضعه على المطرب وقال إيلاروا أربع جرات ماء وصبرا على الحرقة وعلى المطرب ثم قال شواذتها ، وقال ثلثوا فثلثوا . فجرى الله حول المطرب واستلات القنة أيضا ماء وكان عند اصعاد التقدمة لا أعود أسمع صوت الرب يهوك أنا أطالبه . وأما النبي الذي يطلق فيتكلم باسم إيليا قد أحسنا فيما تكلموا . أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثالك . وأجعل إيليا النبي تقدم وقال إليها الرب إلها عريم وأسلافه وأسرائيل لعلم اليوم أملك أنست الله في إسرائيل وأنا عبدك وأمامك نه فقلت كل هذه الأمور استجبي يا رب استجبي ليعلم هذا الشعب أنت الرب الإله وأنك أنت حولت قلوبهم رجعوا فسمقطرت بار الرب وأكلات المحرقة والمطرب والمجارة والشراب ولست اليه التي في القناة . فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوجهم وقالوا الرب هو

الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطريقه تكلم
النبي . فلا تختف منه - ١٨٠ سفر الشبيبة .

تصننه وحدك . لأن اسمع لصوتي فانصحك . فليكن الله معك . كن أنت الشعب
أمام الله وقدم أنت الدعاوى إلى الله وعلهم الفرائض والشائع وعرفهم الطريق
الذى يسلكهون والعمل الذى يعملونه ، وأنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة
خانقين الله أمناء مبغضين الرشوة وتعيدهم عليهم رؤساه مثارات
وزؤساه خمسين ورؤساه عشرات .
• • •
فيضمون للشعب كل حين ويكون أن كل الدعاوى الكبيرة يحيطون بها إليك وكل
الدعاوى الصغيرة يتضمنون هم فيها وخفف عن نفسك فهم يحملون معك .
• • •

وبعد نحو ستة قرون من النبوة الموسوية انتهى عهد الأنبياء فى بني إسرائيل ،
ولم يتغير معنى النبوة عندهم فى هذه الفترة الطويلة . بل العذر إلى ما دون ذلك
بكثير ، لأن موسى الكليم كان يخاطب الغريب ليتلقى الشريعة . وينقل إلى الشعب
تحذير الله بخصوص القاطلة ، وأما الأنبياء بعده فقد تکاثروا بالآيات ليخاطبوا الغريب
فيما دون ذلك من الخبراء اليهودية ، أو ليختنموا العلامات والأشارى نذيرها للشعب
بالخسائر الحسينية التي تضليله من جراء الخروج على شريعة موسى .
ويشخص تاريخ النبوة بين بني إسرائيل إذن فى كلمات معدودات : إنهم قد
استعاروا فكرة النبوة من جيرانهم العرب الذى ظهر فيهم ملك صادق على عهد
إبراهيم الخليل ، وظهر فيهم بعد ذلك أبواب ولهم وشعب ، ففهموا من النبوة
موسى وليس هكذا . بل هو أين فى كل شيء . فدالى فم وعياناً أكلم بعد لا بالغاز .
وكان اعتقادهم أن موسى عليه السلام يسمع كلام ربنا إلى فم وعياناً يغير
حجاب فى كل قضية من قضايا الشعب يعرضونها عليه ، حتى علمه نبي مدين أن
يكل القضايا إلى أناس من ذوى ثقته وخاصة قومه يلتفتهم أحکام الشريعة ويولهم
أمر القضايا مكتفيا بما يحصل عليهم من كبار القضايا . وفي ذلك يقول كتاب
جيبريلهم إلى أن أتى موسى الكليم الذى تعلم على حمية نبي مدين قبل جهله
بعد موته وبعد أن جهله بهذه الدعوة فى مصر يخرج بقومه منها إلى أرض كنعان ،
ولكنهم أخذوها وسلموها فتقتصوا منها ولم يزدرواها ، وما كان لهم من حيلة فى
زيادتها لأنها - كما فهموها - غير قابلة للزرايده والارتفاع ، ولا مخاص من تدهورها مع
الزمن وهى موقوفة على قوم دون سواهم لا يشاركون الأقوام فى هادىة واحدة ولا فى
جامعة إنسانية ترقى عقلياً من الصباب إلى النساء ؟ فقال موسى لمحبه إن الشعب يأتى إلى إسلام
وأوقف عنده من الصباب إلى النساء ؟
كانت قبائل إسرائيل محصورة فى نفسها ، وكانت عبادتها محصورة فى
الله وشرائعه . فقال حمو موسى له : ليس جداً الأمر الذي أنت صانع . إنك
حدرها ، وكانت قبائلها الفرعونى من العبادة أن تسلم فى عزالتها مع إلهها الذى
احتكرته واحتكرها . فلم تطلب من النبوة إلا ما تلمسه من الإسلامية فى تلك

وعلقاً وقر في أخلاق الشعب من أجياده وعلمهه إلى عامة جهله أن الكشف
على الغريب أمرأدى لعن النبوة ، وأن وقوع الحرج هو استحسان الصدق الوحيد الذى
يعتبر به الأنبياء الصادقون ليها يعتقدون به عن الإله ، وأن الفرق بين أنسائه وبين
السحر والغافين والرقابة فى الأم الأخرى يغاير فرق بين أنساء يحتسون الكشف
عن الغريب ، وأنساء يحتظون فى هذه الصناعة ، لأنهم ينتظرون أنساءهم عن الهمة
كاذبة لاستحق العبادة .
• • •

وأوق حديث فى العدد أن موسى جلس ليقضى للشعب فروفق الشعب عند
موسى من الصباح إلى المساء ، فلما رأى حمو موسى كل ما هو صانع للشعب قال :
ما هذا الأمر الذى أنت صانع للشعب ؟ ما بالك جالساً وحدك وجمسي الشعب
وأوقف عنده من الصباب إلى النساء ؟ فقال موسى لمحبه إن الشعب يأتى إلى إسلام
الله : إذا كان لهم دعوى يأتون إلى فاضى بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض
الله وشرائعه . فقال حمو موسى له : ليس جداً الأمر الذي أنت صانع . إنك
نكى أنت وهذا الشعب الذى معك جمعيماً . لأن الأمر أعظم منك لا تستطيع أن

الإنسان



العزلة : صناعة موقفة على استطاع الغريب لتحذيرها من الغربات التي تواجهها ولاتخاذاها من غير إلهها .

و بعد ستة قرون من آخر رسالة في بني إسرائيل يسمع العالم إلى صوت من جانب المحرية العربية يدعو إلى رب العالمين : رب العزى والأعجمى ، رب الأبيض والأسود ، ورب كل عشيرة وكل قبيلة ، لا يستائز بقوم ولا يؤثر قوماً على الإنسان حيوان ناطق .

الإنسان حيوان مدنس بالطبع .
الإنسان روح علوى سقط إلى الأرض من السماء .
الإنسان حيوان راق .
• • •

هذه التعريفات أشهر ما اشتهر من التعريفات الحبيبة بعض الإنسان :

أولها - محظوظ به من جانب مزياته العقلية .
وثانيةها - محظوظ به من جانب علاقاته الاجتماعية .
ثالثتها - ينظر إلى تربية الإنسان بين أنواع الأحياء على حسب مذهب التطور .
رابعها - ينظر إلى تعريف الإنسان بهذه الصفة إلى قصبة الخطبية التي وقع فيها
وأدم حين أكل من شجرة المعرفة بعنوان الشيطان .

وكل هذه التعريفات تحديداً يعني الإنسان من بعض نواحيه ، وأخرها لا يحيط به إلا عن بعضه الخطبية ويؤمن بها بغيرات الخطبية في بني آدم وحواره .
وأما تعريف الإنسان بما وصف به في القرآن الكريم وأحاديث النبي عليه السلام فقد اجتمع جملة واحدة في تعريفين جامعين :

ونختم الكلام على النبوة كما نتخت الكلام على العقيدة الإلهية سائرين : كيف نرسن لنفس الإسلام أن ينفرد بهذه الدعوة وحيداً في تاريخ الأديان ؟
الإرادة الإلهية هي الجواب الذي لا يمدى عنه لن يسأل ذلك السؤال .
ومن أحسن بالله فعلاً معمليه عن إرادة الله في تفسير هذه الظاهرة التي لا تظهر لها في أديان الكتابيين وغير الكتابيين .. نعم لا مدعى له عن إرادة الله ولو وصف الرسول بما شاء من تقاذ البصيرة وسموه الفضير .

فالإسلام لا يعرف الخطبية الموروثة ، ولا يعرف السقوط من طبيعة إلى مادونها ، فلا يحاسب أحد بذلك أئمه ولا ترث وذر أخرى ، وليس مما يدين به المسلم أن يرى النوع الإنساني مادون طبيعته ، ولكنه ما يؤمن به أن ارتفاع الإنسان وعيوبه منوطان بالتكليف ، وقوامه الحرية والتبعية . فهو بامانة التكليف قابل للصعود إلى

[ابراهيم: ٤٠]

ـ إن الإنسان لظلومٍ كفارٍ

ـ إن الإنسان حلقٌ ملعوناً (١٢) إذا فسد الشّرٌ جزوعاً (١٣) وإذا صُدَّ الخير

ـ وإنما عرضنا الأمانة على المصروات والأرض والبحار فليس أن يحملها وأشفقن

ـ منها وحملها الإنسان (١٤)

ـ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً (١٥)

ـ إن الإنسان يطعن (١٦) أن رأه استغنى (١٧)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على ذلك لشهيد (١٨) وإنما لحب الخير

ـ إن الإنسان لربه لكثيرون (١٩) وإنما على ذلك لشهيد (٢٠) وإنما لحب الخير

ـ وإنما عرضنا الأمانة على العاديات (٢١) وإنما على العاديات

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٢٢)

[القافية: ١٢]

ـ بل الإنسان على نفسه بضرورة (٢٣)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٢٤)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٢٥)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٢٦)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٢٧)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٢٨)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٢٩)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣٠)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣١)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣٢)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣٣)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣٤)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣٥)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣٦)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣٧)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣٨)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٣٩)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٤٠)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٤١)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٤٢)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٤٣)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٤٤)

ـ قمة الحلقة . وهو بالتكليف قابل للمهبوط إلى أسفل ساقفين ، وهذه هي الأمانة التي

ـ رفعته مقام فوق مقام الملكة ، وبعsett بي مقاماً إلى زمرة الشّياطين :

ـ إنما عرضنا الأمانة على المصروات والأرض والبحار فليس أن يحملها وأشفقن

ـ منها وحملها الإنسان (٤٥)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على العاديات (٤٦) وإنما على العاديات

[الأحزاب: ٣٩]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٤٧)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٤٨)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٤٩)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥٠)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥١)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥٢)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥٣)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥٤)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥٥)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥٦)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥٧)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥٨)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٥٩)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦٠)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦١)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦٢)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦٣)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦٤)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦٥)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦٦)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦٧)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦٨)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٦٩)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٧٠)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٧١)

ـ وإنما عرضنا الأمانة على نفسه بضرورة (٧٢)

ـ وفي هذه الأمانة هي بط الإنسان غروراً وسرفاً إلى عداد الشّياطين :

ـ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجنِّ يوحى بعضهم إلى بعض

ـ رجُوف القولٌ غروراً ...

ـ وما من تقىصه من تقاصن النفس لاتعدو الإنسان من قبل هذه الأمانة :

ـ فأمامة الكليف :

ـ ليس كفورٌ

[هود: ٢٩]

ـ ولا ترث أرثه ورث أخرى

[الأذعام: ٢٠]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٢٧]

ـ وما من تقىصه من تقاصن النفس لاتعدو الإنسان من قبل هذه الأمانة :

ـ فأمامة الكليف :

ـ ليس كفورٌ

[الإسراء: ٢٨]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٢٩]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٣٠]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٣١]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٣٢]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٣٣]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٣٤]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٣٥]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٣٦]

ـ وإنما عرضنا الأمانة على طاره في عتقده

[الإسراء: ٣٧]

وعلم آدم الإنساء كلها ثم عرضهم على السلاقنة فقال أنسونى بأسنانه هؤلاء إن كسم صادقين (٢٣) فلما سمعوا ذلك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم [القرآن: ٣٢، ٣٣]

ولقد كرها بيآدم وحملها في البر والبحر وزفافهم من الطيبات وفضلاتهم على كثير من حلقها للفضلة (٢٤) [الإسراء: ١٧]

الم ثم أن الله سخر لكم ما في الأرض (٢٥) [العنان: ٣] ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض (٢٦) [الجح: ٢٠]

هذا العالم الذي استعد له الإنسان هو مناط التكليف وهو آمال التبعية التي ينحصر بها هذا الخلق المفضل على كثير من المخلوقات ، الأمين على نفسه وعليها بما وهب له الله من قدرة ومن دراية .

فإذا قامت الكلمة على الخطيبة المورثة في المسيحية ، فالآمانة في الإسلام هي التي يقوم عليها الخلاص وبرفع إليها التكليف وتكتب عليها ثباته في حياته غير مخلوق عما سلف من قبله : تبعة يحملها بما كان له من قدرة عليها وعلى سائر مخلوقات الله التي في ولايته .

ولابد أن تعرض لها مسألة القدر مع مسألة التكليف . ومسألة القدر - كما لا يخفى - هي معضلة المضلالات في جموع الأديان ومذاهب الحكمية والفلسفية ، لأنها هي مسألة الحرية الإنسانية والإرادة المختارة ، وهي في الحق مسألة الإنسان الكبير في علاقته الأبدية بالكون ، فلما تناهيا عنها إلى آخر الزمان ، ولم تواجهها عقيدة غاية أو حاضرة بأفضل مما وجدها به الإسلام .

نظرة موجزة فيما انتهت إليه العقائد والمذاهب في الأمم الغابرة والحاضرة تهدىنا وبسيطة المقارنة بين مسألة القدر في تلك العقائد والمذاهب جميعها وبين هذه المسألة في الديانة الإسلامية كما بسطتها آيات القرآن الكريم .

لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (٢٧) ثم زدناه أسفل ساقفين (٢٨) إلا الذين أهوا وعملوا الفحشات (٢٩)

ذلك جماع ما يوصف به الإنسان قبيحاً من العجمادات ، وقبيحاً من الأرواح هو مخلوق مكلَّف .

العلوية على السواء .
ولهذا كان في أحسن تقويم .
ولهذا يولد إلى أسفل ساقفين .
وهيام التقويم السين الإياد وصل المصايلات ، وسبيل الرزداد إلى أسفل ساقفين وفوق التقويم السين الإياد وصل المصايلات ، وسبيل الرزداد إلى أسفل ساقفين مطلاً على الهوى والغدور والسرف وطبعان القوة والعنى ومن المثير والملع من البلاء ، والعجلة مع الصحف والإغارة .

وقصة آدم ملـىء عرض للإنسان من الخطيبة والنجاة .
خطبته لادته أبداً ولادته أبداً ، وبمحنة رهبة بئرته وما ينتفع به من علم ربه .

وعصي آدم ربه فهوى (٢١) ثم اتجاه ربه قتاب عليه وهدى (٢٢) [طه: ١٢، ١٣، ١٤] .
فكان آدم من ربه كلمات قتاب عليه إنه هو الرأب الرحمن (٢٣) [النور: ٣٧]

[العلق: ٢ - ٣]

ومن أحياناً يفترق شعبان، شعوب يغزو على شعب وكيبر يستعبده صغير... . ولم يبلغ القدر عند بي إسرائيل أن يكون نظاماً كونياً يجري عليه فضاء الله مجرى النوميس والشائع الأخلاقية . بل كان «يهوا» يجري فيه على حكم ثم يندم عليه وبidleه تارة بعد تارة على حسب الحالة التي تعطرا بغیر حسان . قال النبي أرميا يتحدث باسم يهوا . . «قم ازول إلى بيت الفخاري ونداك اسمع كلامي . فنزلت إلى بيت الفخاري إذا هو يصنع عملاً على الدولاب . ففسد الولاد والملياذ يعلم الفنا، أو عالم «الرفانا» المطلق من قبود «الوعي» والشعور

الوعاء الذي كان يصنعه من الطين بيد الفخاري فعاد وعمله وعاء آخر كما حسن في عيني الفخاري أن يصنع . فعاد إلى كلام الرب قائلاً : «هذا كالطين بين الفخار أنت كهم كهذا يهدى يا بيت إسرائيل؟ يقول الرب : ههذا كالطين بين الفخار أنت كهذا يهدى يا بيت إسرائيل . وثارة الكلم على أمة وعلى مملكة بالغلظ والهدم والإهلاك فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فاتدتم على الشر الذي قصدت أن أصنع بها ، وثارة الكلم على أمة وعلى مملكة بالبنياء والغرس فتفتعل الشر في عيني فلا تسمع لصوتى فاتد على الخير الذي قلت أني أحسن إليها به» . وقد ذكر في سفر المزوج أن يهوا وصف نفسه فقال :

● ● ●

وأمن اليهوان يعلبة القدر على العباد والمعبودين . ودوايائهم عن ضروراته قتلته الناس هارباً بهم متخدلاً لهم يطاردهم وينجني عليهم ويりهم عجزهم عن الفرار من تهمته أو نفعه رسوله «نسميس» Nemesis ربة الشار التي تأخذ أبدار بذنب الرجال وتلتحق البعيد بحريرة الغريب . وأمن المصريون الأقدميون بالقدر وبالمرية الإنسانية ، فقاموا في العالم الآخر سحمة سماوية يقف الميت بين يديها ويحاسب على أعماله وتعسّب له أو عليه صلوات الكهنة والشعفاء .

وأمن البabilيون بالطزع التي تلازم الإنسان يحكم مولده تحت نجم من النجم في علمهم من محروم السعود أو محروم النحوس . وجعلوا الأيام خربما تدور معها ولا تخرج هذه الأيام من طلعمها ، وجعلوها للمقصوص مجرماً تدار لها ولا تتغير في محاربها إلا بما يكون من وساطة المجتمع وضحايا أصحاب القرابين . والدينية الإسرائية تومن - على ما هو معلوم - بخبار الإله لشعب يؤثره على سائر الشعوب وذرية يؤثرها على سائر الدوارات ، وأناس يؤثرهم على سائر الناس قبل حروفهم من بطون الأمهات . فهو يعقوب وحاق السخط الإلهي بيعسو وهما في بطنه جنستان تؤمان ، وأصابت البركة والسلط ينهمها إلى اعتقاد الأعقاب :

كان المهند الأقدمون يعلمون للقدر الحكم الذى لا حكم غربه في جسم الموجادات ونها الإلهية والناس والأحياء والنبات والحماد، ولا فكاك من قبضة «الكارما» في أدوارها التي تتعاقب بين الوجود والفناء إلى غير انتهاء، ولا اختيار للإنسان في الحالة التي يولد عليها لأنها مقدورة عليه من قبل ميلاده منذ أول الأزل، ولا تبدل لها إلى أبد الآياد حتى ينفصل من دولاب الخلق، باختصار المولادة والملياذ يعلم الفنا، أو عالم «الرفانا» المطلق من قبود «الوعي» والشعور بالشكواة أو النعيم .

الأمر من يشاء أملن بسمى ، بيل الله الذي يرسم . . ومن أنت أنها الإنسان حتى تقارب الله ؟ أهل الجنة تقول بجلبها إذا صنعتنى هكذا ؟ أليس المترافق سلطان على الطين أن يصنع من كنته واحدة إنما الكرامة وأخرين للهوان ؟ فماذا إن كان الله . وهو يريد أن يظهر غضبه وبين قوته - احتمل مايانة كثيرة آنية غمض مهيبة للهول ، ولكن بين غنى مجده عمل آنية رحمة قد سبق فأعادها المجد

• • • • •

وتبعاً لآراء العلم الطبيعي والفلسفة النظرية في هذه المسألة كما تباعدت عقائد الأديان وأقوال المسلمين فيها ، وزبدة آراء العلماء الطبيعيين إلى أوائل القرن العشرين أن قوانين المادة تحكم كل شيء في عالم الجسد فهى ضرورات حتمية لا موضع فيها للحرية الإنسانية إلا أن تجري فى مجرسى تلك القوانين ، ثم جدت فى القرن العشرين نظريات تشكلت فى هذه الحتمية القيدة بالزاميس والقوانين يقول بها كبار العلماء من طبقه بنظر بوبر الدنمركي صاحب جائزة نوبل للمعلوم عن سنة ١٩٦٢ وصبرنبرج الالماني صاحب جائزة نوبل للمعلوم سنة ١٩٤٢ . . والأول يقرأن الكهارب لاستيعاب فى انتقامها قانوناً مطروحاً تجري علىه فى المرة وهى عنصر المادة ، والثانى يقرأن أن التجربة العلمية لا ثانى فى تكرارها بتشبيه واحدة وأن التجارب جسمياً تؤيد الاحتمالية ولاؤيد الحتمية التي اصطلح عليها جمهور العلماء الطبيعيين إلى أوائل القرن العشرين ، ويريد على هيرزنبرج علماء آخرون فيقولون إن التجارب تختلف لأن الاتضطراب العلمي لا يحيط ببعض العوامل التي تتكرر فى كل محرك ، وإننا إذا تم تحققنا من وحدة العوامل فى كل تجربة منكورة فالتشبيه لا ينفع ، وإنما يتحقق من وحدة العوامل واحدة .

• • • • •

والمخصوص مذهب الغلاطة وتفريعاتهم على هذه المذاهب فى مسألة القدر والحرية والجهة والمحمية واللاحتمالية . . إنما تستصفي منها زمرة جماعة المذهب الواقعيين ومذهب الروحين أو الماليين . . وزبدة مذهب الواقعيين أن الإنسان يفعل ما يريد ولكنه لا يريد ما يريد ، وهم يعنون بذلك أن الإرادة تختار ، ولكن هذه الإرادة نفسها مقيدة بتكوين الإنسان الذى تشارك فيه الوراثة وبنية الجسم وضرورات البيئة ، فلا يتحقق الإنسان إراداته ، بل تولد فيه هذه الإرادة وتتشاء معه بغير اختيار ، يفعل كما يريد ولكنه لا يريد ما يريد . .

وزيدة مذهب الروحين أو الماليين أن الإنسان جسد وروح . . فحسده خاضع لأحكام المادة كسائر الأجسام ، وروحه ظليق مختار ينفع بحسب جسده فى أمور ويخضع هو جسده فى أمور ، وهو المسؤول إذا اتفاد المعارض . . جسده وله يجهد للارتفاع بحرنته فى مقاومة تلك الدواعى وموازتها بما يصلحها عبد فسادها ويفهمها عبد اعوجاجها .

• • • • •

وسمح هذه المذهب لأجل مشكلة القدر على الوجه الماسم الذى تتفق عليه العقول وتراث إليه الفسبار . . وليس فيها - بتصفيتها - عقيدة تتصل عقيدة المسلم أو تقترب من حل مسألة القدر لم تقترب منه تلك العقيدة . .

وقبل أن يجعل أقوال الشفاف فى تفسير آيات القرآن الكريم نعود إلى مشكلة الشر فلما فى فاتحة هذا الكتاب أنها مشكلة شعورية ليست مسألة عقلية فى جوهرها ومشكلة الشر هي مشكلة الشر بعينها معاداة فى عبارات أخرى ، إذ هي مشكلة الحاسبة على الشر الذى يغفله الإنسان ويريد أن يعلم بمنصبه من التبعية فى احتمال جرائه .

وليس فى الأمر مشكلة عقلية ، لأن العقل لا يستطيع - مع الإيمان بوجود الله - أن ينكر قدرته وحكمته وعلمه فى إجراء حكمته وقدرته . .

والعقل كذلك لا يستطيع أن يعتقد أن الإنسان المكلف والمحروم الجامد سواء فى الاختيار ، ولا يستطيع أن ينكر اتفاقات بين الناس فى الحرية أو التفاوت بين أعمال الفرد الواحد فى الاختيار على حسب الرغبة والمعرفة .

ولما تبرأ الشكالة عذر ما عسى الإنسان فى شعوره ويشكل إلى التوفيق بين قدرة الله وعلمه فيما يصبوه من الهم الجزاء وعداب الندم والتباكيت .

والاشك علينا فى حقيقة واحدة تعتقد أنها ثلم شعبت الخلاف كثيراً بعد طول التأمل فيها . .

• • • • •

ذلك المحققة أن العدل الالهى لا يحيط به النظرية الواحدة إلى حالة واحدة ، ولا مناص من التعميم والإحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجود العدل فى تصرف الإرادة الإلهية . .

إن البقعة السوداء فى الصورة الجميلة وصمة قبيحة إذا حجبنا الصورة ونظرنا إلى تلك البقعة بعزل عنها ، ولكن هذه البقعة السوداء قد تكون فى الصورة كلها لوينا من ألوانها إلى لاغنى عنها أو التى تضيف إلى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها .

وتذليل الصعوبة في الاجواب نفسه . فإن الهدایة إذا ركبت في طياب الناس كما

تركب خصائص الأجسام على النساء بين كل جسم وجسم فتلاك هي الهدایة

الأکیة التي لا اختلاف بها بين مدارك الأدراک ولو زمان الأجسام المادية . ومن اختار ذلك فهنا يختار لنوع الإنسان منزلة دون منزلته التي كرمته وفضله على سائر

الخلوقات . فالعدل فيما اختراء الله للإنسان أعلم وأكرم مما يختاره الإنسان فإذا هو أثر

الهدایة التي تسوى بيته وبين الجماد .

• • •

ولما كان الفرار الذي يسكن إليه المسلم بعد تلاوة هذه الآيات فمن الصدق لضميره أنه لا بد أن يكون في ذلك الفرار عمل للمعقيدة الإيمانية ، وعمل العقيدة الإيمانية هو أن يعالج شعور القلق بشعور الطمأنينة والثقة ، وبخاصمة إذا أتيقنت العقل أن قدرة الله لن تكون إلا على هذه الصفة وأن حرية الإنسان لن تكون إلا على هذا الوجه ، وأن حريته على هذا الوجه لا تناقض إمكان العدل الإلهي متى التمسنا دلائل هذا العدل في آيات الكون كلها ولم تقصرها على حادث في حياة مخلوق يتغير شعوره بالآباء وعواقبها من حين إلى حين .

• • •

وكتيراً ما عمر بيتاً في رحلات الغربين إلى الشرق الإسلامي كلمات متفوقة عن التركية والعربيه مثل كلمة : «قسمة» وكلمة «مكتوب» وكلمة «امقدار» يودونها بالاشارة محرقة عن السنة العاملة في البلاد التي يرحلون إليها ، وينهمون منها أن المسلم جباري مستغنى في الجريمة يستسلم للحوادث ولا يرى أن المحاولة مجديه شيئاً في إصلاح شأنه أو تغيير فسنته . وما لأمراء فيه أن هذه الجريمة مسروعة على أفواه الجهلاء شائعة بينهم في عصور الجحود والإضلال ، ولكنها إذا انسابت إلى الدين لم يكن لتبنيها إليه سند من الكتاب الكريم ، ولا من الحديث الشريف . فإن جريمة المسلم العارف لكتابه وسنة نبيه لن تكون ك مجرية أحد من الذين أسموا قدماً بالكارما الهدنوية أو بالطريق البابلية أو بالقدر العاشر في الأساطير اليونانية ، ولا

ونحن في حياتنا القردية قد نذكر حداث يصيّنا ثم نعود فنضحك أو نتعطّل بما

كتبناه منه بعد فواته .

فانظُر إلى الكون في ألف سنة يكتشف لنا من دلائل التوفيق بين القدرة الإلهية والعدل الإلهي مالا تكتشفه النظرية إليه في سنة واحدة ، وندفع القول عن النظر للحادات الواحد في الناحية الواحدة من حياة فرد بعيته من أفراد الأمم الإنسانية .

وعلى هذا النحو نقول إننا نقترب من التوفيق بين القدرة الإلهية والعدل الإلهي والاعتقاد أننا نحيط بدلائل هذا التوفيق جمعهما . فإن الإحاطة بدلائل الحكمية أمر غير معقول في حكم العقل نفسه . إذ كان العقل المحدود لا يحيط بأقداره التي ليست لها حدود .

وعلى هذا النحو تتوارد آيات القرآن الكريم عن قدرة الله وعن حرية الإنسان وعن عدل الله في إجراء قدرته ومحاسبة الخلق على حريرته :

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا يَشَاءُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهَا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣]

﴿وَلَوْ شَاءَا لَأَتَكُلْ نَفْسَهُدَاهَا﴾ [السجدة: ٢]

﴿ذَلِكَ لِلَّهِ لَمْ يَكُنْ مُغْبِرًا لَعِنَّهُ أَنْعَمَهُ عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا إِيمَانَهُمْ﴾ [الأفال: ٥]

﴿كُلُّ امْرٍ يَتَبَعُ بِمَا كَسَبَ رِهْنٌ﴾ [الطور: ٢٢]

﴿وَمَا رِيلَكَ بِتَلَامِعِ الْعَسِيدِ﴾ [الفصل: ٦٦]

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظلَمًا لِلْعَبَادِ﴾ [غافر: ٢٢]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْمُحَشَّأِ أَنْقُرُؤُنَّ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٢٨]

ولعل الصعوبة الكبرى إنما تساور العقل من قوم قوله تعالى : «وَلَوْ شَاءَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا» (١) ... فلم لا يشاء أن يتوى كل نفس هداها على النساء؟

(١) سورة السجدة آية ١٣ .

وبحسب الذين من سلالة المعتقد وموافقيه المعلم أنه لا يحول بين صاحبه وبين البحث في العلم وقبول الرأى الذي تأسى به فخرج الكشف والاستباط ، وعلى هذه

السلة يرجع المسلم إلى آيات كتابه وأحاديث نبيه فلا يرى فيها مانعاً يمنعه أن يدرس النظر ويسرّى في مباحثاته العلمية إلى حيث يلهمه الفكر وتقويه التوجيه .

• • • • •
ذلك عالم العيب والشهادة الغير الرحيم (١) الذي أحسن كل شيء خلقه
وبدأ خلق الإنسان من طين (٢) ثم جعل نسله من سلالاتٍ من ماءٍ مهين (٣) ثم سواه
[السجدة: ٤ - ٥]

• • •
وتحف فيه من روحه (٤)

[المومن: ٦]

• • •
﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالاتٍ من طين﴾
﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالاتٍ من طين﴾
[المومن: ٦]
حيط الإنسان على التعريفات الحالية التي اشتهرت من قبل وأجملناها في أول
ندا الفصل لتفصيل إيجابيتها التعرفية للإنسان في عقيدة الإسلام .
هذا التعريف الجيد الذي زيد في العصر الاستخري هو تعرف العلماء النشوريين
الغاللين بذهن التطور أو مذهب الشهوة والارتقاء، ومعظمهم يمرون الإنسان بأنه
جوان راقٍ... فيضعون هذا التعريف مقابلة لقول القائلين أن الإنسان روح من حكوس
ملك ساقط من السماء .

ما قول المسلم في هذا المذهب الجديد؟ أثره يصدقه؟ وهل في
صوص دينه ما يفسر هذا المذهب تفسير الموقفة والتعيوب؟ وهل في تصوص دينه
يطلب تفسيراً يوجّب عليه رفضه والإعراض عنه؟
نعم لا تُنبع أن تفهم الكتاب في تفسير المذاهب العلمية والنظريات الطبيعية
عما ظهر منها مذهب قابل للماقنعة والتعديل، أو أظهرت منها نظرية يقول بها
ناس ورفضها آخرون، ومهما يكن من ثبوت النظريات المنسوبة إلى العلم فهو
جوت إلى حين لا يليث أن يطرق إلى الشك وتحجيف التعديل والتصحيح، وقرباً
إينا من فضلاتنا من يفسر السعارات السبع بالسيارات السبع في النظومة
الشمسيّة، ثم تبين أن السيارات أكثر من عشر، وأن الصغار منها تعد بالماض
لا يحصرها الإحصاء، وليس من الصواب إذن أن تقدم أصول العقيدة في تفسير
فروال وأداء ليست من الأصول في علومها ولا يصح أن تتوقف عليها الأصول ،
وجهة .

تطيع المسلم المدارف لكتابه وسنة نبيه أن يدين بجهة كجريرة المؤمن باصطدامه
له لسلالاته وخروج سائر السلالات من حظيرة رحمته ونعته ،
لا يستطيع أن يدين بجهة كجريرة المؤمن بوراثة الخطية وقبول الكفارة عنها بعمل
غير عمله . وإنما جبرية المسلم على حسب علمه بدنيه جبرية ينتهي إليها كل من
من يقدرة الله وعلمه ، وأمن بأن الهدى من طريق التكليف أصح وأدنى إلى العدل
بالهم من هداية الآية تتركب في طبائع الناس جميعاً كما تتركب خصائص المادة
في طبائع الأجسام .

الشيطان



إنما الأرجح أن يقال إن الإنسان قطرة من الأرض إلى السماء ينتها الله :

فقطة قرارها أصغر سافلين وذرتها أعلى علرين .

[الاستفاق : ١]

في الكلمة التمهيدية التي قدمنا بها الكتابا عن «إيليس» قلنا إن معرفة الإنسان

للشيطان كانت فاتحة خيرٍ لأنَّه لم يعرف الشيطان إلا بعد أن عرف الخير والشر ،

وُعرف الفرق بين الشر والخير . فُعرف أنَّ الشر لا يجوز و كان كل ما يُعرف منه أنه

لا يُسر ولا يُوافق مارييه وشهواته ، وُعرف أنَّ مخالفة المارب والشهوات لاتكون شرًا

على الدوران بل هي حشر في كثيرون من الأحيان ، ومن ثم عُرف كيف يُكبح مارييه

وشهواته فهو راضٌ مطمئن لأنه يعلم أنه عامل للخوب مستقيم على نهج الصلاح .

وقارنا في فصول الكتاب بين أسلوب الدين في تعليم الاختلاف وأسلوب التقليق

والتعليم الذي سميه بالأسلوب الأكاديمي ، أو أسلوب المطالعة والدراسة . وأنَّ بين

الإسلاميين في أعمق النفس وفي ميادين العمل لبونا جد بعيد ، لأنَّ حدود الخير

والشر في أحدهما حجوية تُقرن بالشعور والوجودان وتنمو إلى تقدیس الحجرات أو

تُنحدر إلى النفور من محبسة الشرور ، وما الأسلوب الآخر - أسلوب التقليق

والطالعة - إلا أسلوب أوراق وأوراق تدقق فيه معانى الخير والشر في الضمير

والفكر كأنها أقسام في صفحات أو تصفيقات في الودائع والخزونات .

وختمن كتاب إيليس بكلمة عن مقاييس المعايير التي تعددت وتتنوع فلا

تقاس كلها بقياس المساب أو مقاييس التجربة المحسوسة ، وبخاصية

ما كان منها متصلة بالضمير والوجودان .

ولَا يخل أن السرية الإنسانية تكشف عن أبعادها بعلم من العلوم كهذا العلم
علم المقارنة بين الأديان - وعلم الدراسات النفسية : وهو في خطوطه الأولى أو
على أبواب النتائج التي لا يدرك بالأبصار ولا بالعقل ، ولكنه يوثق قادرا
مخلوق على صورة الحالى .
مخلوق تهبيط به أمانة التكليف إلى أصغر سافلين وترفع به إلى أعلى علرين .
لكن الفائدة المبكرة التي خلصت للمعلم الإنسي من يواكِير البحث في
ذلك هو الإنسان في عقيدة الإله الواحد الذي لا أول له ولا آخر .
العلمين أن مقاييس المحقق تختلف وتتعدد ، وأن المحقق كلها لاقت اتساقاً باقراً
المساب وأناسب العامل ومحارب العلمين ومنظري الملكيين .

إن العلماء الذين يستعيرون تعبيراتهم المجازية من هذه الفوارق لا يغفلون ذلك

لعل بالافتاظ أو نظرفا بالتمثيل والتشبيه ، ولكنهم يستعيرون ذلك التعبير لأن أولى وأوضح وأقوى من كل تعبير يستعيرونه من المدرسة النفعية أو المدرسة السلوكيه أو المدرسة الانفعالية ومدارس روح الجماعة أو تضامن المهيمنات والبيغات وما إليها من المفاظ ناصحة ومعان حائلة وأسماء لم تخلق من مسمياتها شيئاً وهيئات أن تختلف ولو توسمت بها مذمات الفروزن .. . فغاية ما تبلغه أنها تأتى إلى محصول القروز بعد ذر عده وتفاته واستواه وحصده ، فتكتسب المذاون على غلاته وبيادره ولا تأمن بعد ذلك أن تضل بين تلك العناوز التي كتبتها بيدها».

«فهذه المفاظ الوجداية والقيم الروحية لاتناس بقياس الأيام وأنابيب الماء والبرامجه وتربيه غير هذه التربية . ولبسمل أدعياه العلم هذا النوع الإنساني قبل ما زرنا بالوضع الإنساني في العالم والشر والقداسة واللغة على برنامج غير هذا البرنامج وأدائه يجرب أن يلغى . فتعالوا نلنه وتعهد لأدعياه العلم جمعياً أن يدلوا بالوضع الإنساني في تعلم المطر والشمس والقداسة واللغة على برنامج غير هذا

ومن أراد أن يقيسها بهذا المقياس فهو الذي سينخطن لا مجال ، كما يخطئ كل واحد يأخذوا في تعليميه الأيدجيدية من هذه الدروس .

«ولفترض أولاً فرضًا مستحيلاً أنهم سيكتون قيل صلة قرن على معرفة بما يسمونه اليوم خرافه وما يسمونه تخفيفاً وما يسمونه دراسة منطقية أو علمية» .

«وليسدأ النوع الإنساني في هذه المدرسة بمقاييس الأخلاق على مذاهبهما وفرضها واحتلالاتها ودوردها ومنتاثتها» .

إن الإيمان شوق عميق من أسواق النفس الإنسانية ينساق إليه الإنسان يساعد من فطرته .

أما الشيء الذي يحتاج إلى آناء الفكره ورحابة الصدر وقياس كل حقيقة بما يناسها وخصائصها فذلك هو الناذ إلى أسرار الإعان .

وكل العقائد الإيمانية سواء في حاجة إلى آناء الفكر ورحابة الصدر وحسن القياس للناذ إلى إسرارها ، ولكن العقيدة في عمل الشيطان أحوج هذه العقائد لتقنول إن الحق هو حديث المطرفة الذي لا يجد إلا المفاظ والعناوز جمعها إلى التسلیم بستة المفاظ وتعداد المقاييس التي تكشف عن بوطنها وتتفد إلى كنه مدلولاتها .

«الكن النوع الإنساني ترك هذه الأكاديمية قبل مائة قرن وأمسن في طريقه الذي هدأه إليه القذر وأعدته له الفطرة . ونتيجه هذا الطريق أنه أعطى الحياة الناضجة لكل شخص فكر الشيطان كما يرفضها أدعياه العلم اللذين لو جروا على سنتهم في إثبات الأشياء لرفضوا وجود الماده الموسسه عجزاً منهم عن إدراك أصولها ، وما أصولها إلا يقين من الفوارق الحية المحسنة بين حلق وخلق فارقاً واحداً فالفارق نفهمه ونحسه ونحياه حين تكلم على الملائق الإلهيه والملائقي الملكية أو الملائق الشيطانية أو عما يتعلمهها من الملائق السماوية أو الملائق الأرضية أو الملائق الجهنمية .

«فهمها حشد من العقاده والأخيلة تعلى» به سيرة النوع الإنساني في نحوه فرن يدركها التاريخ .
«ما هي في أيام المساب أو أيام العامل أو عبار الطبيعه أو مناظر الملوكين؟

«سهل على أدعياه العلم أن يعرفوها بكلمتين : حديث خرافه» !

وحدثت الخرافه يجب أن يلغى . فتعالوا نلنه وتعهد لأدعياه العلم جمعياً أن يدلوا بالوضع الإنساني في تعلم المطر والشمس والقداسة واللغة على برنامج غير هذا البرنامج وتربيه غير هذه التربية . ولبسمل أدعياه العلم هذا النوع الإنساني قبل ما زرنا بالوضع الإنساني في العالم والشر والقداسة واللغة على برنامج غير هذا

قرن ولما نحن في تعليميه الأيدجيدية من هذه الدروس .

«ولفترض أولاً فرضًا مستحيلاً أنهم سيكتون قيل صلة قرن على معرفة بما يسمونه اليوم خرافه وما يسمونه تخفيفاً وما يسمونه دراسة منطقية أو علمية» .

«وليسدأ النوع الإنساني في هذه المدرسة بمقاييس الأخلاق على مذاهبهما وفرضها واحتلالاتها ودوردها ومنتاثتها» .

«وليحفظن فلسفات الأكاديمية كلها ويتصرج عليها» .

«ولقد سقطنا ولقد خرج منها عاشاء له أدعياه العلم من آراء .. .

«ولقد وصلنا بعد الرحالة الطويله إلى الغرن المشربن فماذا نقول؟

«لتقول إن هذا في الحق هو حديث المطرفة الذي لا يجد إلا المفاظ والعناوز وأسماء المدارس والريدين» .

ومن حضرت في ذهذه سمعة المفاظ وجدين يديه صعوبة لا صعوبه مثلها في رفض فكر الشيطان كما يرفضها أدعياه العلم اللذين لو جروا على سنتهم في إثبات خلاف من أخلاق الخير والشر والقداسة واللغنة ، وأن علم المعلماء اليوم لا يستطيع أن يقين من الفوارق الحية المحسنة بين حلق وخلق فارقاً واحداً فالفارق نفهمه ونحسه العناصر التي تشقق شعاعاً متضوراً كفى أثير لوزن له ولا حجم ولا لون ولا طعم ولا تعرف له صفة واحدة من صفات الأجسام به الأدوات .

وما نعلم من شيء، كهنة العقائد في يواعث الخير والشر قد تراهم في يد العذابية الإلهية أخذة ببعضها هذا الإنسان الصغير - بل هذا الحيوان الجمود - تقوده من عصابة الجهل إلى هداية التمييز بين الفضيلة والرذيلة وبين الحلال والحرام وبين المفروض والمظفر .

ومن ثم نرى أن مراحل الاتصال في تصوير روح الشر - أو تصور الشيطان - قد تكون من أوضح الملام لتابعة الضمير الإنساني في إرتقاءه وقيمه ، وأنه لم ينصلح أن تعرف الإنسان بقدر ما يشعر به نحو الشر من التفوه أو الحلف . ولنست بهذه المسؤولية معرفتنا للإنسان بقدر ما يتمثله من مثل العليا للخير والفضيلة . لأن مثل العليا بطبيعتها تبتعد عن الواقع وتتجزأ بالآمال والغرض ، وتبعد عنها في عالم أنسان قياس الانحطاط بالنسبة إلى المفسدين سهل محدود المسافات ولكن فياس الصعود والارتفاع بالنسبة إلى الآفاق العليا أصعب من ذلك بكثير .

ونحن - بالمقارنة بين هذه المراحل في تصوير فكرة الشيطان وسلطان الشر على النفس البشرية - نستطيع أن نبين مرحلة العقبة الإسلامية من هذه المراحل وأن نعرف منها مدى قوة الضمير الإنساني في مواجهة الشر كما طرأت على العقائد لأول مرة في تاريخ الأديان .

بدأ الإنسان خطواته التغيرة في طريق الخير والشر حينما ضعيفاً يفهم الشر وللتهم الشر ولابد منه ، وإذا فهم الشر فليغاً هو الشرور في جسده أو فيما يطلقه على مطلب الطعام والشراب والأمن والراحة ، وكانت الأدوار كلها صارمة الجسد من عقيدة الهندسة فعقيدة الهندسة عقيدة الـ « سبست » شريرة مع أعدائه ومحالفه ، وربما تلاحقه بالأذى والإساءة مالهم يتوصل إلى مرضانها بوسائل الشفاعة والضراعة أو بوسائل الفحصانا والفارابين .

ثم اقتسمت الأدوار عنده إلى ضارة وغير ضارة ، ومالم يكن ضاراً منها فليس من أروع أسللافه وذري قراته بصادقه كما يصادق الآب فربه والتربي ذري قريبه .

ثم طالت مرحلته في هذه الطريق حتى سنت له بصيص من التمييز بين الضمير الذي يجوز والضرر الذي لا يجوز ، وقد سنت له هذا البصيص ، من عادة الارتباط

بالعهود والمواثيق بينه وبين أربابه وبينه وبين عشيراته وخلفائه ، فما كان مخالفها للمعهود والمأثيق فهو ضمور مستغرب لا يجوز ، وما كان ضروا لا يجوز فهو لون من ألوان الشر الذي كان محظوظاً قبل الارتباط بمعهود الصلاة والعبادة أو عهود العائلة والولاية .

وربما عسر الإنسان في هذه المرحلة عشرات القرون حتى وصل إلى عهد الحضارات العليا ووصل من ثم إلى الديانات التي تلائم عقله وضميره في كل حضارة منها .

هناك عرف الشر والخبيث وعرف التمييز بين ما يجوز وما لا يجوز ، وهناك ظهرت فكانت عقيدة الهندسة كلها شر أصليل فيها فلا خلاص منه إلا بالخلاص من الجسد ، وكان الشر عندهم مراداً للهدم والفساد ، يتولاه الإله الواحد في صورة من صورة الثالث : صورة الخالق وصورة المحافظ وصورة الهايم الذي يهتم ببلدية ما بناء وما حذفه في صورته الأخرىن .

وكانت عقيدة الشتوية من معجوس فارس أن الشر من عند إله الظلم وأن الخبيث من عند إله الدور ، وأن الغلبة أحياناً لإله الدور بعد صراع طويل .

وكانت عصر الفرعونية أن الإله « سبست » شريرة مع أعدائه ومحالفه ، وربما كان منه الخبيث لا يتابعه ويتوبه ، ولم يكن خلاص الروح عندهم منفصلاً عن حلال الجسد ، ولا العالم الآخر عندهم مخلوقاً على مثال أرفع من مثال الحياة في دنيان .

ويعمل علماء المقارنة بين الأديان إلى تنضيل العقبة الهندسة على العقبتين الفارسية والمصرية ، ولكن تفضيل لا يقوم على أساس صحيح . لأن إلغاء الخبيث في عالم الملة بخلافه لا ينفع فيه مهلاً للخبيث ولا يجعل الخلاص منه إلا بالخلاص من مكان موبيه حملوه كحمله الأبعاد والبيانات وليس في هذه العقبة الهندسة

ثم انتقلت فكرة الشيطان مرحلة واسعة بعد ظهور المسيحية فتم الانفصال بين الصنفات الإلهية والصفات الشيطانية، وأصبح لإجله عمل والشيطان عمل ، ولكنه عمل جسم يوشك على إيجاد عمل والشيطان عمل «أهريان» إله الظلام . لأنه سمي في الأناجيل باسم رئيس هذا العالم وأسم إله هذا الدهر ، وكانت له مملكة الدنيا ولله مملكت السموات ، واستحق بشرط كبير من قصبة الخلقة في السماء والأرض ، فلولا ما وقعت الخليعة ولا سقط الجنس البشري ولا وجبت الكفارة بالغداة .

وانتقلت فكرة الشيطان بعد مراحلها على ضمير الإنسان مالم يتسلّم لها بدوره أو يضعف منه وكلها قوة لا سلطان لها على ضمير الإنسان بعد ظهور الإسلام فهو قوة الشر لامرأة ، واستقلّت فكرة الشيطان إن بعد مراحلها بعد ظهور الإسلام فهو قوة الشر لامرأة ،

[المحجر : ٢٤]

[السباء : ٧٧]

[ابراهيم : ٢٢]

[المحجر : ٢١]

وإن عبادي ليس لك عليهم سلطان

وإن كيد الشيطان كان ضعيفا

ومما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوركم قد استحبتم لي في لوسوني ولو مروا أفسكم

ولهمدأ لم تتميز قوة الخير وقوه الشر بفضل حاسم في الدينية العربية ، وكان الشر الكاذبة التي يدين بها اليوم أكثر من نصف الأمم الإنسانية ، وينغلغل أثراها في الآخرين شيئاً فشيئاً ولو لم تحتج عن عقائدها الأولى .

تميزت بين ديانات الأولين الدينية العبرية والمدينة المسيحية والدينية الإسلامية ، وكانت الدينية العبرية جسراً بين عدوتين : إحداهما عدوة الوثنية والآخرى عدوة التوحيد والتنزية .

وقد كانوا ينسبون العمل الواحد مرة إلى العبيد «يهووا» ومرة إلى الشيطان فجاءه واحد يحيط على الغيب أو ينجد إلى أسرار العالم الجمّول :

لو كانوا يعلمون العيب ما يشرافي العذاب المجهين

في كتاب صموئيل الثاني أنَّ رب غضب على إسرائيل فما هاج عليهم الملك داود وأمره بمحاصتهم وأحصمه بيهودا معهم ، وجاوه في كتاب الأيام أنَّ الشيطان هو الذي وسوس للداود باجرائه هذا الإحصاء ولم يرد اسم الشيطان قبل ذلك في كتب التوراة مقررونا بأدلة التعريف التي تدل على الأعلام كانه كان واحداً من ألوان كثيرة تعمل هذه الأفعال التي انحصرت بعد ذلك في روح واحد يسمى الشيطان ، ويستعين بما كان لهم من سحر لأنَّ تفصل الأبعاد والبعاد كثيًّا ضلال المسحور ضرب

واما هم يضارون به من أحد إياذ الله

[البقرة : ٣٥]

[البسملة : ٣]

من ضلال المحمور .

ما يجعل للهدم لازمة غير لازمة الحق والحقيقة ، فكلها من لوازم عمل الإله يغير تفرقه بين هذه الأطوار تائني من الإله أو تائي من العباد .

وإذا كانت عقيدة مصر الفرعونية أقرب هذه العقائد الثلاث إلى تنزيه الصور الإنساني من لوبيات الوثنية ، لأنها جعلت للشر نوعية منفردة بين نظم الأكون ، كانت هي نوعية التمرد في عالم يقوم على الشريعة والنظام .

● ● ●

ثم تميزت من بين عقائد القبابل البدائية والحضارات العليا عقائد البيانات الكاذبة التي يدين بها اليوم أكثر من نصف الأمم الإنسانية ، وينغلغل أثراها في الآخرين شيئاً فشيئاً ولو لم تحتج عن عقائدها الأولى .

تميزت بين ديانات الأولين الدينية العبرية والمدينة المسيحية والدينية الإسلامية ، وكانت الدينية العبرية جسراً بين عدوتين : إحداهما عدوة الوثنية والآخرى عدوة التوحيد والتنزية .

وقد كانوا ينسبون العمل الواحد مرة إلى العبيد «يهووا» ومرة إلى الشيطان فجاءه واحد يحيط على الغيب أو ينجد إلى أسرار العالم الجمّول :

لو كانوا يعلمون العيب ما يشرافي العذاب المجهين

في كتاب صموئيل الثاني أنَّ رب غضب على إسرائيل فما هاج عليهم الملك داود وأمره بمحاصتهم وأحصمه بيهودا معهم ، وجاوه في كتاب الأيام أنَّ الشيطان هو الذي وسوس للداود باجرائه هذا الإحصاء ولم يرد اسم الشيطان قبل ذلك في كتب التوراة مقررونا بأدلة التعريف التي تدل على الأعلام كانه كان واحداً من ألوان كثيرة تعمل هذه الأفعال التي انحصرت بعد ذلك في روح واحد يسمى الشيطان ، ويستعين

بن على شاكته من الأرواح .

العبادات



[طه: ٢٧]

يُخْبِلُ إِلَهٍ مِنْ سُحْرٍ هُمْ أَنْهَا تَسْعَىٰ

يعرف الدين بعباداته بين أنس كثيرين لا يعرفونه بعقاده، ورعا استدلا على العقاد بالعبادات لأن العبادة فرع من العقيدة يشاهد عيانا في حيز التنفيذ أو التطبيق. ولكنها - على هذا - من فروع العقائد التي يقل فيها المخلاف وتضيق حولها مواضع الجدل في الخصومات المذهبية. إذ كان الغالب على العبادة أنها شعائر توقيفية تؤخذ بأوضاعها وأشكالها، ولا يتوجه الاعتراض إلى وضع من أوضاعها إلا أمكن أن يتجه إلى الوضع الآخر لواستبدل منها ما يقتربه الفترح بما

لما ذكرت الصوم شهورا ولا يكون للأسباب أو خمسة؟

منذ العقيدة الوج다انية الفكرية أقام الإسلام عرش الضمير، وظل عرش

لماذا تكون حصة الزكاة جزءا من عشرة أجزاء ولا تكون جزءا من تسعه أو من جرى عليه العمل وقامت عليه الفريضة من شتايتها.

من حق الباحث المنصف أن يضيفها إلى عقائد الإسلام له وفي النسي وفى الإنسان، فإذا عرف الانصاف فما هو بقدار على أن يزعم أن دينه محرفة من ديانة محرفة من ديانة سبقت، وألا يعرف الصواب فما هو من اعتراض بتمثال هذه الاعتراضات قليس ما يعمد أن يعود إلى الاعتراض لو فرض الصيام ثلاثة أسابيع، أو فرضت الزكاة فوق مقدارها أو دون هذا المقدار، أو على أن يجحد مرتقاه في إطار الإيمان وأنه عادة ارتفع إليه ضمير المؤمن في فرض الصلاة على وضع غير وضعمها الذي اتفق عليه أتباع الدين.

وليس معنى ذلك أن هذه الأوضاع لا تعرف لها أسباب تدعو إليها وتفسر لنا أسبابها دون غيرها، ولكنها فى نهاية الأمر أوضاع «توقيقية» لا موجب من العقل للحكم فيها بالافتراض والتعديل، لأن الفرج العدل لن يستند إلى حجة أقوى من الحجة التي يرفضها ويقبل إلى سواها.

ويسرى هذا على كل تنظيم في أمور الدنيا ولا يسرى على أمور الدين وحده.

فلمادا يكون عدد الكتبية في جيش هذه الأمة ٥٠ - مثلا - وليكون في جيش أمنه

صورة من صوره يقصى إلى غاية واحدة هي خلاص الإنسان من رقعة الانحصار في
غيرها، أو مائة؟ ولذا يجعل الدين الأختصر رمزاً لهذا المعنى في الم WAN العلم

القوسي عند قوم من الأقوام ، وهو مجعول لغير هذا المعنى عند أقوام آخرين؟
مطلوب اليوم والمساحة أو مطالب العمر المحدود بحياته الفردية .

● ● ● ● ●

عبادة المسلم في جميع فرائضها تتکفل له بالتبني الدائم إلى هاتين الحقيقةين .

إنه في صلاته يستقبل النهار وتوسطه مرتين ثم يختنه ويستقبل الليل بالوقوف
في كل كبيرة وصغرى من شهور العقادنة الفكرية أو عقائد الضمير .
بين يدى الله كأنه يستشهد به في عمله ويؤدي إليه المساب عن هذا العمل من
ساعة اليقظة إلى الساعة التي يستسلم فيها للرقاد أو ينطوي فيها تحت جنح

النلام .

ولأن المسلم في صيامه ليذكر حق الروح من شراه وطعمه ، وليذكر أنه ذو إرادة
تأخذ بيدها زمام جسدها ولا تترك لها الجسد أن يأخذ بزمامها ويتصرف بها على
هواء ، وأصبح ما يكون الصيام الذي يتباهي الفضيم إلى هذه المحقيقة أن يقدر المرء على

الاتياج من فريضة . إذ لا يدرك أن العبادة التي تؤدي غرضها أفضل من عبادة وفرضية أولى
لا تؤدي هذا الغرض ولا تؤدي غرضًا من الأغراض ، ولا يشك في وجود المزايا التي
تضفاها العبادات وإن لم تكن هذه المزايا داخلة في الغرض المقصود بشعار
ترك الشراب والطعام فخرة من الزorn ، ولا يكون قصاره منها أن يستبدل شراباً بشراب
والهراء .

والغرض من عبادات الأديان ينطوي على أغراض متعددة يضيق بها المحصر
لأنها تقابل أغراض الدنيا جمعها بأغراض الدين . ولكننا قد نجمعها بجهد المستطاع
في تتبیئة التدلين على الدوام إلى حقيقتين لا ينماها الإنسان في حياته الخاصة أو
المجتمع إلا اهبط به التسبيان إلى درجة البهمية واستغراق في هموم مستقلة لا فرق
بتناها وبين هموم الحيوان الأعمجم ، إن صبح التعبير عن شواغل الحيوان الأعمجم
تهوى الأنفس من الشراب والطعام .

ولذا كان الإسلام ديناً يدعى الناس كافة إلى عبادة رب العالمين فالمحاج هو الفريضة
التي تستمثل فيها هذه الأخوة الإنسانية على تباعد الديار والاختلاف الشعوب
والأنجلان ، وهي في اصطلاح العرف الشائع بين الناس عتابة صلة الرحم وتبادل
الزيارة بين أبناء الأسرة الواحدة يجمعها الملائكي في المكان الذي صدرت منه الدعوة
إليها ، وهو أجدر مكان في يقان الأرض أن يتم فيه هذا القاء .
ولا حاجة إلى بيان حكمية الركن الأول من أركان الإسلام وهو ركن الشهادتين .
شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهاده أن محمداً رسول الله .
فهيأتان الشهادتان هما الركن الذي تقوم عليه أركان العبادات الإسلامية ، وبعده
لا يكون المسلم مسلماً بعاقده وعبادته .

لا مناص في النهاية من مطالب توقيفية يكون التسلّم بها أقرب إلى العقل من
الحادية فيها ، لهذا يقل الخلاف بين أصحاب الأديان في شعائر العبادة حيث يذكر
في كل كبيرة وصغرى من شهور العقادنة الفكرية أو عقائد الضمير .
إلا أن هذا كل لا يقضى علينا بغير كل وضع ينطر على البال .

ولايعدنا أن تناضل بين العبادات فترى منها عبادة أفضل من عبادة وفرضية أولى
لا تؤدي هذا الغرض ولا تؤدي غرضًا من الأغراض ، ولا يشك في وجود المزايا التي
تضفاها العبادات وإن لم تكن هذه المزايا داخلة في الغرض المقصود بشعار
العبادات .

والغرض من عبادات الأديان ينطوي على أغراض متعددة يضيق بها المحصر
لأنها تقابل أغراض الدنيا جمعها بأغراض الدين . ولكننا قد نجمعها بجهد المستطاع
الدوام هي وجوده الروحي الذي يتبعنى أن تشتعل على الدوام بمعطاب غير مطالبه
الإنجذبة وغير شهوانه الجنواية .
إحدى الحقائقين التي يراد من العبادة المثلثى أن تتباهي فضيمه هي الوجود
والحقيقة الأخرى التي يراد من العبادة المثلثى أن تتباهي إيجابها ضميمه هي الوجود
الأخالد الساقى إلى جانب وجوده الرأى المحدود في حياته الفردية ، ولا مناص من
تلذذك الفرد لهذا الوجود المخلد البافى إذا أريد فيه أن يحيا حياة باثارها إلى ما وراء
معيشته اليومية ورداً معيشة أيامه نوعه . وعيناً يترقب الإنسان من
مرتبة البهمية إلى مرتبة تعلوها إن جاز أن يعيش أيامه يوماً بعد يوم وهو لا يذكر أنه

الفصل الثاني

العبادات



والشعارات أسهل العبادات بلفظها لأنه لا يبعد أن يكون نطقا بكلمات معدودات، ولكنها عندها أصعب الأركان في الأديان لأنهما انتقل من دين إلى دين بل مرحلة واسعة بين تاريخ و تاريخ .

-
-
-

وعلى هذه الورقة وما شابهها في الفرائض الإسلامية يباح للمسلم أن يوفق بين عباداته التوفيقية وبين أنها لها للشخص من العبادة ، وهو تذكرة بوجوب الروحى وتذكيره بوجوده أسمى من وجوده وأبقى . فإذا كان تحقيق الغرض من العبادة هو مترى النفاذ بين الشعائر التوفيقية فحسب الإسلام من حرية في شعائره أن يوفق بين أوضاعها وأغراضها هذا التوفيق ، ولم تكن له حرية أخرى .

على أن عبادات الإسلام قد امتازت بين عبادات الأديان بحرية لانتظار لها في إقفالها وأزفاتها بالنظر إلى حقيقتها أو بالنظر إلى جماليات المحدثين بها ، وذلك سرتى إستينة التي يرعى بها استقلال الفرد في مسائل الفضمير خير رعاية تتحقق لها في ظلام حياة .

فالعبادات الإسلامية يجمعها تكليف الفضمير الإنسان وحده لا يتوقف على قسيط هيكل أو تربّب كهاته .

يصلى حيث أدركه موعد الصلاة « وإنما تكونوا فثم وجه الله » .

وتصوم وفطر في داره أو في موطن عمله ، ويصح فيذهب إلى بيت لا سلطان فيه صحب سداته ولا حتى عنده لأحد في قرياته غير حتى الساكين والمعوزين .

ويذهب إلى صلاة الجماعة فلا تتقدّم صلاته الجماعية بتأسّم كمهابة أو أباوة حرب ، ونؤمنه في هذه الصلاة الجماعية من هو أهل للإمامية بين الحاضرين حتى يتراهم ل ساعتهم إن لم يكن معروضا عليهم قبل ذلك .

إنه الدين الذي تعلم منه أن الإنسان مخلوق مكافٍ .

لا حرج تقويم عباداته على رعاية حق الفضمير المسؤول واستغلاله بمشيئته أكرم به .

ومرة أخرى نعود في شتائم هذا الفصل عن العقاد فسئل : أهلاً هو الدين الذي يحيى من يذر ما يقول أن يزعم أنه نسخة محرقة من دين قدم ؟

والذى نراه من مراجعة النقد الدينى أن المكتوبين لتعريف الأديان لشمول
المعاملات مختلفون لا يجتمعون عقولهم مؤونة الرجوع إلى شأة الشرائع الدينية فى
أوقاتها ومتاسباتها . لا لغوفوا أن هذه الشرائع لازمة للمعاملين بها لزوم العقائد
والوصايا الأخلاقية ، وأن العقائد تضطرم بالواقع كما تضطرم به أحكام الشريائع ،
فلا معنى لاختصاص أحكام الشرائع وحدها بالنقد إذا كانت العقائد معها عرضة
للامتحان مع تقبلات الأحوال وبعد الطوارىء والضرورات .
والواجب فى رأينا أن يكون النقد كله موجهها إلى المعاملات ذاتها إذا كان فيها
ما يحافى مبادئ العدل وأصول الأخلاق ويتحول دون محاراة الأخذين بها لستن
الظهور والتقديم وضرورات الحياة العلمية جيلا بعد جيل .

ولو أن النقاد الدينين كانوا أنفسهم أن يتبعوا المسابب التشريع فى الأديان
الكتابية الكبرى لعلموا أنها قامت بقيام تلك الأديان فى ظروف محتم النظر فى
التشريع كما محتم النظر فى الاعتقاد ، ولعلموا أن أديان المضاربات الأولى التي
استعنت عن وضوح نصوص الفتوافى لم تكون ل تستغنى عنها إلا أنها نشأت فى دول
حربيقة الحكومات والأحكام ، ومن أعرق تلك المضاربات الأولى حضارة مصر
وحضارة بابل وحضارة الهند وحضارة الصين . فهذه جميعا قد ظهرت فيها الكهنة
محاجوا للدولة صاحبة الفتوافى والأحكام ، ولم تخالص العقائد فيها مع ذلك من
الاسترجاع بالفتوافى من مصادرها وأسانيدها يوم كان كل أمر مقدس واجب الطاعة
مستخدما من الأوامر الإلهية . ولكن رسالة الدين هنالك تكون منعزلة عن رسالة
الدولة فى عقائدها ولا فى شرائعها ، فلما قامت رسالة الأنبياء من دعاة الأديان
الكتابية قامت بعمول عن الدولة بل قامت ثائرة على الدول من حولها فوجب لها مع
العقائد تشريع يتناول أحوال manus وأحكام المعاملات .
ويصدق هذا القول على الأديان الكتابية الثلاثة بغير استثناء لل المسيحية التي
تفقهها من معاملات البيع أو معاملات الأحوال الشخصية وما إليها من أبواب
أحكام التي لا ترد الشبهة عليها من خصوم الإسلام ومن يشررون الأباطيل عليه .
يقالنا بعض هذه الأبواب في موضوع من الكلام على حقوق الاجتماعية ،
كتنا لانسبها من مواطن الشبهة التي يقال من أجلها أنها قد حللت بين
سلفين فعلا وبين التهوض باغراء العمل الاقتصادية وأعمال التشريع فى العصر
حديث .

فالراجم أن السيد المسيح قد جاء مؤيدا لشأة العهد القديم ولم يجرى مبطل لها أو
معطل لأحكامها : جاءه متعمدا للناسوس ولم يجيء هادما للناسوس . وكان العالم من

من العلماء المشغلين بالمقارنة بين الأديان من سلم لعقائد الدين سموها
وزراعتها ولكنه مع هذا يعيّب الدين نفسه بشرائنه وأحكامه معاملاته . إنما لأنه يرى
أن الأديان ينبغي أن تكون مقصورة على العقائد والوصايا لا تتعرض للتشريع
واحكام المعلمة التي تضطرم بالحوادث العملية وتجبرى مع تقبلات الأحوال فى
البيات المختلفة والأزمات المعاقبة على سن شنى ، ولا تحضى للنص الواحد فى
جميع اطوارها وملابساتها .

هذا ، أو لأنه يعيّب المعاملات لذاتها ويرى فيها تعصى يتجاجى بها عن مبادئ
العدل وأصول الآداب المرعية بين أمم الحضارة .

وقد تعمدنا من أجل هذا - أن نتبع الكلام على العقائد الإسلامية بالكلام
على المعاملات الإسلامية ، ومحررنا فى الكلام على هذه المعاملات أن تتصورها على
أبواب المعاملة التي وردت فيها أشد الشبهات على الشريعة الإسلامية فى العصر
الحاضر ، من جانب علماء المقارنة بين الأديان أو من جانب المبشررين العاملين على
تحويل المسلمين فى بلا دعم عن عقائدتهم وأحكام دينهم . ونقدم بالقول - على
الشخصين - تلك المعاملات التي قبل أنها عمل تاجر المسلمين وعجزهم عن الأخذ
لأسباب المضاربة ومضاربة الأم فى ميدان الأعمال الاقتصادية والشريائع العملية ،
تعنى بها معاملات الشركات والمصارف ومعاملات الجزاء والعقاب فى الفتوافى .
ليس من غرضنا فى هذا الكتاب أن نبسط القول فى المعاملات بعنوانها المعروف بين
人群中 من معاملات البيع أو معاملات الأحوال الشخصية وما إليها من أبواب
أحكام التي لا ترد الشبهة عليها من خصوم الإسلام ومن يشررون الأباطيل عليه .
يقالنا بعض هذه الأبواب في موضوع من الكلام على حقوق الاجتماعية ،
كتنا لانسبها من مواطن الشبهة التي يقال من أجلها أنها قد حللت بين

تشريع الجزاء والعقاب أحكاما لا يقرها اليوم أحد من المؤمنين بها ، وإن كان من المؤمنين بياحه الشرعية من الله إلى كليم الله .

فمن الشهون التي كان يتولاها الكاهن تحيص أعراض العزل والأدواء وعزل الصابرين بها لاعلان مخاستهم على الملا لاعقادهم أن المرض الخبيث المعدى محابة منافية للطهارة الدينية أو ضرورة من الفضوليات الإلهية ، ويشرح كتاب اللاوين في الإصلاح الثالث عشر منه مثلاً من ذلك فيقول في بيان المعاملة الواجبة للمقصرين بالبرص :

إذا كان إنسان قد ذهب شعر رأسه فهو أقبح . إنه طاهر . وإن ذهب شعر رأسه من جبحة وجهه فهو أصلع . إنه طاهر . لكن إذا كان في القرعة أو الصعلة ضربة يضمه ضاربة إلى الحمرة فهو برص مفرخ في قعرته أو في صعلته كمنظر البرص في جلد الجسد فهو إنسان أبصري ، إنه نجس ، فيحكم الكاهن بحسنته . لأن ضربته في رأسه . والأبرص الذي فيه الفضول تكون ثيابه مشقوقة ولأسه يكون مشقوقا

أما الدينية الكتابية الأولى فهمها يكن الرأى في نصوص شرائعها اليوم فقد كان التشريع فيها يوم الدعوة إليها لازما كلزوم الدعوة إلى العقيدة أو الوصايا الأخلاقية : كان موسى عليه السلام يقود شعباً يغزو دولة إلى أرض يضمون فيها حكماء غير الحكم الذي خضعوا له في موطنهم الذي تركوه من أرض الدولة المصرية . فلم يكن رسالته رسالة عقيدة وحبة ، لم يكن قيام العقيدة ميسوراً بغير قيام القانون . وكل نقد يوجه إلى أحكام العادات يمكن أن يوجه مثله إلى العقائد والوصايا . لأن التحجر وسوء الفهم غير منصورين على الأعمال والتطبيقات ، أو سبليهما إلى العقائد النظرية أيسر من سبليهما إلى الواقع العملية . إذ كانت الواقع العملية ما يضرط الخطيء إلى الشعور بخطئه ، وليس في العقائد النظرية ما يضرط العتقيد إلى الشعور بالخطايا من أول وهلة ، إلا إذا تغير شعوره وتغير وجدهانه فارتفع بنفسه وأحوال معيته من الخطأ إلى الصواب .

ولن شاء أن يشير إلى المعاملات في كتب الشرائع السماوية كما يشاء ولكنه يجد عن جادة الإنصاف إذا اخترع الشريعة الإسلامية ينعده كأنها الشريعة الكتابية الوحيدة التي تفرض المعاملات . فإن الشريعة المسوية إلى موسى عليه السلام قد تناولت من أمور العيش ما هو اليوم من شئون الأطباء ، وتناولت من حمله مكانتها بالشرعية الدينية المذمومة : للمهمل شرائعه من أراد أن يتبعها ويعمل بها فذلك إليه . ومن هنا استطاع المسيح أن يقول للذين تعمدوا أن يحرجوه في مسألة الفوارق : « أعطوا ما لغيره وما لله » . فلم يجد من لزام رسالته أن يثور على شرائح الدولة ولا على شرائح الدين . لما جاءه المكابرون من اليهود بالرأفة ليسمو برجسمها ويعظمون ثم بسلطان المهمل رد عليهم كيدم باسمائهم كما أحرجوه . فقال لهم : « من لم يخطئ منكم فليرموا أولاً بحجر » . فلم يقل إن حكم الرجم باطل ولم يأمر به فيقيم المحجة عليه لاصحاح السلطان في هيكل العبادة والشريعة ، وكانت ثورته في لبابها ثورة على الرداء في دعوى الأمانة على الشريعة الدينية ، ولم تكن ثورة على الأحكام والنصوص كما وردت في كتب العهد القديم . ● ● ●

فما منع الإسلام قط معاملة بين الناس تتفهم وتخلو من الضرر بهم والعن على

غيري منهم ، وأساس التحرير كله في الإسلام أن يكون في العمل الخرم ضرر ، أو

إيجاف ، أو حطة في العقل والخلق ، ما فرض الإسلام من جراء قط إلا وهو «حدود بشرطها وقيودها ، صالحة على موجب تلك الشروط والقيود لازمان الذي شرعت فيه ، وكل زمان يأتى من بعده ، لأنها لا تجهد ولا تتحرى شيئاً غير مصلحة الفرد والجماعة ، وكفى باسم «الحدود» تسبها إلى حفائق الجرائم والعقاب في الإسلام . فإنها «حدود» بيته وأخصحة تقوم حيث قامت أركانها ومتقادها وتحققها ومحببتها . ولا فهى حدود لا يقر بها حاكم ولا محكوم إلا حاقت به لعنة الله .

والشبيهة المترافقه في العصر الحاضر إنما ترد على المعاملات الإسلامية من قبل الناقدين والبشررين ، لأنها نفس ضرورات العبيضة التجديدة في كل يوم ، وترتصد في طرقه حيث سار وأيتما اضطررت به صروف الرزق والكبب ومرافق المسلم والتدبر . وتحرر الناقد الموطن الحساس من نفس المسلم حين يلقي في العمل أن شيئاً في دينه يدل عليه عن العمل في عصر المصادر والشركات ، وأن روعه أن شيئاً في دينه ينفعه إلى الوراء ولا يصلح للتطبيق في عصر النظم الحكومية التي شيئاً في دينه ينفعه إلى الوراء ولا سبأة على أحد ، فلم يتم لهم سلطان يتولى فرض مجردي القضاء والجزاء على أصول العلم والتهذيب .
وليس في المصادر والشركات شيء نافع بريء من الضرر والعن يحرمه .
الإسلام .
وليس في أصول العلم والتهذيب شيء ينافض حدود الجرائم في شريعة الإسلام .
تناقض شبهة المعاملات الاقتصادية في مسألة واحدة هي مسألة الربا الذي يقرر الناقدون أنه قوام المصادر والشركات .
• • •
وتلخص شبهة القضاء والجزاء في حدود السرقة والزنا والخمر والممارنة بين عقوباتها في الإسلام وعقوباتها في الشريعات الموضوعية التي تسمى بالشرعية .
العصيرية .

منها ثياب الكهان والخدم بأمر من الله لموسى تذكر ذكره في الكتب الخمسة المسؤولية إليه .

هذه الأوصي الفصلة في معاملات العبيضة ومعاملات الجرائم والعقاب مستقرة على السواء في رأى الناظرين إليها من وجهة نظر غير وجهة الم الدين المنشئين بها إلى اليوم . ولكننا - بعد الإلام بها - نعود فنكر أنها لاسوغ الغريل بضرر الدين على العفائد والوصايا دون الشرائع والمعاملات . فإن الخطأ يعزى العقيدة كما يعزى الشريعة ومرجع الأمر إدنا إلى الصلاح والفساد إلى العمل أو الاعتقاد . وما كانت عقائد بشىء إسراويل يثبت على الزمن من معاملاتهم وشرائعهم التي دادواها بعد عصر موسى الكليم ، ولعل حاجتهم إلى معاملات تشبه تلك المعاملات في الجملة كانت أشد من حاجتهم إلى عقائدهم كما تداولوها بعد عوردهم المهجورة .
وكل ما يجوز لنا أن نستخلصه من دراسة الشريعة النسوية إلى موسى أننى سرتيل لم يمكن لهم رسالة عالية إنسانية ، وأنهم قد وافتتهم عقائدهم ومعاملاتهم فى عزولهم بين أيديه المصادرات الأولى . فلما انتهت رسالتهم المحدودة بما يوفقهم فرقوا بين الأم من غير دوله ولا سبأة على أحد ، فلم يتم لهم سلطان يتولى فرض مقاييلهم ومعاملتهم على الأيام ولا على أنفسهم ، والاقتصى دروهم التاريخى فى أمر عقائده وأمر المعاملات .
وكذلك تتفق النظرتان إلى هذا التاريخ المصحون بدلالاته ومعاريه : نظرية المؤمن حكمة الغيب العجيبة فى تسيير مقادير الشعوب ، ونظرية المؤمن بغيره التاريخ دون واه .

وعلى هذه السنة من المساواة بين حق الدين فى تشر العقائد وحقه فى فرض شرائع ومعاملات تنظر إلى معاملات الدين الإسلامية كما تنظر إلى عقائده فلا فيهما ما يعوقه عن أداء رسالته العالية الإنسانية التي توفرت له بدعوه إلى الله حد هرب العالدى أجمعين وختال الأم بلا تمييز بينها فى المفطورة عنده غير ميزنة عقوى والصلاح : رب المشرقين والمغاربين يصلى له المرء حيث شاء ، وأيضاً تكونوا وجده الله .

فليس هذا تحريرا إنسانيا منيعا من شعور بالرحمة والعدل في المعاملة، ولكنه تحرر عصبية يسيء من القسوة على أبناء الأم الإنسانية كافة ما يحرومها في معاملة الإسرائيلى لأخيه .

وقد سرى تحرير الربا فى شعب إسرائيل دون غيره إلى ما بعد قيام المسيحية وأعلانها الدعوة إلى جميع الأمانة إبراهيم بالروح ... فحررت الربا فى غير شعب إسرائيل ولم تقييد قريبه بقوم من المؤمنين دون آخرين .

ثم سرى تحرير الربا من أولئك عهد المسيحية إلى قيام حركة الإصلاح وانتلاق الكاثوليك عن كنيسة روما البابوية . فاتفاق الكاثوليك جميعا على تحريم الربا واستبداله بالبدلات . وإنما في الإسلام فدعا من تحرير قط ورد فيه إلا وهو مستغفيع بحدود تقييم الفاصل بينه وبين الكسب والمحلال .

ولا ينسى القارىء المسلم - قبل أن يضع نفسه موضع المطالب بالدفع عن دينه - أن الناقدين والمشيرين يغالطون أنفسهم حين يختصرون الإسلام بالنقد في مسألة الربا - على التخصيص - فإن الربا محظوظ أشد التحرر في اليهودية والمسيحية من شرائع العهد القديم إلى شرائع الكنيسة في القرون الوسطى إلى شرائع المؤذنات وأتباعهم بعد عصر الإصلاح . وقد كان تحرير الربا في اليهودية والمسيحية عاما مجحلا بغدر يopian للفارق بينه وبين المعاملات الحاملة من صفات البيوع والبدلات .

حرر الربا تحريرا ياما في الكتاب المنسوب إلى موسى عليه السلام . فجاء في الإصلاح الثاني والعشرين من سفر المتروج :

«إن افترضت فضة الفقير الذي عندك فلأتكون له كالغيرين» .

وفيه بعد ذلك .

قال لوثر في شرح أنواع الربا التي تروج باسم التجارة ما يلخصه فيما يلى :

«إن هناك أناس لا يتلبى ضميرهم أن يبيعوا بضاعتهم بالنسبة في مقابل أثمان غالية تزيد على ثمنها التي تباع بها تقدما ، بل هناك أناس لا يجيرون أن يبيعوا شيئاً بالفقد ويتذرون أن يبيعوا سلعهم جميعا على النسبة» . ثم قال :

«إن هذا التصرف مختلف لأوامر الله مخالفته للعقل والصواب . ومثله في مخالفته الأوامر الإلهية والأوامر العقلية أن يرفع البائع السعر لمعلمته بقلة البضاعة المعروضة أو لااحتكاره القليل الموجود من هذه البضاعة ، ومثل ذلك وذلك أن يعمد الشاجر إلى شراء البضاعة كلها ليحتكر بها ويشكر في رفع أسعارها» .

«أن يكت العملاء والولاة وقت لهم إنكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه...» .

والقصور بإشارة تتحملا أن الربا الحرم إنما هو الربا الذي يأخذه الإسرائيلى من أخيه . لأن الربا المحرر من أبناء الأم الأخرى مباح كيف كان ، والإصلاح الثالث والعشرون من سفر التنشية للرسوب إلى موسى عليه السلام صريح في إباحة أخذ الربا من الأجنبي حيث يقول مخاطبا شعب إسرائيل : «اللجانس تفرض بهوا ولكن لا تفرض برباكى يسرا لك الربا بهوك فى كل ما

تكت احتكاراً بيل مبادعة شريفة كما جررت عادة البلاد ، فإنه لم يتع أحداً أن يسترى

وعلل المؤثر قد يلغى في شرعي الميراث والخلافها باريا المنع أو الملعون مالم يلغيه أحد قبيله ولابعده من رؤساء الدين المسيحي في العصور المتأخرة . وما لا زيب فيه أن الحالات الفنية التي تساور المصلح الاجتماعي أو الواقع الديني باعث فوري على التشدد في حظر المحرمات وذرائعها وافتاءه الشبه التي تتحقق الأبراء في حياتها . وهذه الحالات الفنية قد كانت على امتدادها في القارة الأوروبية بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر في إبان الدعوة إلى حرفة الإصلاح . فقد كان المؤثر يرجو أن يعمل الملك والأمراء ورؤسائه الدين على كف أذى المرابين والمغاربيين بالبيع والشراء فختاب أمله فيهم أجمعين وثبت له من معزته بهم ومن إشعاعات الناس عنهم أنهم يستجعون الريا والمغالة بالأرياح لمقاسمة أرباها وابتزاز القروض والإتاوات منهم واستخراهم في محاربة بعضهم ببعض البضائع وأختكار الأسواق . وقد دفعته هذه الحالات الفنية إلى ضروب من التحرر لموانئها لأخذت بها أوروبا الاستعمارية بعده لاما قامت لها قائمة ولا جمعت ثرواتها الضخامة التي قال بحق إنها لا تجمع من تجارة بورصة ولا من ربع حلال .

خلال سنوات الرخاء وإنما كان عمله من وحي المحكمة التي يسرت له أن يجمع جوب الملك في سوابات الرخاء، بينما كان الآخرون يخزنون منها القليل أو الكثير . قال المؤثر إنه من التصرفات التي تدخل في باب المراية ولا تدخل في باب التجارة أن يبعد أحدهم إلى الاحتياط من طريق المغالة، فسيجيء ما عنده بالسعر النخيف ليكره غيره على البيع بهذا السعر فيجعل بهم الحراب .

وقال إنه من فبيل الغش والاحتياط أن يبيع أحد سالبيه في يده لأنه يعلم موضع شرائه فيستطيع أن يعرض على مالكه فدنا دون الشمن الذي يفرضه على طالب الشراء .

وعدل المؤثر من الريع الحرم أن يلتمر التجار الكبار في أوليات الحروب على إشاعة الأكاذيب لدفع الناس إلى بيع ما عندهم وأحتكاره بين أنفسهم ، ثم تقدير أنه على هؤلاء ، وقال إن بعض المالك الأوروبية - كالملكية المملوكية - تعقد في عاصمتها مجلساً برأس الأسراف وبدبر الوسائل لاحتياط السلاح الغريب فيما لا يحتملها ومقاسمة الدولة في أرباحها .

وقال إنه من الجيل المجهودة لترويج الريا باسم التجارة أن تباع السلعة إلى أجل وتعلم البائع إن شاربه لا بد أن يبعها في هذا الأجل يأكل من ثمنها ليسدداً ما عليه خضر المرابين بالشغوب الأوروبية في القرنين الخامس عشر والستادس عشر إن يغدهم كرامة أولاده لهم وأن يدل روؤسهم ونقوتهم كما فعلت الصاروف والشركتان الأجنبية بالشغوب الإسلامية متعددة أغارات عليهم مؤدية بمجوش الدول من ولائهم . فلهذه الصاروف والشركتان هي التي مهدت للامتيازات الأجنبية سبلها وهي التي نصبت شباك الدين لتسرير الغزو والاحتلال باسم الحماقة على المحتقق وضممان يبقى ماله مقطولاً بغير قائلة .

وما أخرجه المؤثر من أبواب التجارة المشروعة وألحقها بالريا الحرم أن يخزن البائع غالاته في الأماكن البوسطة لزيادة وزنها ، وأن يزور السلعة لغيري الشاري يزيد الشمن الذي يرى على ثمنها ، وأن يتخد من وسائل الاحتياط أو الإغراء ما يمكنه من جمع التروءة الفنية ، لأنه - أي المؤثر - يقرر في رسالته أن التجارة المخللة لم تكن فقط وسيلة لجمع التروءات الضخمة ، وأنه إذا وجدت ثورة ضخمة فلابد بذلك من وسيلة غير مشروعة .

كان هذا هو الريا الذي تعاطاه الجاهليون وتحطاه معهم أهل الكتاب من بلاد يثرب، وكانت الآيات المقدمة أولى الآيات التي نزلت بانهى عنده وتمرد. فعنده الإسلام كما يعنده اليوم كل قانون معمول به في بلاد المصارف والشركات وكل ما استحدثه من ضروب المعاملات التي تسمى بالمعاملات العصرية. وما من قانون يعترفه، لأنهم عرفوا شرعاً ولم يسلموا من بلاده أموالاً قد طالت بحسب

يتنظم عليه أمر الجماعة لايحتم هذه العاملة المذكورة ولا يشل العقاب عليها.

وكان آخر ما نزل من القرآن الكريم آيات في تحرير الريا نزلت قبل وفاة النبي عليه

السلام بأقل من ثلاثة أشهر وهي من قوله تعالى في سورة البقرة :

اللَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُولُونَ إِنَّمَا يَقْرُؤُمُ الَّذِي يَعْجِلُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحْرَمَ الرِّبَا فَإِنْ جَاءَهُ مُوْعَظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَلَمْ يَلْمِدْهُمْ مَا سَلَفَ وَأَسْرَهُ إِلَيَّ اللَّهِ وَمِنْ عَادٍ فَأَلْمَدَ أَصْحَابَ الدَّارِ هُمْ حَالَدُونَ (٢٧٥) يَعْمَلُونَ اللَّهَ الْرِّبَا وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يَعْبُرُ كُلَّ كَثْرَأْ أَثْيمَ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آتُوهُمَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرٌ حَمِيدٌ رَبِّهِمْ وَلَا خُرُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْرُجُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمُ الْأَقْوَافَ اللَّهُ وَدُرُّوا مَا يَتَّقَى

على أن الإسلام نفسه قد ظهر في إيان حالة نفسية تشبه الحالة التي أصابت الغرب بين القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر، وتشبه الحالة التي أصابت المسلمين على أيدي المستغلين والمستعمرين. وقد كان ما حرمه الإسلام من الريا وذراعه يلاء كهذا البلاء الذي شبيه بشعوب الغرب وشققيته به الشعوب الشرقية والإسلامية. فقد كان الريا الذي وجده في الجاهلية فنهى عنه وحرمه حققا بالتحرر في كل شرع وكل مكان، ومن اطلع على وصفه كما كان يوم حكم الإسلام يتصرّعه لم يستطع أن يقول فيه قولين، ولا أن يجعل للمرشّاث موقفا منه غير موقف التحرّر الشديد بغير هوانة تبيّن للمحتال أن يتسلل إليه بذرائعه ودعائيه .

فسر الإمام الطبرى قوله تعالى :

هُنَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمُ الْأَقْوَافَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْكُلُوا الرِّبَا أَصْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ تَلَحِّونَ (٢٧٨)

[آل عمران: ١٣٠]

فقال في أسباب نزول الآية : «إذا كان الريا في الجاهلية في التضعيف وفي السن : يكون الرجل فضل دين فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له : تقضيتي أو تزيدني ، فإن كان عدده شيء يقضيه فقضى ولا حول إلى السن التي فوق ذلك ، إن كانت أبنة مخاض يجعلها أبنة لموں في السنة الثانية ثم حقه ثم جبعة ثم رباعيا ثم مكتدا إلى فوق . وفي العين يأتيه فإن لم يكن عنده أضعافه في العام القابل ، فإن لم يكن عنده أضعافه أيضا ف تكون مائة فيجعلها إلى قابل مائتين ، فإن لم يكن عنده جعلها أربعينات ، يضعفها له كل سنة أو يقضيه ...» .

والشركات مرات وأن يسترموا بها ولا يروا فيها لأول وهلة ما يغريهم بالتشبيه بها والسابق بينهم على منهاجهما . فهم بلاه تعودوا منه وأجلفوا من قدوته ، وله العذر إذا أغرقوا في الخوف منها حتى أجسرا سخيفة من خيرها الذي لم يعرفه ، لأنهم عرفوا شرعاً ولم يسلموا من بلاده أموالاً قد طلاها قد طلاق بحسب المصائب باضطراف ما طالبت بحسب الأيام .

دُوِي الإمام ابن القاسم ذلك في أصلام الموقعين وقسم الربا إلى نوعين : جلـ، وخفـ، فتحـرـ الأول قصـداً ومحـرـ الثاني وسـيلـ . فـاما الجـلـ فـربـا النـسيـنةـ ، وـهـوـ الذي كـافـرـ يـفـعـلـونـهـ فـيـ الـبـالـجـاهـيـةـ ، ثـنـيـ أنـ يـؤـخـرـ دـيـنهـ وـيـزـيدـهـ فـيـ الـمـالـ حـتـىـ تـقـسـيـرـ الـأـلـاـفـ مـوـالـفـةـ ، وـفـيـ الـغـالـبـ لـيـفـعـلـ ذـلـكـ إـلاـ مـعـدـمـ سـحـاجـ .. وـاـماـ الـرـبـاـ الـخـفـيـ فهوـ ذـرـيعـةـ الـرـبـاـ الـجـلـيـ وـهـوـ ماـ اـسـتـحـدـثـ بـعـدـ الـجـاهـيـةـ منـ بـيـعـ الـجـنـسـ بـاـخـنـسـ عـلـىـ غـيـرـ سـوـاءـ . فـيـاعـ الـدـرـهـ بـدـرـهـ وـرـيـلـادـةـ وـتـيـاعـ الـكـلـةـ بـكـلـةـ وـزـيـادـهـ ، وـمـنـ غـيـرـ مـطـلـبـ أوـ تـاخـيـرـ اـجـتـبـابـ الـحـكـمـ الـفـاطـيـعـ فـيـ رـبـاـ النـسيـنةـ ، وـيـسـىـ هذاـ الـرـبـاـ بـرـبـاـ الـفـضـلـ لـرـيـادـهـ أـحـدـ الـبـيـعـنـ عـلـىـ الـأـخـرـ . وـيـقـولـ اـبـنـ الـقـيـمـ إـنـ الـبـيـعـ الـذـيـ يـتـحـدـ ذـرـيعـةـ الـرـبـاـ الـمـنـعـ . فـهـوـ حـرـامـ جـيـبـ يـكـوـنـ ذـرـيعـةـ لـلـحـرـامـ ، وـلـاـ اـتـفـاقـ عـلـىـ الـقـطـلـ بـتـعـرـيـهـ لـاـخـدـالـ بـعـضـ الـصـحـاحـيـةـ فـيـ كـعـدـ اللـهـ بـنـ عـسـرـ ، وـاـبـنـ عـبـاسـ ، وـاـبـنـ الرـبـرـ ، وـزـيـدـ بـنـ أـقـمـ وـسـعـيـدـ بـنـ الـمـسـبـبـ ، وـعـرـوـهـ بـنـ الـزـيـرـ ، وـمـاـ يـحـرـمـ سـدـاـ لـلـدـارـ بـيـاجـ لـلـمـصـالـحـ كـمـاـ قـالـ الـإـمـامـ اـبـنـ الـقـيـمـ فـيـ الـجـزـءـ الـأـوـلـ مـنـ أـعـلـامـ الـمـعـنـعـينـ (١)ـ .

والـحـكـمـ الـفـضـلـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـعـ الـدـىـ كـانـواـ يـتـحـدـوـنـ ذـرـيعـةـ الـرـبـاـ قـولـ النـسـىـ عـلـىـ

الـسـلـامـ :

الـذـهـبـ بـالـهـبـ وـالـفـضـةـ بـالـفـضـةـ وـالـأـلـبـرـ وـالـشـعـرـ بـالـشـعـرـ وـالـشـفـرـ بـالـشـفـرـ وـالـلـكـ

بـالـلـكـ بـمـثـلـ بـعـلـ سـوـاءـ يـدـيـدـ ، فـيـذـاـ اـخـتـلـفـ هـذـهـ الـاـصـنـافـ فـيـعـوـاـ كـيـفـ

شـيـئـ إـنـ كـانـ يـدـاـ يـدـاـ .

وـاـصـسـ مـنـ هـذـاـ الـحـكـمـ أـنـ يـحـرـمـ لـرـبـاـ الـذـيـ سـتـرـهـ بـاسـمـ الـبـيـعـ وـالـشـرـاءـ . فـماـ يـكـوـنـ

لـأـحـدـ أـنـ يـشـرـيـ صـنـفـاـ بـصـنـفـ مـثـلـهـ عـلـىـ غـيـرـ سـوـاءـ إـلـاـ يـكـوـنـ سـفـيـهـاـ أـوـ

مـضـطـراـ . . . وـالـسـفـهـ وـالـاـضـطـرـارـ كـلـاـمـاـ مـبـلـلـ لـلـبـيـعـ الـشـرـوعـ . فـيـذـاـ اـخـتـلـفـ الصـنـفـانـ

قـيـمةـ فـلـاـ حـرـجـ فـيـ الـمـبـاـعـةـ لـأـنـهـاـ يـتـحـلـفـانـ بـالـقـاـيـضـةـ ، فـلـاـ وـجـهـ لـلـتـحـرـمـ هـذـاـ وـلـاـ

الـتـبـاسـ بـيـنـ الـبـيـعـ الـمـحـلـ وـالـرـبـاـ الـمـنـعـ .

● ● ●

وـبـالـقـارـنـ بـيـنـ الـأـدـيـانـ الـكـاتـبـيـةـ بـعـدـ تـلـخـيـصـ الـحـكـمـ الـإـسـلـامـ فـيـ مـسـلـكـ الـرـبـاـ .

تـلـمـ أـنـ الـقـدـيـنـ لـأـ حـجـةـ لـهـمـ فـيـ اـنـخـصـاـنـ الـإـسـلـامـ بـالـنـقـدـ لـمـ يـرـعـمـوـهـ مـنـ تـعـوـيـدـهـ

وـاعـتـدـ الـجـيـرـ الـقـيـلـسـوـفـ قـوـمـ الـأـكـوـنـيـ - حـجـةـ الـمـسـيـحـيـةـ فـيـ الـقـرـونـ الـوـسـطـيـ -

رـأـيـ أـرـسـطـوـ هـذـاـ فـيـ الـنـقـدـ فـارـجـبـ بـهـ غـرـمـ الـرـبـاـ مـنـ الـوـجـهـ الـفـلـسـفـيـةـ وـأـخـرـجـ مـنـ

عـلـىـ الـخـصـارـةـ بـتـحـرـيـهـ هـذـهـ الـمـعـاملـاتـ . لـأـنـهـ لـمـ يـفـرـدـ بـتـحـرـمـ الـرـبـاـ بـيـنـ هـذـهـ الـأـدـيـانـ ،

حـتـىـ مـاـ كـانـ مـنـ قـبـلـ الـبـيـعـ الـتـيـ تـدـسـ الـرـبـاـ دـوـرـاـ سـتـارـ مـنـ الـبـيـعـ وـالـشـرـاءـ . فـيـهـ

أـيـضاـ قـدـ حـرـمـتـهاـ الـمـسـيـحـيـةـ عـلـىـ مـاـ تـقـدـمـ فـيـ رـسـالـةـ الـلـوـلـرـ ئـيـ أـشـدـ بـهـ جـمـيعـ

الـذـاهـبـ مـعـ مـلـهـبـ الـكـنـسـيـةـ الـبـرـوـسـتـانـيـ .

فالاقتصاديون الم الدين ينكرون ملك رؤوس الأموال أصلًا، ويرفضون السماح للفرد بملك شيءٍ يمكن أن يسمى مالاً أو رأس مال، ولا يعنى الفرد في أجور العمل إلا ما تفرض له الجماعة من ثقة على قدر الحاجة إليها، ولا موضوع الكلام عن الارباح الخالدة أو الخرومة حيث لا يكون المال ولا يكون معرف به تتفرع عليه الفوائض من الكاسب والأجر.

غير الاقتصاديين الم الدين يعترفون بالفرد بحق الملك وحق حياة الأموال والكمم يتقللون في توزيع المراقب الكبير شيئاً فشيئاً إلى الملكية العامة أو الملكية على الشاغ باسم التأسيم أو الاستلاء وضع خلط التعمير.

والذين معها يتفقان على ضرورة الحد من الثروات الكبيرة بعد استيفاء جميع الفساد والرسوم، فإذا بقيت لصاحب المال حصته من الربح تزيد على مقدار معلوم أندتها الدولة باسم الأمة، وفاقاً لما من مبادئ التشريع مصلحة عليه بين لم المخارة التي تكثر فيها الثروات الضخام وتذكر فيها النفقات العامة للتعمر والهداية طبع سنة ١٧٥٢ «أن النقد ليس مادة ولكنه أداتها . . . واله ليس دولاباً من دوليب التجارة ولكنه النزت الذي يلين مدارها » .

ويتأت فلسفة الاقتصاد الحديث بدراسات «أدى الاقتصاد» أدم سميث Adam Smith ١٧٣٣ - ١٧٩٠ وهو معاصر لفلاسروف دافيد هيوم، ورأيه في ريع الأرض أنه إذا تكاثر في حساب الفروة العامة كان من قبيل الكسب بغیر عمل، وهو لائمه أو للمجنة والداع.

ونحن لا نريد أن نقارن هنا بين الإسلام والدينات الكثانية في قضية الربا وأنواعه . ولكننا نريد أن نقارن بينه وبين المذهب الاقتصادي التي يظن أصحابها أنهم يعطيون بحكمة التشريع عامة في جميع العصود لأنهم حسروا أن ذرة من المخارة ولا يرهقهم بأعباء السداد أو يحررهم ثمرة العمل الذي يجتذبون الأموال فشرارات الزمن تستوعب هذه المخامة وتفرغ منها على نحو لا يقبل المراجعة والتعديل . فإذا خيل إليهم في وقت من الأوقات أن المخاضرة مرهونة بنظام معلوم في المصارف والشركات خطط لهم أن يفرضوا هذا النظام بمحضه وبجره على الماضي والحاضر والمستقبل في المشرق والمغرب وبين جمجمة الملل والأقوام ، وطلعوا إلى أصحاب العقائد أن يستخرواها والتي أصحاب الشرائع إن يقصوها، وإلى أصحاب المبادئ الخلقية والفكرية أن يتعلمواها من جلورها، وأبحروا على من ينافقهم وينظر إلى ما فوق أنوفهم فائتهم بالجهود والكلبة والتقو عليه تبعة الفساد والرجعة مصدرها إلى مواردها لن تكون كلها ومن هو صاحب الحق الأول في ثمارتها؟

تعرف الربا كل تصرف لا يحدت فيه تبادل النقد فعلما ينخر فيه إعطاء النقد لسداد ريع أو أجرة أو ثمن بضاعة . . . وعقب توما الأنكوبني أتباع نظروا في تعريف الربا من الوجهة الفلسفية العلمية فلم يجعلوا منه ما هو بذاته تموض الدائن عن ثواب ريع كان في وسعه *Lucrum Cessans* أو تعوضه عن خسارة أصايبته من جراء دينه *Damnum Emergens* أو عن خسارة أصايبته من جراء المسلط في الوفاء بحقه في موعد السداد المحدد .

وَهَا مِنْ ذِي قِوَادِ الْمُخْتَارَةِ الَّتِي يَعْلَمُونَ بِهَا تَطَبُّلُ الْيَوْمِ مِنْ نَظَمِ الْاِقْتِصَادِ مِلْأَمْ تَكُونُ تَطَبُّلَهُ قَبْلَ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَسُوْفَ تَطَبُّلَ بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً مَالِمَ تَطَبُّلَهُ الْجَرْمَ ، فَمَا هُوَ الْمَيْزَانُ الْعَادُلُ الَّذِي تَصْحُّ فِيهِ الْمَوَازِنَةُ بَيْنَ الدِّينِ؟ هُلْ تَسْبِحُ لِهُنْهُنَّ الْمَاهِبُ الْمُتَقْلِبَةُ أَنْ تَفْرُضَ سُلْطَانَهَا عَلَى الدِّينِ الَّذِي لَامْرُورِيَّةَ لِهِ إِنْ لَمْ تَرَكْ مِنْهُ ضَمَائِرَ الْأَمْمِ إِلَيْهِ فَرَارٌ مُكْبِنْ ثَابِتٌ عَلَى تَقْلِبِ الْزَعْمَانِ وَالْأَحْوَالِ ؟ هُلْ تَسْتَنْدُ مِنْ الدِّينِ أَنْ يَعْرُفَ هَذِهِ الْمَاهِبُ وَلِخَذُ الصَّوَابَ مِنْهَا بِذَبْبِ الْمُخْطَلِ فِي جَرْمِ وَيَقْدِمُ فِيهَا حَسَابُ الزَّمِنِ الطَّوِيلِ عَلَى حَسَابِ الزَّمِنِ النَّصِيرِ .

● ● ●

وَلَكِنْ الْمَصْلَحَةُ مُلْكًا أَوْ رِيعًا أَوْ بِحَمَارَةِ أَوْ مَوْقِتاً تَدَارِلُهُ الْأَبْدِيُّ بِاسْمِ الْأَسْعَادِ حِينَا بَعْدَ حِينَ ، فَمَا كَانَ فِيهِ ظَلْمٌ فَلَأَكْرَاهَ وَأَكْلَ الْأَمْوَالَ بِالْبَاطِلِ فَهُوَ حَرَامٌ ، وَمَا بَرِيَ مِنْ هَذِهِ الْأَفْلَاتِ جَمِيعًا فَهُوَ حَلَالٌ لَا يَعْنِيهِ أَحَدٌ ، وَمَنْ مُنْعَهُ مِنْ رِعْيَةِ أُمِّ إِمَامٍ فَهُوَ مُخَالِفُ لِمُعْقِدَةِ الإِسْلَامِ .

﴿فَإِنَّ الرَّبَدَ فِي دِهْبَهِ جَنَاءَ وَمَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيُبَكِّتُ فِي الْأَرْضِ﴾

[(الرعد: ١٧)]

وَتَلَكَ هُنْ مَزِيرَةُ الإِسْلَامِ بَيْنَ الْمَاهِبِ وَالْأَدْبَانِ ، لَا يَقْفُ في طَرِيقِ رَأْيِ صَالِحٍ وَلَا يَحْوِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّجَارِبِ تَبَدِّلُ مَنْهُ مَالًا سَبِيلٌ إِلَى قَبْوِهِ وَتَبَقِّيُّ مِنْهُ مَا هُوَ صَالِحٌ لِلْبَقاءِ .

وَتَلَكَ الزَّعْمَانُ الَّتِي تَخَضُّتْ عَنْ حَوَادِثِ الْقَرْنِ الْعَشِيرِينَ يَنْهَا الإِسْلَامُ وَهُوَ مَنْهَا أَنْ يَطْلُبَ بِعَسَادِهِ طَغْيَانًا لِأَرْجُدَهِ فِيهِ .

إِنَّهُ لَأَيْمَنُ الْمَلْكِيَّةِ الْعَامَّةِ ، بِلْ يَأْمُرُ بِهَا فِي مَرْأِقِ الْجَمَاعَةِ وَلَا يَبْرِي أَحَدَ أَنْ يَلْكُ مَوَارِدَ الْمَالِ وَالنَّارِ وَالْكَلَّا ، كَمَا جَاءَ فِي الْمُحْدِيثِ الشَّرِيفِ^(١) ، وَمَنْ فَقْهَاهُ فِي مَلْهُبِ الظَّاهِرِيَّةِ مِنْ يُشْرِطُ الْعَمَلَ لِاستِحْقَاقِ الْكَسْبِ حَتَّى فِي تَأْجِيرِ الْأَرْضِ وَزِرَاعَةِ الشَّجَرِ وَجَنَّبِ الْمُهْرَاتِ .

وَلَسْنَا فِي هَذَا الْكِتَابَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَضْبِفَ شَيْئًا فِي مَوْضِعِ الْمَدْدُودِ إِلَى مَا جَمَاهَ عَنْهُ فِي رِسَالَتِنَا عَنِ الشَّيْرُوبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . فَإِنَّ الإِفَاضَةَ فِي الْمُجْرُوتِ الْفَقْهِيَّةِ لَيْسَتْ مِنْ أَغْرِضِ كِتابَابَا هَذَا لَمْ تَكُنْ مِنْ أَغْرِضِنَا ذَلِكَ الْكِتَابَ ،

[الحضر: ٢]

كَمِي لا يَكُونُ دُولَةَ بَيْنِ الْأَعْبَادِ مَنْكُمْ^(٢)

وَلَيَطْلُبُ الْإِسْلَامُ مُلْكَيَّةَ الْأَهَادِ . وَلَكِنَّهُ يَحْوِلُ الْجَمَاعَةَ أَنْ تَخَسِّبَ لَهَا نَصْبًا مِنْهَا يَقْدِرُهُ الْإِمَامُ بِتَفْوِيسِ مِنَ الْأَمْمَةِ ، وَتَنْزِيدِ حَصْمَةِ الْجَمَاعَةِ كَيْفَ زَادَتْ فَلَا يَنْكِرُ الْإِسْلَامُ هَذِهِ الْرِيَادَةَ ، لَأَنَّهُ يَحْرِمُ كَثِيرَ الذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَيَأْمُرُ بِتَوزِيعِ الشَّرُورَ بَيْنَ النَّاسِ :

(١) رَوَى أَبْنُ حَاجِهِ بِإِسْنَادِ صَحِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُهُ ﷺ : «مَلَاتْ لَا يَنْسِنْ : الْكَلَّا وَالْكَلَّا .

(٢) وَالَّذِي وَرَدَ أَحَدٌ وَلَوْدَارٌ : «الَّذِي شَرِكَ فِي مُلْكِهِ : الْكَلَّا وَالْكَلَّا وَالْكَلَّا .

ولنضرب المثل بأكابر جنایات المحدود وأشييعها في الجاهلية العربية وحالities
الاًم في عقونتها ، وهي جنایة قطع الطريق والسبت في الأرض بالفساد . ففي هذه
الجنایة يقول القرآن الكريم :

« إِنَّا جَزَاءَ الَّذِينَ يَحْرَيُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ أَوْ
يَصْلِبُوْا أَوْ تُقْطَعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ حَلَافٍ أَوْ يَنْهَا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لِهِمْ حَرَيٌ فِي
الْمَدْنَى وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (٢٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوهُ عَلَيْهِمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (٢٤) [المادة: ٢٣، ٢٤]

«فِهِنَّهُ جَنَائِيْهُ لَهَا عَقُوبَاتٍ مُّتَعَدِّدَةٍ عَلَى حَسْبِ الْأَضْرَارِ وَالْجَرَاثِ ، وَمِنْهَا القَتْلُ
وَالصَّلْبُ وَقْطَعُ الْأَطْرَافِ وَالنَّفْقِ وَهُوَ بَعْضُ النَّبِيْدِ مِنَ الْجَمَاعَةِ إِنَّمَا بِالسِّجْنِ أَوْ
بِالْإِفْسَادِ ، وَيَذَمُ الْمَعْتَابَ مِنْ لِزْمِنَتِهِ أَحْكَامَ الدِّينِ ، فَإِذَا كَانَتْ جَنَائِيْهُ قَبْلَ أَنْ يَلْزِمَهُ
بِالشَّرِيْعَةِ قَبْلَ أَنْ يَلْزِمَهُ قَصَاءَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ الْبَابُ الْذِي فَتَحَهُ الْإِسْلَامُ لِأَبْتِدَاهُ عَهْدَ
وَأَنْتَهَاهُ عَهْدَ غَيْرِ بَارِزَاهُ وَعَادَاهُ وَانْطَوَى حَسَابَ الْجَنَاحِيَّةِ وَالْعَقَابِ فِي بَاتِهَانَهُ» .

«أَوْلَادُ هَذِهِ الْعَقُوبَاتِ لَمْ يَكُنْ شَدِيدِيْا فِي عَوْنَفِ أَمْمَةِ مِنَ الْأَمْمِ عَوْنَفِ فِيهَا مِنْ
يَقْطَعُونَ الْطَّرِيقَ وَيَعْشُوْنَ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ مَعَ حَضُورِ الْمَلَوْرِ وَكُثُرَ مُغْرِيَّاتِهِ وَفَلَذَّ
النَّوَاجِرِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ الْجَمَاعَةَ فِي جَمِيعِ الْأَمْمِ مَعَ قَيَامِ الْجَرِيَّةِ وَقِيَامِ أَسْبَابِ الْمَذَارِ مِنْهَا،
وَظَلَّتْ كَذَلِكَ إِلَى الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ فِي الْبَلَادِ الْأَوْرُوْبِيَّةِ الَّتِي اسْتَفَرَ فِيهَا الْأَمْمُ بَعْدَ
الْفَرِيقِ وَاتَّضَّتْ فِيهَا حِرَاسَةُ الْطَّرِيقِ بَعْدَ الْفَوْضِيِّ الَّتِي مَطَّلتْ عَلَيْهَا مِنْ جَهَاهُ فَوْضِيِّ
الْجَوَادِ بَيْنَ الْمَكَومَاتِ» .

«وَلِنَحْتَفِظُ بِجَنَائِيْهِ قَطْعَ الطَّرِيقِ جَنَائِيْهِ السَّرْقَةِ الَّتِي لَا غَصْبُ فِيهَا ، وَشَرْطُهَا أَنْ
يَكُونَ السَّارِقُ عَاقِلًا مَكْلَفًا وَأَنْ يَكُونَ الْمَالُ الْمُسْرُوفُ مَحْرَزاً عَلَيْكُمْ لَمْ يَحْرُزْهُ بَعْدَهُ
سَبِيْهَةٍ ، بِالْغَالِبِ نِصَابِ السَّرْقَةِ كَمَا يَتَقَعُّدُ عَلَيْهِ الْفَقْهَاءُ ، وَكُلُّ جَرْوِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ السَّرْقَةِ لَمْ
تَتَبَتَّ فِيهَا هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْمُشَرُّوْطَةِ فَلَا يَؤْخُذُ فِيهَا الْجَانِيَّ بِهِدْيَةِ السَّرْقَةِ وَيُؤْخُذُ فِيهَا
بِعَقُوبَاتِ التَّعْزِيرِ . وَعِنْدَ الْفَضْرُوْرَةِ الَّتِي يَقْدِرُهَا الْإِمامُ يَجْزُعُ الْعَفْوُ كَمَا عَنْهُ عَمْرُ بنِ
الْحَلَطَابِ رَضِيَّوْنَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَنِ الْفَعَالِيْنِ السَّارِقِيْنِ فِي عَامِ الْجَمَاعَةِ» .

يَبْسِبِنا مِنْ مَسَلَّهَ الْمَحْدُودِ أَنْ غَلُوْ الشَّيْءَةِ عَنْ قَوْاعِدِهَا وَنَدْعُ لِلْمُسْتَرِيدِ أَنْ يَتَوَسَّعُ
فِي شَرُوحِهَا وَتَفْرِعَاتِهَا حَيْثُ يُطْبِعُ لَهُ الْمَوْدِ مِنْهَا . فَإِنَّمَا اسْتَقْرَرَتْ حِكْمَةُ الْإِسْلَامِ
عَلَى جَلَاءِ الْقَوْاعِدِ وَتَوْطِيدِ الْقَاعِدَةِ سَلِيْمَةً يَقَامُ عَلَيْهَا مَا يَقَامُ مِنْ يَنَاهِ سَلِيْمَ .

الفصل الثالث

ولابد أن يشد نظر الباحث على مدى مذاق السنين قبل أن يسأل عن صلاح الشريعة لعصره فإذا أراد أن يحصر هذه الشريعة في زمن واحد وبيئة واحدة . ولكنه يحسن السؤال إذا عرض أمامه أحوالاً لآباء في العصور والحديث وفيها الهمجي والتحضر وفيها المسلم المؤمن والشرير المذور ثم سأله : هل في الشريعة قصور عن حال من الحالات التي تعرض لتلك الأم في جميع أطوارها؟ وهل هناك عقوبة نصبت عليها الشريعة لم تكن صالحة من تلك الحالات؟ أفهمكذا أن وزن الشريعة التي تحيط بالمجتمعات في مذاق السنين ، وبغير هذا الوزن تكون منافذ الخطأ أو يحيط السؤال فلام محل للمؤل (١) .

وعنى القول بعد هذه الاعتبارات أن فهم الشريعة بتصورها لا يعني عن فهمها بروحها وحكمتها .

وروح التشريع الإسلامي كما ظهرت في تصوّص الأحكام وأركان الثبوت روح سمححة جانحة إلى العذر وتحميد الطريق للتوبية والصلاح . فليست المعقونة غرضاً مطلوباً لذاته يبادر إليها ولـ« الأمر خفيف الضمير معنى من المرجح والراجحة . ولكنها ضرورة يدفعها ما دفعتها الشبهة والإمل في التوبية والصلاح . وليس الإمام الذي يتخرج من إقامة احدي في غير موقعه من الثبوت وتوافق الإركان مخالفاً للإسلام متصرفاً في إقامة حلووده . بل المخالف للإسلام المتصرف في إقامة المحدود من يهجم على المعقونة قبل أن يستوفى أركانها ويدرأ كل شبهة فيها تائياً لصالحة المتهم أو لصالحة الجماعة . وإن الإمام الحق في الإسلام يذكر أن إطلاق الدين خبر من إدانة البريء ، وأن التحسين أولى مما يكون من يعاقب على المرجو في أسرور الدنيا والدين .

وسيأتي البيان عن مهمة الإمام في تطبيق المحدود والاحكام وتقدير الصالح والضورات في أمور الخزاء وأمور السياسة الشرعية على التعليم . ولكننا نكتبه بهذه العجلة عن المسلمين إلى غايتها إذا عرفنا أن الإسلام لا يوجب على الناس معاملة تضرر ولا ينهى عن معاملة تفريد ، وأنه يؤدى للمؤمنين به خبر ما تورده العقيدة الشائبة على تعاقب الآجيال : لأنّي التجربة الصالحة أن تثبت صلاحها ولأنّي في الدائم للأزم دعاها مع العاجل المذكور فيه .



الجُنُوْبُ

المدرسة الإسلامية



فن تحصيل الماصل أن يقال إن حقوق الإنسان لم تكن منظورة من ثوره دينية قبل ثوره الدين الذي دعا الناس إلى عبادة رب العالمين، فلما توجد المعموق العامة إذا وجد صاحبها الذي يستحقها ونودي لها فرفضها، ولم يوجد لهذه الحقوق صاحب مصلطلع بها في ثوره دينية قبل ثوره الإسلام. إذ لم يكن هناك الإنسان الذي يتساوى في كل قبيل وكل مكان .

على أني أرجو إلى تاريخ الثورات الاجتماعية أو السياسة قبل الإسلام فلا رواها على أنها حرفة «حقوق إنسانية » يعني من معانى هذه العبارات كما تفهمها فى تنافل الثورات الدينية العاصرة لها فى كثير طائل ولا نرى بينها حرفة يصدق عليها أنها حرفة «حقوق إنسانية » فالمراد هنا هو حقوق إنسانية كما تفهمها فى العصر الحاضر . فربما كان بينها ما يسمونه بحركات الدعيم اطية فى بلاد اليونان ، وربما بدا لهم من كلمة الداعيم اطية أنها من حركات الشعب فهو على هذا خلقيته أن تحس من حركات المعموق الإنسانية ، وليس من إمكانك حتى فى دلالتها الفظية إلى شئنا منها الخلط فى فهم حققتها . لأن كلمة «ديوس » اليونانية كانت تطلق على الحلة التي تسكنها القبيلة ، ثم أطلق النظام الديعمراطى عندهم على الحكومة التي تشركت العقبائل فى انتخابها ، ولم يكن استراها فى الانتخاب اعتراضا يجىء إنسانى يتساوى فيه أحد الناس ، وإنما كان اعتراضا بالقبيلة واقتداء لمعارضها واضارها عن العمل فى الجيش وتلبية نفقة الدفاع .

ولا نهاية يرمي لها ظاهر التبدل والتغيير التي تكتفى بها الثورة فى تلك المملكة الصغيرة الكبيرة ، لأنها تلحق بكل ما تزاوله النفس من شئونها الباطنة والظاهرة : تلحق بالآكاز والهواجس المفهية ، وتلحق بالعادات أو الأخلاق ، وتلحق بالعرف والقانون ، وتلحق بالنظم الاجتماعية والدساتير الحكومية ، وتلحق بالحاكمين والحاكمون ، وتلحق بكل مملكة لأنها لحقت بذلك بذلك المملكة الصغيرة . مملكة الفسir !

واسع ما تكون ثوره الفسir إذا جاءت من قبل الثورة فى تقدير الحقوق . إن التأثير لضيق نزل به يهدى إذا انفرج تلك الضيق ، وأنه ليثور كما ثور الربيع المحجوزة والحيوان الحسيس ، ما هو إلا أن يرتفع الحاجز وينفتح الباب حتى تهدى الثورة ويسكن الشائر والمثير ، ولكنه إذا ودب وبنته فى سبيل حتى يؤمن به لا يرجح عنده أو يظفر به كما يطلب ، وإذا ظفر به لفظه لم يكفي عن الطلب وهو يواجه مضيقها عند غيره ، ويكلد يمس فى كل شيء تذريرا له بضياع الحق وحرافوه على حمايته أن يضيع . فلما ثوره الباطنة هى محفضا الثورة الظاهرة ، وطلاب الحق هو المطلوب الذى لا يام عن طلبه ، وهو الرقب على سريته قبل كل رقب .

ولم تعلن فى ثورات العالم الدينية حقوق عامة للإنسان قبل ثوره الإسلام فى القرن السادس للميلاد . لأن الإنسان نفسه لم يكن عاما ف giove الدين حقوقا عامة ، وإنما ولد هذا الإنسان - العام - يوم أمن الناس به يتساوى لديه كل إنسان وكل إنسان ، ويوم يحيط حقوقه بواجهاته بغير تفرقه بين قبيل وقبيل .

وطلاقاً قبل عن هذه الدلائر اطية الإسلامية أنها هي الدلائر اطية العربية تقليداً

الإسلام من بيته الصحراه التي نشأ فيها .

وهي كلمة من كلمات القصور التي تحيز على الأسماع بغير عذاء لأن الطلاقة شبيهة بالعهد من الصحراء في الحس والجلال .

إلا أن الطلاقة الحسية - فيما وراء القشور - لا تشبه حرية الحقوق في أصل من الناسين . وليس الدلائر اطية الإنسانية مما يتصور بغيره عناصره الثلاثة التي لا انفصام بينها : وهي المساواة والمساوية الغردية وقيام الحكم على الشورى وعلى دستور معلوم من المحدود والمتبعات ، وهذه هي العناصر الثلاثة التي تادي بها الحسق المزعية - وهذه الطلاقة التي يسمى بها الحسق والإنسان على السواء يعبر كل طلاق علىه من الصباح إلى المساء .

عن العواض والرقاب .

فيما ترکنا هذه الطلاقة في يد أنها العاقلة عنها ويحشا عن حرية الحقوق في حكومة من حكم ذات الملكية لم تجد شفقة إلا استبداداً بالأمر كأشد ما يعنى الاستبداد في دولة من دول الطاغيان ذوات المصلحة والصواب لبان . فقد كانت القدرة على الظالم قوية يعني العزة والجاه في عرف السيد والمسود من أمراء الجحود من أقصيها في الجنوب إلى أقصيها في الشمال . وما كان الشاعر النجاشي إلا قد أحيا في الفرج حين استضعف مجده لأن قوله :

لأن درون بدمه ولا يظلمون الناس جبة خرول
وما كان حجر بن الحارث إلا ملكاً عربياً حين سام بن أسد أن يستبعدهم بالعصا وتوسل إليه شاعرهم عبيد بن الأبروص حيث يقول :

أنت الملك في وطنك مثلهم ذلوا سوطك مثلهم
كل أمرى بما كسب رهين

[الشوري: ٢٨]

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورٌ يَنْهِمُ﴾
ونبى الإسلام هو القائل صلوات الله عليه :

«لا فضل لمربي على عجمى ولا لمرسى على جبلى إلا بالحقوى»
وهو القائل صلوات الله عليه فى خطبة الوداع :
«أيها الناس . إن ريحكم واحد ، وإن ثيابكم واحد ، وكلكم لأدم وأدام من تراب إِنْ كرمكم عند الله أتفاكم ، وليس لعربي على عجمى ولا لعجمى على عرى ولا
لآخر على أبيض فضل إلا بالحقوى» .
وهذا القائل صلوات الله عليه :

﴿يَا مُعْشِرَ قُرْبَشٍ ! اشترِوا الفسكم . لا أعني عنكم من الله شيئاً . وربّي عبد
لناس لا أعني عنكم من الله شيئاً . يعبد الناس بن عبد للطلب إِنْ أغنى عنك من الله
 شيئاً . يأكل طلاق عليه من الصباح إلى المساء .

الجدد المقالتين ، وناله السود في الولايات المتحدة بعد اضطرار الدولة إلى خدمتهم في الصنائع وفي الجيوش على التدريج بين الجنريين العالميين .

غير هذا ولا ريب هو المقصود بالدلائر اطية الإنسانية ، فإنها حقوق معترف بها للإنسان وليس خططاً عملية يوجبهها تكافؤ القوى بين الطوائف وجماعات بها الناسين . وليس الدلائر اطية الإنسانية مما يتصور بغيره عناصره الثلاثة التي لا انفصام بينها : وهي المساواة والمساوية الغردية وقيام الحكم على الشورى وعلى دستور معلوم من المحدود والمتبعات ، وهذه هي العناصر الثلاثة التي تادي بها الإسلام لأول مرة في تاريخ الإنسان .

وقد قيل عن عزه كليب وائل أنه سمى الكلب حيث يعيش أحد على الدنو من مكان يسمع فيه تباخره، ويقول « لا حر يوازي عوف » لأنه من عزته كان لا يأوي بواديه من يملك حرية في حواره، فكلهم أحرار في حكم العبيد .

ومن القصص المشهورة قصة عملاق ملك طسم وجديس الذي كان يستحيي كل عروس قبل أن تزف إلى عريتها، وفيه تقول فتاتهم غيرة :

فهل أنت لم تخضروا بعد هذه فكرهوا نساء لا تغافل على الكحل ودونكم طيب العروس فربما خافتتم لاثواب العروس والملائكة ويسنوى أن تصح هذه القصص على علاطها أو لا تصح منها إلا الرواية والنظم الموصوع . فإنها لمصححة بجهودها كل الصحة إذا وفرت في اذهان الرواة والسامعين أن النظام حق للمقادير يعذرها ، وأن إذال الأعزاء علامة العزة فوق كل عزير . ولو لم يكن هذا دأب الملوك في معهود العرب الأولين لما قالـت إحدى الملكات فيما رواه القرآن الكريم على لسانها :

« إن السلوك إذا دخلوا قرية الفسادوها وجعلوا أعرة أهلها أذلة وكذلك

تعلون ^(١) .

● ● ●

فالدعاية الإسلامية إذن لم تكون بسباتنا في الجاهلية وورثة الإسلام منها . فإن الدعاية لم يكن لها وجود في الجاهلية لوجود الإمارة والرئاسة الحكومية ، وإنما كان منها غير ذلك من قبيل الطلاقة المرسلة في الصحراء الواسعة فليها هو طلاقة سادية كفالة الطائر في جوهره أو كطلاقة الهراء الذي لا عائق له في فضائه والماء الذي لا عائق له في مسحاه . وتلك الطلاقة المدارية - إن جاز أن نسميها حرية - فإنها في الحرية التي يستمتع بها المرء لأنها شئ ممروض فيه لا يوجد من يصادره أو غصب فيه .

فالمرض الذي يؤدي إلى الموت سبب ، والمرض الذي يؤدي إلى العلاج المنقدر ، فإذا اخittel علينا السبان وجاء الشفاء من حيث تتوقع الهملاك والفناء . فذلك معجزة من المعجزات الإلهية علّمها عند الله ، وأسماها غير الأسباب التي تقدّرها لها قبل وقوعها .

ومن البديهي أنه لا يتخيل حاكمه منها عن الحياة بين رعاهه إذا جاز عنده أن الله لا ينتبه عن الحياة بين خلقه في غير عمل ولا منزية . فلما جرم كان الإيمان برب العالمين يعنى العدل والمساواة ، وإعانته بالدعوى الطيبة التي تقوم على هذا الحق في الأرض وفي السماء . والله في عقيدة المسلم هو حاكمه الحاكمين . فهو الحاكم الذي لا يظلم أحدا ولا يحاسب أحدا بغير تكليف ولا يغير ما يلعب حتى يغير ما ينفسه ، ولا يأمر المحاكم بامر إلا كان هذا الأمر من شرعه في عباده ، ومن توسيعه في قضاياه وقدره .

ولذلك في المعجزة الإلهية : ولأنه يعلم رب كل العصبيات جمعها وتلك الفضلات جمعها ويتطلب من قوه الروح ما يك足ن تلك العصبيات جميعاً وتلك الفضلات جميعاً ويطلب عليها ويعبر بها في غير محرها . ذلك هو رسول الله .

[الكاف: ٢]

[١٧] لا يظلم رب أحدا

وتحت المعاشرة الإلهية :

ولأنها تفهمها الآن ، بعد أن هدينا إليها ، ولكننا لم تكون لفهمها لو تقبلاها قبل وقوفها وانتظرناها من حيث تستقر الأسباب العاملة في حياتنا ، ولأنها من الأسباب التي تحييها اليوم من الأسباب « الطبيعية » دون سواها . معجزة من العجزات الإلهية أن تحيي « الدعوة إلى رب العالمين من صحراء لا تعرف غير الفوارق بين العصبيات والأنساب . ذلك بذاته لم يغير ألمعهم على قوم حتى يغيروا ما يائسون [الأنفال: ٣٠] .

ومعجزة متلها أن يحيي من تلك الدعوة حق الإنسان الذي يرفعه عمله ولا يرفعه سبه ، ليكون هذا النسب بين الأعراق والأقوام .

ولا انفصال بين العجزتين بعد الروبة في السبب الذي تتبعان منه والنهائية التي تؤديان إليها .

[١٦] إن الله لا يغير ما بيقوم حتى يغير ما يائسون .

كلتا العجزتين صادرة من ينبوع واحد . فمن أمن رب العالمين لم يؤمن برب دون فريق من الناس ، ومن أمن بالمساواة بين أعمال الناس وحقوقهم فلن يؤمن بما كان معددين حتى تبعث رسولا

رب غير ربهم أجمعين .

ويقال يحق أن الإنسان يتطلب المثل الأعلى في الصفات الإلهية ، وأنه من أجل ذلك يزره حاكمه عن صفة يقبل الافتراض بها في حق الله .

[١٥] وإن من أمن إلا حلا فيها نذير .

[فاطر: ٢٠]

الأخ



وأذا كان هذا عهد الله على نفسه أمام خلقه فالثورة التي جاءها الإسلام في الحضور أرفع وأوسع من أن يحسب من تلك التظاهرات التي يتبدى وتنتهي في الحركات الاجتماعية أو السياسية . إنها ثورة كونية ترتفع بالحقوق والتقييم في الإنسان إلى أعلى فاعلي وإلى أكمل ما يمكن . فلما تبغي له من علاقة ببني إسرائيل الذي يحتويه إلا ارتفع عنده ما عقد ما ارتفع عنده من حنف ومن قيبة .

لا مصدر للسلطنة العامة في الإسلام غير الأمة .

ولا مرجع في المسؤولية العامة غير الأمة .

فإن النصوص وال السن لا تقوم بذلكها ، بل تقوم عن يفهمها ويعمل بها وتعارض بين هذا وبين نصوص الكتاب وسنة الرسول .

ويند فيها على وجوهها ، وكل أولئك تسلمه الأمة بما انطوت عليه من خاصتها وعاصتها ، وجملة ذوي الحال والعقد والمعاملين من علتها وسدادها .

فهي التي تأثر بنصوص الكتاب والسن ، وهي المسئولة عن صوابها وخطئها حيث اشترطت به واتفاقت عليه أو اختلفت فيه .

وأول ما يذكر من ذلك الحق كان في حياة النبي ﷺ . فإنه كان مأموراً بخاتمة أمنته ، وكان الأمراً بيتهم شوري في كل شأن من الشؤون غير التبليغ الذي حصبه الله به ولواه لم تكن الدعوة إلى هذا الدين .

يا سبي آدم خذلوا زينتكم عذر كل مسجد وكلها واشربوا ولا تسر فروا
[الأعراف: ٣١]

لـ [آل عمران: ٥٥]

وشاورهم في الأرض

[الشورى: ٣٨]

وأوصهم شروري بنيهم

لـ [المائدة: ٦٨]

لا تحرموا طيبات ما أحل اللہ

ولما قبض عليه السلام إلى الرفيق الأعلى كانت ولادة الأمر بعده لمن توليه الأمة وتباهي على الخلافة ، وتولاها من المخلفاء الرشدين بالبيعة العامة ، ولم يدع أحد بعدهم حقاً ولايتها بغير هذه البيعة .

تقول إن الأمر يتحقق الحياة من أجمل ما جاء به الإسلام . لأن الإنسان لم يتمعود الذين قبله أن يمسوه بهذا الحق ، وإنما تعود من أديان كثيرة أن تنهاه عنه وأن زعده في الأرض شرطاً لظهوره في السماء .

فالأخبار والكمائن في الأمم المالية كانوا يقرون بها هيئات مفروضة عليها مسوسة بحراسها الموروثة وأزيانها المقررة وآواتها المضروبة عليها كانها ضرائب الدولة ، وكانت هذه الهيئة قائمة في الطبيعة تهتم في هيئتها ، وتفضل ذلك على أحد سبل الهداية من وسائلها . وكان سبيل الهداية الوجيد أن يتصدى نبي من الآنساء لهذا السد المطلقي فيقطعه وفتح فيه النشرة التي يسلكها من يتطلع إلى بصيص من النور يطالعه من لدنها .

ولو فرض الإسلام على الأمم هيئات كهذه الهيئة لما استقام للأداء حفظها العام ولا تنسى لها أن تقطعن ببعاتها العامة ، إلا أنه أخذها من طفيفات الكهانة وفتح أمامها مذاadro للتفكير الإنساني لم يكن متتووجه من قبله ، فجعل النصيحة حقاً لكل قادر عليه من أولى الشهم والدرأة ، يجعل العلم وظيفة عامة يطلبها من يشاء ويست orallyاً من يشاء ولا سلطان له على الناس غير سلطان القدوة الحسنة والإقناع بالحقيقة والبينة الصادقة ، وهو المسؤول إن شاء هذه الأمانة ، والمستمعون له هم المسؤولون إن سمعوها فلم يستجيبوا لندانها .

• • • • •
وَلِكُنْ مِنْكُمْ أَمْمَةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
[آل عمران: ١٠٣]

وَمَا هَذَا الْأَمْمَةُ مِنْ قَبْلِهِمْ إِلَّا نَهَمْ كَانُوا لَا يَتَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ
[المائدah: ٢٥]

• • • • •
قَالُوا كَمْ مُسْتَعْفَنُونَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا تَكُونُ أَرْضُ اللَّهِ وَاسْعَةً فَتَهَا جَرِحُوا فِيهَا
[السباء: ٤٧]

• • • • •
هَذِهِ الْمَسْوِلِيَّةُ التَّامَّةُ الْمُتَسَقِّةُ بَيْنَ طَرَافَيِّ الْأَمْمَةِ وَطَبَقَتْهَا - عَلَيْهَا شَرِيعَةُ تَامَّةٍ مُسْتَقِّسَةٍ فِي عَقَائِدِهَا وَتَكاليفِهَا ، وَلَوْلَا هَذِهِ التَّاسِقَةُ فِي الدِّينِ الإِسْلَامِ لَكَانَ اضْطِلَاعُ الْأَمْمَةِ يُسْفِلُ ياقِتها العَامَّةَ مِنَ الْعَقَائِفِ الَّتِي لَا تَعْقُلُ فِي قَسْطَلَاسِ الْعَدْلِ أَوْ فِي مَنْطِقِ الْوَاقِعِ ، لَأَنَّهَا تَسْرُمُ النَّاسَ مِنْ جَانِبِ مَا يَطْلُبُهُ مِنْ الْجَانِبِ الْأَخْرِيِّ .

ولا يوجد في الإسلام حتى يغير بيته . فحق الأمة فيه ويعتها مستكافدان متساويان .
حقها تام ويعتها تامة .
حقها تام لا يصددها عنده ذو سلطان بغير رضاها ، وتعتها تامة لا يعفيها من جرائرها عذر من الأعذار .

وهي مستكافلة متفقمة في حقوقها وتعاتها ، لأنها مستكافلة مستفمامه فيما يعيثها من عواقب أعمالها . « وإنقرافت لا تصيب الدين ظلموا مискم خاصه »^(١) . فلا عذر لها في ضلال تتساق إليه متابعة الإسلامها ، ولا عذر لها في ضلال تتساق إليه متابعة لأجبارها وكرهها ، فإن المائمة لعمود عليها في ذلك كله كما حدثت على الدين من قبلها .

• • • • •
إِنَّمَا قَرِيلَ لَهُمْ إِنْسُعَارًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا إِنَّمَا يَتَسْعَ مَا الْكِبَرُ يَعْلِمُ أَلَّا يَوْمَ كَانَ أَبْأَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
[القرآن: ١٧٧]

• • • • •
قَاتَلُوكُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكُونَ (٢) اتَّخَذُوا أَجْهَارَهُمْ وَرَهَابَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
[الترهيد: ٣١، ٣٢]

تسارى جماعة الجهلاء الذين نفعتهم وبلاد الجهل وللإيه فجهلوا بهم

ولا يغرتنا في ختام هذه الكلمة عن حرق الأمة أن نتبه إلىحقيقة النسبة إلى الأمة جيشاً وردت في القرآن الكريم . فإن كتاب الله يعني بهذه الكلمة أن الخطاب الإلهي موجه إلى الأم عامة لا تستأثر به أمة ولا تتجه عنه أمة خلافاً لمن قال من بي إسرائيل أن «الأم» لا تلتقي خططاً من الله وأنهم وحدهم - أمّة إسرائيل - قد استأثروا بهذا الخطاب دون حقوق الله .

وبدل على ذلك أن الكلمة «الأمّة» قد وردت في القرآن الكريم مقابلة لأهل الكتاب أو لأهل الكتاب من بنى إسرائيل خاصة في غير موضوع ، فالآمّيون قد وردت في سورة آل عمران مرتين متساوية إلى كل أمّة غير بنى إسرائيل :

﴿ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّهِ عَلَيْهَا فِي الْأَمْمَاتِ سَيِّئٌ ﴾
[آل عمران : ٢٧]

[آل عمران : ١٠]

﴿ وَقُلْ لِلَّهُمَّ أُنُورِوا الْكِتَابَ وَالْأُمَّةَ ﴾

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدِمْتَ أَبْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾
[آل عمران : ٢٨]

ولا يحسب على الإسلام أن المسلمين لم يحافظوا حقهم ولم يضططعوا ببيعهم ، ولانا يحسب عليهم حفظ الحق ثم ندعوا على حفظه واضططعوا بالشدة لهم ندعوا على الاستطلاع بها ، او يحسب عليهم ضياع الحق فلم يصبهم بلاء من تضييعهم إياه ، ولنهم يكتسوا عن التربية فلم يصبهم بلاء من النكوص عنه . ولم يحدث من هذا ما يدعسو المسلم إلى الندم على إيانه بدینه ، ولكنه قد حدث منه صراوا ما يدعوه إلى الندم على التفريط في أوامر هذا الدين القبور ونواهيه .

وقد وردت بهذا المعنى حجاه في القرآن الكريم أن الله ﷺ يبعث في الأجياد رسولاً ^(١) تكون يا المدعوة الذين يزعمون أن الله تعالى لا يخاطب الأمة ، وتدكر لهم بأن الأمة هي موضوع الخطاب من الله كلما بعث إليها برسول .

ولله من علامات الخير أن تدول الدول وأن يذهب ما أفسدت من أفسد الدين والدنيا وتبقى لل المسلم عبادته في حقوق أمنه مصونة في قلوب المحافظين والمجددين وثورة ، وستلقي الماضي والمستقبل لهم إجمعين على كلمة سوا يسمعها من شاء وبعد أربعة عشر قرناً كما سمعها أسلافه قبل أربعة عشر قرناً في صدر الإسلام ولابن الدعوة الحمدية .

يقول إمام من أشهر الأئمة الشافعيين بالحافظة على القديم :

إن كتب الكلام ... (كلها مطبقة متفقة على أن متصبب الخليفة والإمام إنما يكون بياضة أهل الحل والعقد وأن الإمام إبا هروكيل الأمة وأنهم هم الذين يولون ملك السلطة وأنهم يملكون خالعه وعزله وشرطوا الملك شرطوا أحذوها من الأحاديث الصحيحة . وليس لهم منهيب سوى هذا المذهب ^(٢)) .

الخلاص منه ، وجماعة الجهلاء ، الذين سدوا مع الجهل ولم يشعروا بولاته وبلايه . ولا يحل في قسطاس العدل على كل حال أن تكون الأمة مصدرًا جمعيًّا للسلطات فإذا كانت مع هذا مرجحاً لمجتمع التبعيات والمتوريات .

الأسرة

ولكتنا لا نغزو الإنسان ولا نغزو الأسرة من أجل الأثر وأصرارها . وإنما نغزو الأثرة ما استطعنا ولوقي بيتها وبين الإثار غاية ما يسيطر على التوفيق بين الأسرة الكبيرة، وهي الأمة ، والأئمة أفرادنا كثروا في تعميم روابط الأسرة الصغيرة بين أبناء الأسرة فضلاً عن المنافقين والمنافقين الأخلاق . فلولا الأسرة لم تحفظ صناعة نافعة هذه المثابة فرارها عن الآباء ثم توارتها أيام الأمة . جموعها ، ولو لا الأسرة ما جمعت توارتها الآباء عن الآباء ثم توارتها أيام الأمة . جموعها ، ولو لا الأسرة لما جمعت الشروات التي تفرقت شيئاً فشيئاً بين الوارثين وغير الوارثين من العقاب ، ولو لا الأسرة لاستجاب الدعوة لهم والتخرّب كل من لا خلاف له من حذالات الحق وفتياهم في كل جماعة بشرية . فالأسرة هي التي عشّل اليوم ما بهم الربح الإنساني في ماضيه ، وهي التي تزول به غداً إلى أعقابه وذرارته حقبة بعد حقبة وجبل بعد جبل .

لأنه حيث لا أسرة ،
يل لا أديمية ، حيث لا أسرة .

ولن ينسى الناس أنهم أبناء آدم وحواء إنسانوهم أبناء رحم واحد وأسرة واحدة ، كائناً ما كانوا تأثيرهم لقصة آدم وحواء .
ويعنى علينا أن واجب الإنسان ليس نوعه في الإسلام - إنما هو واجب الأسرة الكبرى التي جمعت أنوثة الشعوب والقبائل لتعارف بينها ، فقد علمنا شأن الأسرة في هذا الدين وعلمنا أن قوادة الرحم والرحم حجة القرابة بين الأنوثة من أبناء آدم وحواء ، وأنها هي شفاعة كل إنسان عند كل إنسان .

• • •

تقوم الأسرة في الإسلام على أنها كان دائم ترداده السمعة والامتداد والوثان .
وتحتفظ سمعة الأسرة وامتداها ودائمها بنظامين من النظم التي شرعها لها الإسلام ، وهما نظام العارم في الزواج ونظام البرات .
فالإسلام يسمح الزواج بالآقربيين ولا يسمح من خرى القرابة إلا من أرشكوا أن يكونوا عرباء ، فالزواج يجمع منهم في الأسرة من أرشكوا أن يتحققوا كبناء العمومة والخوازة .



الأسرة هي الأمة الصغيرة ، ومنها تعلم النوع الإنساني أفضل أسللافه من الأسرة تعلم النوع الإنساني الرحمة والكرم ، وليس في أخلاق جميعها ما هو أجمل منها وأنفع له في مجتمعاته . فالرحمة في اللغة العربية من الرحم أو القرابة ، وهي كذلك في اللغات الهندية الجرمانية . لأن كلمة Kind مأخوذة كذلك من الرحم ، وكلمة الطفل التي تتمثل الرحمة كلها في المعطف عليه مأخوذة منها .

والكرم في اللغة العربية مأخوذ من السبب الصريح الذي لا هممه فيه ، وهو في المفاسد الهندية الجرمانية مأخوذة كذلك من « الجنائز »Genre

والنسب إليها هو الكرم .
وإذا تبعنا سائر الفضائل والتألق الحالية المحمودة بليغاً بها في أصل من أصولها على الأقل مصدرها من مصادر الحياة في الأسرة . فالغيرة والعزة والوفاء ورعاية الحرمات كلها قريبة السبب من فضائل الأسرة الأولى ، ولا تزال من فضائلها بعد تطور الأسرة في أطوارها العديدة منذ عشرات القرون .
ولابقاء ما كتبه الإنسان من أخلاق الرودة والإشار إلى هجر الأسرة وفكك روابطها ووشائجها .

فمن عادي الأسرة فهو عدو النوع الإنساني في ماضيه ومستقبله . ولا يعادى الأسرة أحد إثبات عداؤه للنوع الإنساني من نظره إلى تاريخ الأجيال الماضية . كأنه ينظر إلى عدو يضره البعض ويهدى كل ما أقامه من بناء .
وما من سببية تمحب على الأسرة بالغة ما يلتفت سباتها من الكثرة والفساد هي سوقة لحببني الإنسان أن يهدى الأسرة من أجلها ويعنى على أيامها .
فحب الأسرة - حها - قد سهل للناس كثيراً من الجشع والآثرة ، ومن الجبن وكذلك حب الإنسان نفسه قد فعل هذا في العالم الإنساني وزراعة .

«فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَا حَرَمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا شَرٌّ كَوَافِرُهُ شَيْءٌ وَبِالرَّدِّ الْمُحْسَنُ»
[الأعراف: ١٧]

وكانت الطاعة لهم إلا سبقةها واجب غير الطاعة للإله العبيود.

وصني الإنسان بوالديه حملته أمه وها على وهن وفضاله في عامي أن الشكر لوالديك إلى المصير (١) وإن جاهدتك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلأتعلمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً»
[القسان: ٢٣]

وقضى ربك الأتعذر إلا إلية وبالوالدين إحساناً بما يليغ عننك الكبير أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أتف ولا تثيرهما وقل لهما فولا كريماً (٢) وأخفض لها ساج الدل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما زيني صغيراً (٣) [الإسراء: ٢٢، ٢٣]
وفي القرآن الكريم غير الوصايا في هذه الآيات وصانياً مثلها تذكر كلما ذكر الوالدان، وفيه من الآيات ما يحصل به شكر الإنسان لعمدة الله على أبويه بداعه إلى الله أن يصلح له ذريته وأن يلهمه العمل الذي تصلح به حياته الباقية .

ووصي الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفضاله ثلاثة شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ الأربعين سنة قال رب أورعني أن أشكر بعد ذلك التي أنتسب على وعلى والدي وأن أعمل صالحًا لرضاه وأصلح لي في ذريتي إلى نسبه والمصاهره، وهذا في القرآن الكريم من آيات خلق الإنسان كما جاء في سورة

الفرقان: ٤٦
[الفرقان: ٤٦]
«وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا وَصَهْرًا وَكَانَ رَبُّ قَدِيرًا
وَإِلَهُ الَّذِي يَحْلِمُ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا وَصَهْرًا وَكَانَ رَبُّ قَدِيرًا
وَلِرِزْقِ الْإِنْسَانِ لَأَنَّ الْأُنْسَرَةَ كَيْنَانَ يَعْشُ وَتَصْلُّ عُمُرَهُ بَعْدَ اقْصَاءِ
أَعْمَالِ أَعْصَاهُهُ . وَلَا اعْتَرَاضَنَ عَلَى نَظَامِ الْمِرَاثِ مِنْ وِجْهِهِ النَّظَرِ إِلَى طَبَاطِ الْأَجَابِهِ
وَلَا مِنْ وِجْهِهِ النَّظَرِ إِلَى الْمَسْلَخِ الاجْتِمَاعِيِّ ، فَإِنَّ الْأَبْنَاءَ يَرْثُونَ مِنْ أَبَائِهِمْ مَا أَرَادُوهُ
وَمَا لَمْ يُرِيدُوهُ ، وَحْنَ لَهُمْ أَنْ يَرْثُوا مَا حَمَلُوهُ مِنْ عَرُوضِ كَعْدَ وَرْثَةِ عَنْهُمْ مَا حَمَلُوهُ مِنْ
خَلِيقَةِ لَا فَكَاكَ مِنْهَا ، وَلَا غَنِّ عَلَى الْجَنِسِينَ فِي الْخَتْصَاصِ الْأَبْنَاءَ بِشَرَهِ الْعَمَلِ
تَبَتِّ إِلَيْكَ وَإِلَيِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»
[الأحقاف: ٢٢، ٢٣]

• • •
ويما سبق إلى المأطر في عصرنا هذا أن البر بالأبناء لا يحتاج إلى وصية دينية كوصية الأبناء بالآباء لارتكب في طباع الأحياء من حب البنين والرقى لفسخار الأطفال على العموم . إلا أن أحوج الأم والحكام شرائعها قبل الإسلام تبنى على سوائهم، وكان الغبن في النهاية أن يتساوى العامل لغده والعامل الذي لا ينظر إلى غير يوجهه وساعته، أو يتساوى من يعمل ويبني للدولام ومن لا يعمل ولا يبالى ما يعيي المجتمع بعد يومه الذي يعيش فيه .

ويتحقق وثام الأسرة واستداتها بافرضه الإسلام من حقوق كل عضور من مسيئ الحاجة إلى هذه الوصية لأن أخطاء العرف الشائع فيها كانت أشد من أخطاء العرف الشائع في معاملة الأبناء للأباء . فكان الولد في شرعة الرومان عبابة العبد الذي يلكله والده ويتصرف فيه برأيه في كل ما يرتضيه له قبل بلوغ رسده، على الآباء والذرية . وبحسبك أنه كاد أن يكون الولد يوم مقتروا بالإيان بوحدي الله .

«حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعصابكم وحالاتكم وبنات الأخت وأمهاتكم اللائي أرضعنكم وأخواتكم من الرضا عبد وأمهات نسائكم زميلاتكم الملائقي في حموركم من نسائكم الملائقي دخانتم بهن قهان لم تكونوا دخلتم إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً»
[النساء: ٢٣]

والماضي من هذا التحرير منوعة لا تخصيصها في هذا المقام ، أجلها وأجدادها توسمع الأسرة ووفياتها من شرائح الخصومة والبغضاء ، وأن يتحقق بالزواج من أسباب المودة والنسب مالم يتحقق بالقرابة ، فترجع إلى الأسرة من أولئك أن ينفصل عنها ، ويحرم الزوج بذوى القرابة الحميمية التي لا حاجة بها إلى توثيق النسب والمصاهره ، وهذا في القرآن الكريم من آيات خلق الإنسان كما جاء في سورة

الفرقان: ٤٦
[الفرقان: ٤٦]
«وَرَبُّ الْمِرَاثِ لَأَنَّ الْأُنْسَرَةَ كَيْنَانَ يَعْشُ وَتَصْلُّ عُمُرَهُ بَعْدَ اقْصَاءِ
أَعْمَالِ أَعْصَاهُهُ . وَلَا اعْتَرَاضَنَ عَلَى نَظَامِ الْمِرَاثِ مِنْ وِجْهِهِ النَّظَرِ إِلَى طَبَاطِ الْأَجَابِهِ
وَلَا مِنْ وِجْهِهِ النَّظَرِ إِلَى الْمَسْلَخِ الاجْتِمَاعِيِّ ، فَإِنَّ الْأَبْنَاءَ يَرْثُونَ مِنْ أَبَائِهِمْ مَا أَرَادُوهُ
وَمَا لَمْ يُرِيدُوهُ ، وَحْنَ لَهُمْ أَنْ يَرْثُوا مَا حَمَلُوهُ مِنْ عَرُوضِ كَعْدَ وَرْثَةِ عَنْهُمْ مَا حَمَلُوهُ مِنْ
خَلِيقَةِ لَا فَكَاكَ مِنْهَا ، وَلَا غَنِّ عَلَى الْجَنِسِينَ فِي الْخَتْصَاصِ الْأَبْنَاءَ بِشَرَهِ الْعَمَلِ
تَبَتِّ إِلَيْكَ وَإِلَيِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»
[الأحقاف: ٢٢، ٢٣]

أما حقوق الأسرة من حيث الروابط الزوجية فقد جاء الإسلام فيها بالجديد الصالح وقام حقوق الزوجين على أساس العدل بينهما، وأقام العدل على أساس المساواة بين الحقوق والواجبات، وهي المساواة العادلة حقاً في هذا الموضوع .^١

كانت المساواة بين الدين لا يتSalون بعلمائهم وكذا يتم ظلماً لا عدل فيه .^٢

ولم يهبط الإسلام بمنزلة المرأة في جانب من جوانب حياتها العامة أو حياتها السيئة التي واجهتها عليها، ولكنه ارتفع بها من الدرك الذي هبطت إليه في المعايرة وعفاف الأم التي تأثرت بتلك المضارات قبل ظهوره، وكلها لم تكن على حالة مرضية في بلاد العالم المعمور .^٣

كانت المرأة في الحضارة الرومانية تابعة له حقوق القاصر أو ليست له حقوق مستقلة على الإطلاق .^٤

وكانت في الحضارة الهندية عائقاً للخلاص من دوّاب الحياة الجسدية، وخلصن المرأة مرهون «بالموكشا» أي بالانفصال عنها، وكان حقها في الحياة منها باستثناء أجل الزوج، تحرى على جدته عند وفاته ولا تعيش بعده إلا حافظ بها اللعنة الأبدية وقامتها الأآل والأقويون .^٥

وكان للمرأة في الحضارة المصرية القديمة حظ من الكراهة يحيط لها الجلوس على العرش ويتوتها مكان الرعاية في الأسرة، ولكن الامة المصرية كانت من الأمم التي شاعت فيها عقيدة الخطبة بعد اليهود وشاع فيها مع اعتقاد الخطيبة الابدية أن المرأة هي حلقة تلك الخطبة وسلفية الشيطان وشرك الغواية والرذيلة، ولا محالة للدرجات عظيمة إلى هذا اليوم . فرجح الرب عن حسوس قصبه «ولذلك دمى اسم ذلك الكائن وادي عجور إلى هذا اليوم .^٦

• • •
أما عرب الجاهلية الذين نزل فيهم القرآن الكريم فقد أ炳ح بينهم قتل الأولاد وجرت بينهم شريعة التأثر من الآباء بذنب أبيه مجرري العرف المعمور . فلما جاء الإسلام أثبتت المولد حقاً في الحياة بالملك كحق أبيه . وشرع له من مولده حقوق الرضاع والحضانة، وكان أمير البناء من إبائهم وأمهاتهم، لأنه كان يأخذ العهد عليهم لا يقتل أبناءهم ويسميهم علا يختهون منه بحنان الأمومة والآلام .
يا أباها النبي إذا جاءتك المؤمنات يسألك على أن لا يشرك بالله شبيساً ولا سرقـن ولا يرثـن ولا يقتلـن أولادهن [المحدث: ١٢٢]

[١] الأئمـاء: ١٢٢

[٢] الإسراء: ٣٣

شـنـنـ الـغـارـاتـ وـالتـاهـ لـرـدـهـ،ـ فـلـ يـكـنـ اـيـنـ إـلـاـ مـنـ خـسـرـ يـائـهـ عـولـ أـنـشـ

فـلـ كـانـ ذـاـ وـفـرـ وـفـرـةـ،ـ وـنـهـمـ مـنـ كـانـ يـدـ الـنـسـاءـ إـشـفـاغـاـ مـنـ العـارـإنـ لـمـ يـدـعـنـ

خـشـبـةـ إـمـلـاقـ،ـ وـالـذـلـكـ يـشـيرـ لـأـلـقـ الـكـرـمـ جـبـ جـاءـ فـيـ سـوـرـةـ النـحلـ :

وإذا بشر أحدهم بالأنى ظل وجهه مسوباً وهو كظيم (٦)، يواري من القروم من سوء ما يدركه على هون أيامه في التراب إلا ساء ما يحكمون (٧)، وذكرت الإشارة إليه حيث جاء في سورة الزخرف بعد تصفية الدين جعلوا للرجل جزءاً من عباده :

..... أم انحد مسا يتحقق بات وأصلهاكم بالبسن (٨)، وإذا بشر أحدهم بما حرب للرجل مثلاً ظل وجهه مسوباً وهو كظيم (٩)، [الزخرف : ١٦، ١٧] فلما بعث النبي صلوات الله عليه بالدعوة الإسلامية لم تكن المرأة منزلة سرضية ولا حقوق مرجعية في وطن من أوطان الحضارة أو البداءة فدحض الإسلام عنها هذه الوصمة ونحوها من المخوق ما يساوى حقوق الرجل في كل شيء، إلا في حق القوامة :

ال الرجال قوامون على النساء بما فضل اللهم بعضهم على بعض وبما أنفقوا من النساء (١٠) ...

● ● ●

ولهن مثل الذي عليهم بالمسنون والمرجع عليهن درجة (١)، [القرآن : ٢٣، ٢٤] وهذا الذي عينه بالمساواة بين المخوق والواجبات لأن المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الكيانات والأعمال أمر لم يقم عليه دليل من تكوين القراءة ولا من تجرب الأيام ولا من حكم البداوة والشاهد، بل قام الدليل على تفضيه في جميع تعباراته، ولم تتجاهله إلى الاعتراف بها بعد حين، ولو من قبل هذه الطبيعة التي تفترط من يتجاهلها إلى الاعتراف بها بعد حين، ولو من قبل الرجال الأبرار والآباء الذين لم يختلفوا مختلفين عبضاً بعد أن غيرت عليهما الأعراف بتقسيم العمل بين جنسين لم يختلفا مختلفين عبضاً بعد أن غيرت عليهما الأقواف الساسية، وأخرى أن يكون طول الزمن مع تطور الأحوال الاجتماعية سبباً لاختصاص كل منها بوظيفة غير وظيفة الجنس الآخر، ولا سبباً في اختصاص

التي تفرق فيها كفاية الحياة البيتية وكفاية الحياة الخارجية، فإن طول الزمن لا يلغى الفوارق بين تمثيلها وجعل لكل منها موضعها لا يشاربه سواه، إن تكون الفطرة في مسلك النسل التي هي قوام حياة الأسرة يفرق بين الذكر والأنثى تفرقة لا سبيل إلى الإغفاء عنها في حياة النوع الإنساني على المخصوص بذاته، وإن وظيفة النسل طلقة في الرجل يصلح لها ما صلحت بذاته طول حياته إلى السبعين وما بعد السبعين، ووظيفة النسل في المرأة مقيدة بالحملمرة واحدة في كل عام وكلما تصلح لها المرأة بعد الخامسة والأربعين أو الخمسين في أكثر الأحوال.

وفي تجارب الأمم شواهد ملموسة على الفارق الأصيل بين الجنسين في الكفاية العقلية والكتابية المطلقة، فإن المرأة على العموم لا تساوى الرجل في عمل الشتر كما فيه، ولو كان من الأعمال التي انقطعت لها المرأة منذ عاشر الإنسان في معيشته واحدة، لتطبع كما يطبع ولا تشق الأزباء كما يشقنها ولا تبع في صناعة التحويل كما يطبع فيها ولا تحسن أن ترقى منها عزيزاً عليها كما يحيى موتها، وهي متذبذبة الخلقة تردد النسوان وتندفع بأكثر مراسم الحياة، ومن اللئون أن يقال أن هذه الفوارق إنما تجتمع من عصف الرجل واستبداده، فإن الرجل لم يكن ينفع المرأة أن تطبع وأن تخبط الشياب والترزق أو ترقص أو تسرق بالاغناني والناشيد، ولو أنه تجدها قاسطلاً أن ينهىها في ييتها وفي الدنيا الرحبية لقد كان ذلك منه دليلاً على غيبة العقل والإرادة لا رب فيه.

وتدع الإرادة في كل شيء وتأتمل الغريرة الجنسية المركبة في أنات جميع الأنوع، فعل من الجھول الخفى أن الآثر تكتم إرادتها ولا تجهر بها ولأنها تتصدى للذكر حتى يلتف إليها، وعل من الجھول الخفى أن أصوات الذكر تغليظ وتقوى بعد بلوغ النضج لانفرادها بالذاء الجنسي واقتصر هذا الدعاء بالنمو في كل قوة تكتمل لها الغلبة والسباق في صراع الانتخاب الجنسي؟ وعل ما يستطاع ادعاؤه هنا أن هذه الفوارق الأصلية قد خلقها ذكور المحيوان ولم تكن عن حكمة عصبية في بيان الجنسين، يقاد إليها الذكر كما يقاد إليها الإناث؟

وإذا اعتبرنا مسألة القوامة من وجهة «إدارية»، يحثنا أن الأسرة هيئة لا تكون للرجل؟ ألم تكون حقوق الأباء في ذمتها أم تكون في ذمته؟

ما يجعل إباحة التعذيب خيراً وأسلام من تعرّفه بين طروف المجتمع المختلفة أو بين الظروف المختلفة التي يدفع إليها الأزواج .

● ● ●

وينبغى أن تتبّه إلى وهم غالب بين الجهلاء والشجاعين من المثقفين عن سنت الأديان في تعذيب الأزواج قبل الإسلام . إذ الغلبة على أحدهم أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أباح تعذيب الزوجات أو أنه أول دين أباحه بعد المؤسسة والمساجية :

وليس هذا بمحض كلام الزوجات يسرّة لأحكام الزواج في الشارع القديمة ، وفي شرائع أهل الكتاب ، فلا حرج على تعدد الزوجات في شريعة قديمة سبقت قبيل التوراة والإنجيل . ولا حرج على تعدد الزوجات في التوراة أو في الإنجيل ، بل هو مباح مأمور عن الأنبياء أنفسهم من عهد إبراهيم الخليل إلى عهد المسلمين ، ولم يرد في الأنجيل نصوص واحد يحرم ما أباحه العهد القديم للأباء والأبياء ولمن دونهم من الحاكمة والمامة ، وما ورد في الأنجليل يشير إلى الإباحة في جميع الحالات والاستثناء في حالة واحدة . وهي حالة الأسفاف حين لا يطيق الرهبا نية فيقمع زوجته واحدة اكتفاء بأهون الشرور . وقد استحسن القديسين أغسطين أن يتعدّد الرجل سرية مع زوجته إذا عقمت هذه وثبتت عليها العقم ، وحرم مثل ذلك على الزوجة إذا ثبت لها عقم زوجها لأن الأسرة لا يمكن أن لها سيدان⁽¹⁾ . واعترفت الكنيسة ببناء شرعيتين للماهل شرطان من عدة زوجات ، وقال سارك Westernmark العالمة في تقرير مكان المرأة من الأسرة بالقياس إلى الحالة التي كانت عليها قبل المعرفة الإسلامية ، وبالقياس إلى الحالات التي يتحمل أن تتول إليها في جميع الفنون عذر وكان يكرر كثيراً في الحالات التي تخصبها الكنيسة والدولة ، وعرض جروتيس العالم القانوني المشهور لهذا الموضوع في بحث زان عليها من ركام العادات الخالية ، وأقام حقوقها الزوجية على الأساس الذي من بعوته الفقهية فاستصوب شرعة الآباء الغيرانيين والأنبياء في العهد القديم .

● ● ●

قال الإسلام لم يأت بدعوة فيما أباح من تعدد الزوجات ، وإنما الجدل الذي أثير به أنه أصلح ما أفسدته الفوضى من هذه الإباحة المطلقة من كل قيد ، وأنه حسب حساب الفضوليات التي لا يغفل عنها الشارع الحكيم ، فلم يحرم أمراً قد تدعوه إليه

إن هذه الأمور من وقائع الحياة التي لا ترحم من يتجلّها ولا تحملها تحفظات الأندية ولا جمعية الفرسية الكلاذية في تقاضيها المختلفة من عصورها المفترضة ، وما كان للمرأة في أحسن حالاتها في تلك العصور المنقرضة من مكانة غير مكانة العشيقة في نفس الغرام . كائناً هي مباهة الفارس بشجاعته تعلو به في كل موقف له مع المخلوقه الصعبية إن يكون كمزقه مع الأنداد والنظاره .

ولا نحب أن نغضي عن البعض الذي يتذرع به من ينكرون قوامة الرجل لادعاء المساواة بين الجنسين . فإنهم يسلّعون لدعواهم هذه باضمصار المرأة إلى الكذب لفسّها أحياناً في ميدان العمل طلب الفتوت ولو زام العبيضة . فهوذه ولا مراء حاله واقعه تذكر في المجتمعات الحديثة كلما احتجلت فيها وسائل العيش وتآزمت فيها أسباب الكفاح على الأزواج . ولكننا نراهم يحسبونها حالة حسنة يبنون عليها دعائم المستقبل ولا يحسبونها حالة سببية تضافر الجهد على إصلاحها وتدبر وسائل الخلاص منها ، وما هي في الواقع إلا كاللهالة السعيدة التي دفعت الآباء والأمهات إلى النزق بالظفالمهم في ميدان الكفاح على الرزق فأنكرتها القوانين وحرمتها أشد الشرى ، ولم تجعلها حجة توسيع بقاعها وتقيم عليها ما تستعبد من النظم الحديثة في الأسرة أو في الحياة المعاصرة .

● ● ●

وإذا أعطيت هذه الاعتبارات قسطها من الجلد والرواية صح لديها أن الإسلام قد جاء بالهدى العاملة في تقرير مكان المرأة من الأسرة بالقياس إلى الحالة التي كانت عليها قبل المعرفة الإسلامية ، وبالقياس إلى الحالات التي يتحمل أن تتول إليها في جميع الفنون عذر وكان يكرر كثيراً في الحالات التي تخصبها الكنيسة والدولة ، وعرض جروتيس العالم القانوني المشهور لهذا الموضوع في بحث زان عليها من ركام العادات الخالية ، وأقام حقوقها الزوجية على الأساس الذي يحسن في جميع الأحوال أن تقام عليه .

إن الإسلام لم يعن الاكتفاء بزوجة واحدة بل استحسن وحضر عليه ، ولم يوجب تعدد الزوجات بل أكثره وحذره منه ، ولكنه شرع للأزواج يعيشون على الأرض ولم يشرع للأزواج تعيش في السماء . ولا مناص في كل تشريع من النظر إلى جميع العوارض والتقدير لجميع الاحتمالات ، وفي هذه الاحتمالات ولا رب

بـ «أيها الدين آمنوا إذا نكحتم» المؤمنات ثم حلقهن من قبل أن تمسوهن فيما

الصورة المازية ويعجز أن تكون إباحته خبراً من تحريره في بعض ظروف الأسرة أو

بعض الظروف الاجتماعية العامة .

أما أن هذه الظروف قد تضطر أناساً إلى الزواج بأكثر من واحدة فالأمر فيها موكول إلى الذين يعانون تلك الضروفات من الرجال والنساء ، ومن تلك الضروفات أن يحيض الرجل بزوجته عقيماً أو مريضه لا يريد فراقها ولا تزيد فرقة ، ومنها أن يتكاثر عدد النساء في أوقات الحروب والغزوات مع ما يشهده من زيادة عدد النساء على الرجال في كثير من الأوقات ، فإذا رضيت المرأة في هذه الأحوال أن تتزوج من ذي حلبة قذائف أكرم لها من الرضا بعلاقة الحلبة التي لا حقوق لها على زوجه وأكرم لها كثراً من الرضا باتفاقه أو بذل النفس في سوق الرذيلة .

ومن حستانات التشريع في جميع هذه الضروفات أنه يحسب حسابها ولا ينسى الحقيقة لاتقاء ما يتلقى من سوء التصرف فيها ... وكذلك صنيع الإسلام بعد إباحة تعدد الزوجات للضرورة الفضولي ، فإنه اشترط فيه العدل ونبع الصالحة له في زواجه بابن أخيه ، وحدثت عائشة رضي الله عنها فيما رواه خبيثة وأنا كارهة ، فقالت : إما أبي زوجني من ابن أخيه يرفع له قد أبغض النبي ﷺ فأخبرته فراسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر ماضياً ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للإباء من الأمر شيء^(١) .

وقد أبغض النبي ﷺ زوجاً أكرهت فيه قتاه بكر على الزواج بأبيهما بنفسها من ولديها والبكر تستامر وادتها سكريتها^(٢) .

النسائي : إن قتاه دخلت عليها فقالت : إما أبي زوجني من ابن أخيه يرفع له الصالحة له في زواجه بابن أخيه ، وحدثت عائشة رضي الله عنها فيما رواه خبيثة وأنا كارهة ، فقالت : أجلسى حتى يأتي رسول الله ﷺ ، فجاءه رسول الله ﷺ فأخبرته فراسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر ماضياً ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للإباء من الأمر شيء^(٣) .

[النساء : ٣]

[النساء : ٤]

[النساء : ٥]

[النساء : ٦]

[النساء : ٧]

[النساء : ٨]

[النساء : ٩]

[النساء : ١٠]

[النساء : ١١]

[النساء : ١٢]

[النساء : ١٣]

[النساء : ١٤]

[النساء : ١٥]

وفي الحديث الشريف :

« لا تنكح الأيم حس تسامر ولا البكر حتى تستاذن » وفيه : « إن الشيب أحى

وهدال حيبة تعدل سلطان التشريع كله في أمر تعدد الزوجات ، لأنها تكل القول

الفصل فيه إلى اختيار المرأة فإن شاءت قبليه وأن لم تشا رفضته فلا يجوز إكرامها عليه ولا يصح الزواج إذا بي على الإكراء .

(١) متفق عليه .

الصلة بين الزوجين :

بل لا يسقط عنه هذا الواجب حتى في حالة الطلاق بعد زواج لم تتعقد فيه

الصلة بين الزوجات تابعاً .

ومن أيامه أن حلق لكم من أهلكم أزواجاً سكناها وبعمل يسكن مزودة
الروم : ١٢٦

ورحمة :

فلا زواج بغير مزودة ورحمة ، ولا حكمية المزاج إن لم يكن ملائداً يأوي فيه
الزوجان معاً إلى سكن يلقيان عنده أعباء الصرائح العنيفة في الحياة الخارجية إلى
حيث . ويخير الزوج ما استطاع أن يدير للإنسان كهذا أميناً ينوب إليه كلما ألماته
المتاعب والشوق إلى ظلاله . والله ليعيش من الدنيا في جحيم موصول العذاب إن
لم يكن له فيها ذلك الكهف الأمين وذلك الملاجأ المصين ... فإن عمر عليه أن يجد
كمما أراده فليس ذلك بعجة على أن حياة الجحيم هي الحياة الشلى وأن كهوف
الآمان ليست بالطلب الجدي بالطلب والصبا ..

ومن قديم الزمن هيأت الأمومة طبيعة المرأة لتدبر ذلك السكن وتزويده بزاد
المودة والرحمة . ومن أراد أن يتكلم بلغة « الاستقلال » والافتتاح بالفرض قوله أن
يقول إن النفع الإنساني خالق أن يستغل الفوارق بين طبعيتي الجنسين ليتحقق بكل
سهماً غاية ما ينتفعه في موضعه وبحاله . ولكن ذلك من قبيل تقسيم العمل
وتخصيص كل طبيعة لما يناسبها ولا يمكن خصوصة على دعاوى المساواة أو
الرجحان . فيما خلق الإنسان ليكون كل منهما متساوياً لصاحبه في طراز واحد من
المزايا والملكات ، وإنما خلقت لكل منها مزاياه ومكانته ليكمل بها صاحبه ويزيد
به ثروة النوع كل من تخاصص النفس والوان القوام والشعور .

وعلى هذه السنة الطبيعية الاجتماعية ، من تقسيم العمل واتفاق كل عامل
لضرر من ضرره يتعلون الزوجان كل فيما هو أصلح له من مطالب الحياة : على
الرجل شطر الكفاح في سبيل الرزق وكفاية أهل منزلة الكدح في مضطرب الرحام
والصراع ، وعلى المرأة شطر السكن الآمن وكلمة الجليل المقابل في نشائه الأولى ،
وليس بالنظر الزهيد حضانة الغد وأعداد مستقبل الإنسانية مرحلة بعد مرحلة
• • •

على أن العرف الاجتماعي - مع سلطانه الغالب - قد يستفيد من روح الدين
وحكمة التشريع فوق ما يستفيد من نصوصه في أوامره ونواهيه . وروح الدين
الإسلامى التي سرت إلى العرف في المجتمعات الإسلامية أن الزوج رحم ومودة
وسكن .

وتحتوى الشريعة الإسلامية تفصيلاً مسهباً عن حقوق كل من الزوجين قبل
الآخر وقبل الأسرة في مجموعها ، وكلها تتجه إلى هذه الغاية الفقصودة من إقامة
الروم : ١٢٧

ضرورة التواب والشجع، وبين الوعظ والهجر والمعقوبة البدنية تفاوت العقوبات

الزوجية في الإسلام ثم يكون التحكيم أو الفراق :

استثناء حق التأديب لرب الأسرة، فإن حق التأديب لا ينفي المودة والرحمة لم

يفهمها فيما هو أمس الأمور باللوعة والرحمة وهو تربية البنين و التربية المتعلمين ،

و تحويل رب الأسرة حق التأديب بذلك من أحوال كثيرة كلها غير صالح وكلها غير

معقول في شئون القرامة الستيبة ، فلما أن يكون لرب الأسرة هذا الحق في معظم

الشئون الستيبة وأما أن يستثنى عن التأديب في الأسرة أو يترك التأديب فيها إلى

دور الشرطة والقضاء في كل كبيرة وصغيرة تتعرض للزوجين على الرضا والغضب

والجهل والتجوبي . هذا أو يكون التأديب المسموح به إنصرم حبيل الرواج وإن

يتم لهم بهذه البيوت على من فيها من الآباء والأمهات والبنين .

ولا يخفى أن عقوبات التأديب إنما توضع للمسبيتات والمسبيتين ولا توضع لن هم

غيرهم عن التأديب متورثون عن الإساءة ، وليس من أدب التشريع أن تسقط

الشرع حساب كل تقىيمه تسترذها وتألف منها ، فهذا دامت التقىيمه من الفناص

التي تعرض للإنسان ولو في حالة من الوف الحالات فخلو التشريع منها فتصور

يعباب على الشرعية ولا يتعين به الفساد الواقع من تلك التقىيمه . ولو حلف من

القوانين كل عيب ثائف من ذكرها لما يعيق في تلك القوانين بقيه تستلزمها

الضرورة الموجبة لبقائها . إذ كانت العبر التي لا تلف الأسماع منها أهون الأضرار

الجلد في مواجهة الجنود وإن تتبع بعد إخفاقي الجيل جميعاً في عقوبة النشرز .

ولم تترك هذه المقوية على كرامتها بغیر حدتها المعقول الذي عليه كل مشكلة

بحسبها من الحق المعمود في أدب الزوجين ، فاما حدها الحال أن تكون أصلح

من الفراق وعدم بناء الأسرة في تقدير الرجل وللمرأة . فإن لم تكون كذلك فهو

القصارة التي توجب التحكيم بين الأسرتين ، أو توجب العدلي يحكم الشرعية

أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبر ؟ .

إلا أن الملائق المستحسنة - خلائق الكرامة والحياء - ليست هي الملائق التي

في الواقف .

ولا تستكترون صراراً استندوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه

(البقرة : ١٣٢) واللاتي تختلفن تصورهن فمطهون والمحروهن في المصباح واصر برهن فإن

اطعهم فلا تسموا عليهم سلاماً إن الله كان علها كبيراً (١) وإن حفتم شفافيتها

فاعيضاً حكمها من أهل وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بيتهما إن الله

[النساء : ٣٢]

[النساء : ٣٢]

كان عليهما حيراً

.....

ولله لمن الشفف الرخيص أن يقال إن جنس النساء قد يرى من المرأة التي

يصلحها الضرب ولا يصلحها غيره ، وتقرب أنه سخف رخيص وتحميم لأن ذلك

الشفف الذي يضر كثيراً ولا يفيد أحد إلا الذي يشتري سمعة الكياسة في سوق

الحلقة « التقليدية » ويسمية الغربيين بينهم باسمه الذي هو به حقيق : وهو اسم

الدعى المحذلت Snob ... ولقد وجد هؤلاء في أيام تشكير عقوبة الجلد على

كرامة الزوجة وكراامة الجندي ، وغيرت مفاسد السنين وهي تعلن القوانين التي توجب

العقوبة البدنية لمن يخالفون الأوامر أو النظم العسكريه ، وإن لهم مع ذلك لذلة من

العقوبات المستطاعه في المحاذه العامة كالطبسين والأشخر وتنزيل الرتبه وقطع الأجر

والحرمان من أبواب الشرف والفضل من الخدمه . فلولا أنها حاملة خاوية لا تفيء

أحداً ولا تدل على كياسة صادقة لما جاز في عرف مهلاه الأدعياء أن تسرى عقوبة

الجلد في مواجهة الجنود وإن تتبع بعد إخفاقي الجيل جميعاً في عقوبة النشرز .

وبينما أمضى المضاربة في إجماعها هذا على تلك النظرية الورثة كانت أمم الصحراء تقصى فيها قضاة لا يخيار بيته وبين معاذدها: كانت تتسامم بعلوها ولا تبالي أن تعالجها بالدفن في مهديها، مسخافة العزل أو مخافة الإنفاق.

ومن تلك الرواية النائية عن العالم تقبل عليه دعوة سماوية تتصفها من ظلم وترفعها من ضعفه وتبسط لها كتف المؤدة والرحة وتتنزع لها من القلوب عدلاً أعمى على الزوج، وتقيد من مباح الزواج ما لم يقيمه عرف ولا قانون، وتعجل لها الخير بين ماضيه منه وما تاباه، وتستجد لها حياة يستحق المصطف والمكابر أن يجعلها فضلها العظيم على ما كانت عليه.

وأما بعد هذا فماذا جاءت به الفرون بعد الفرون من زيادة لها على تنصيبها من عمل الإسلام؟

حيث أنها في الإسلام لم يدركه خير سالمها في العصر الحديث، وشر ما يصيغها من الإسلام رحمة ونعمة بالقياس إلى الشر الذي يسلّمها العصر الحديث إليه. حادث الواقع ولا من مبادئ النظر.

فاما حادث الواقع فشكوى المرأة منها في بيتها وفي دينها كاسراً ما كانت في عهد من المهد.

ولما مبادئ النظر فلما خير للمرأة أن تكون على مبدأ القرون الوسطى شيئاً يسلم الإنسان مسلماً منه، ولا خير لها أن تكون على مبدأ الفروسية الكاذبة ملكاً في مسائل السوق، ولا هي في خير مع الناس حتى يُقْنعوا بها الطبيعة – إن استطاعوا – ويقْنعوا أنفسهم قبلها أن المرأة والرجل ندان متزاوين متعدلان.

● ● ●
 وإن أمرأ حافت من بعلها شرواً أو إعراض فلا حاجة عليهما أن يصلحاً ببعضهما
صلحاً والصلح خير... النساء [١١٢]

● ● ●
فإذا جاز لباحث يتوصى الصدق أن يعقب على تشريع الإسلام فعن وجبه أن يبعد لهذا التشريع أنه قدر الواقع حسابه وأحاط كل تقدير بما يستدعيه من الجبلة والضمآن الميسور في مقابل هذه العلاقات، وإن نظرية الشريعة الإسلامية إلى حقوق المرأة من مبادئها قد كانت نظرة تصحيح لما سلف من الشرائع، ولعلم لما تنصص فيها.

فلم يكن للزواج حدود في الشرائع الوضعية ولا في الشرائع الدينية قبل الإسلام، ولا كان فيها ما يعتبر شريعة واقية مقدرة لأحواله وضروراته عند المقارنة بيها وبين الشريعة الإسلامية.

كانت المرأة كالرقين في قوانين الدولة التي كانت تسمى أم القوانين وهي الدولة الرومانية.

وكانت حطاماً يحرق بقيد الحياة على ضريح زوجها في المدينة البرهامية.

وكانت ديانة المهد القديم تتيح لن يشاً أن يتزوج ما يشاء بلا قيد ولا ضمان،

ثم جاءت المسيحية فلم تنتقض حكمها من أحكام الناموس في أمر الزواج، وذهلت الإيادة وردت فيه أخبار إبراهيم وبعقوب وموسى ودادوه وسلميان.

و sentinel يرسل الرسول عن شرط لا سقف فكتب في رسالته الأولى إلى تسموثاوس أنه ينبغي أن يكون «بالمقام بعلم امرأة واحدة» وهو تخصيص لا موجب له لو كان هذا هو الحكم العام المزعى بين جميع المؤمنين بالدين.

وظل أيام الكنيسة في الغرب يسيرون تعدد الزوجات ويعتبرون ببناء الملك الشرعيين من أزواج متعددات، بينما منعه بعد القرن السادس عشر على أثر الخلاف بينها وبين الملك المخارجين عليها كانت حجة منعه أن الارتفاع بالواحدة أخف الشرور لمن لا يقدر على الرياحانية، ولم يكن منعه إكثار الشأن المرأة يوم كان الخلاف ينبع على أنها ذات روح أو أنها جسد يغير روح... ولم يكن بينهم خلاف يومن على أنها جبالة الشيطان، وبعد أن يكون الإنسان عنها أسلم ما يكون.



زواج النبي

يندر أن يطرق خصوص موضوع الزواج دون أن يرجوا منه إلى زواج النبي ويتذمروا به إلى الفدح في شخصه الكريم والشيك من ثم في دعوه المباركة وحياته القوية .

والإسلام خصوص محترفون وخصوص ينكرونه على قدر جهلهم به وسيرة نبيه عليه الإسلام .

ولا حفا، بخصوصه المحترفين . فهم جماعة البشرين الذين اتخذوا الفدح في الإسلام صناعة يتغرون لها ويعيشون منها ، وصاعتهم هذه لا تقطع عملها ألم واحتظر من عملها في تبشير المسلمين أو تبشير الوثنيين وأشباه الكيلاء يتخللوا من الوثنية إلى الإسلام . فعلاً غنى لأصحاب هذه الخصوصة - أو هذه الحرفة - من استلاق الملاحدة وتصييد الشهم التي تحرى بها أراذفهم وتتصيل بها أصالحهم ، سواء عرفوا الحقيقة من وراء هذه الماحذ وذهنه التهم أو جهلوها وأعراضوا عن البحث فيها ، لأنهم يربلون الانهام ولا يستريحون إلى معروفة تهدم كل ماعملوه ولهم عسيراً عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب وأفنن جواري الفرس والروم على تخوم الجزيرة العربية .

أما خصوص الإسلام من غير زمرة البشرين فما يكترونهم يخاصمه على السماع والرأي ولكن عسيراً عليه أن ينور لنفسه وأهله من الطعام والكساء والزينة مالم يتغافل من سادات المجتمع في زمانه .
ويتغافل أمها لهم عليه . وقليل من أولئك المخصوص غير المحترفين من يتفاقم الدراسات الإسلامية تلقفاً لا يغيب الدارس ولا ينسى منه إلا أن يعلم ما تعلمه المألفة من التلاميذ يكتفيون منه أن يعرفون من الخبراء مالهم يعرفونه . وبغضه هؤلاء الدارسين المدرسون حسن النية لا يابني أن يعترف بالحقيقة إذا استمع إليها ، وبغضهم سين النبي لأنه مستخرني خدمة الاستعمار وما إليها من الدعایات العيش في داره .
ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة لأنها مليحة أو وسيمة ، ولم يحدث قط إلا العذراء التي علم قومه جميعها أنه اختارها لأنها ثبتت صدقه وصفيه وهذا الحق خصوص الإسلام عن سوء نية على شيء كما اتفقا على خطلة التبشير في موضوع الزواج على الحصوص ، فكلهم يحسب أن المقتول الذي يصاب منه

الإسلام في هذا الموضوع هو تشويه سمعة النبي عليه السلام ، وغسله لإيمانه في صورة معيبة لاذنان شرف النبوة ولا يتصرف صاحبها بفضيلة الصدق في طلب الإصلاح ، وأى صورة تغشهم في هذا الغرض الأئم كما تغشهم صورة الرجل الشهوان الغارق في الجسد العازف في معيشته البيانية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح .^٩

إنهم لعلى صواب في المخطة التي تخبروها لإصابة الإسلام في مقتله من هنا الطريق الوجيز .

ولهم أشد الخطأ في اختيارهم هذه المخطة يعنيها ، إذ أن جلاء الحقيقة في هذا الموضوع أهون شئ ، على المسلم العارف بيديه المطلع على سيرة نبيه يغتالهم المظoron حجة يكتفى بها المسلم ولا يحتاج إلى حجة غيرها لمعظم نبيه وتبشره بيده من قاتل السوء الذي يفترى عليه .
فلا حجة للمسلم على صدق محمد عليه السلام في رسالته أصدق من سرته في زواجه وفي اختيار زوجاته ، وليس للنبيه من آية أشرف من آيتها في معيشه نبيه الإمام من مطلع حياته إلى يوم وفاته .

الإسلام من أصل الملاحدة وتصييد الشهم التي تحرى بها أراذفهم وتتصيل بها ما الذي يفعله الرجل الشهوان الغارق في اللذات الجسد إذا بلغ من الكاتنة والسلطان ما يبلغ محمد بين قومه ؟
لهم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب وأفنن جواري الفرس والروم على تخوم الجزيرة العربية .

أنا خصوص الإسلام من غير زمرة البشرين فأكترونهم يخاصمه على السماع والرأي ولكن عسيراً عليه أن ينور لنفسه وأهله من الطعام والكساء والزينة مالم يتغافل من سادات المجتمع في زمانه .
ويتغافل أمها لهم عليه . وقليل من أولئك المخصوص غير المحترفين من يتفاقم الدراسات الإسلامية تلقفاً لا يغيب الدارس ولا ينسى منه إلا أن يعلم ما تعلمه المألفة من التلاميذ يكتفيون منه أن يعرفون من الخبراء مالهم يعرفونه . وبغضه هؤلاء الدارسين المدرسون حسن النية لا يابني أن يعترف بالحقيقة إذا استمع إليها ،

هذا الرجل الذي يفترى عليه الاشنة الكاذبة أن الشهوان العاري في المدارس قد كانت زوجته الأولى تقارب الخمسين وكان هو في عقدهان الشباب لا يتجاوز الخامسة والعشرين وقد اختراته زوجها لأن الصادق الأمين فيما شهربه بين قوته من صفة وسيرة، وفيما تقبه به عارفه وعارفو الصدق والأمانة فيه، وعانت معها إلى يوم وفاتها على أحسن حال من السيرة الطاهرة والسمعة النقيبة، ثم رضي لها بعد موتها فلم يذكر في الزواج حتى عرضته عليه سيدة مسلمة رقت له في عزتته فخطبته له السيدة عائشة بيازذه، ولم تكن هذه الفتاة العزيزة عليه تسمع منه الكلمة ترضيها غير شأنه على زوجته الرابحة ووفاته المذكرة لها.

وما بنت - عليه السلام - واحدة من أمهات المسلمين لما وصفت به عنده من جمال ونضارة وأنا كانت صلة الرحم والفنون بين على المكانة هي الباعث الأكبر في نفسه الشريفة على التفكير في الزواج بين، ومعظمهن كن أرامل ملائيات فقدن الأزواج أو الأولاد وليس من يتقدم لخطيبهن من الأكفاء لهن إن لم يذكر فيهن رسول الله .

فالسيدة مودة بنت زمعة مات ابن عمها المزوج بها بعد عودته من الهجرة إلى الحبشة ولا مأوى لها بعد موته إلا أن تعود إلى أهلها فذكرها على الربوة أو تزوج بغير كفء لها أو يكتفى لها لا يزددها .

والسيدة هند بنت أبي أمية - أم سلمة - مات زوجها عبد الله المخوص، وكان أباً من زوجها فلزمه نفقه في غزوة أحد فقضى عليه، وكانت كهله متنة أيضاً ابن عمها، أصبه جرح في خطيبتها، فواساها قائلة: سلي فاعتذر إلى الرسول عليه السلام بنسها التعفف من خطيبتها، ومن يكون حسراً إلى من أدى الله أن يؤجره في مصبيتك وأن يخلفك حسراً، فقالت: ومن يكون حسراً إلى من أدى سلمة؟ وكان الرسول عليه السلام يعلم أن أباً يكره وسر قد خطبها فاعتذر بثل ما اعتذر به إليه، فطلب خططها وأعاد عليها الخطبة حتى فتبها .

والسيدة رملة بنت أبي سفيان تركت أباها وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فتضرر زوجها وفارقاها في غزوة أحد عازل يكتفلا، فراسل النبي عليه السلام إلى الحاشي يطلبها من هذه الغربة الملكة ويتقدما من أهلها إذا عادت إليهم راغمة من هجرتها في سبيل دينها، ولعل في الزواج بها سبباً يصل بينه وبين أبي سفيان

بوسيجة النسب فتحمل به من جهاء العداوة إلى مودة تخرجه من ظلمات الشرك إلى هداية الإسلام .

والسيدة جوريه بنت المارد سيد قومه كانت بين السبايا في غزوة بني المصطلق فاكترمها النبي ﷺ من أن تدل ذلة السباء فتزوجها وأعتنقتها وحضرها ابنها من أهلها عند رسول الله فاختارتبقاءه في حرم رسول الله .

والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب مات زوجها فعرضها أبوها على أبي بكر شفكت وعرضها على عثمان فشكـتـ وـرـبـتـ عـمـرـ لـفـسـقـهـ وـقـالـ لـهـ يـتـزـرـقـ حـصـنـهـ مـنـ هوـ صـلـيقـهـ وـرـبـهـ بـالـصـاهـرـةـ الشـفـرـ شـرـفـ بـهـ أـبـاـ بـكـرـ قـبـلـهـ ،ـ وـقـالـ لـهـ يـتـزـرـقـ حـصـنـهـ مـنـ هوـ خـيـرـ لـهـ مـنـ أـبـيـ بـكـرـ وـشـهـانـ .

والسيدة صفية الإسرائية بنت سيد بني قريظة خبرها النبي بين أن يردها إلى أهلها أو يعتنقتها وتتزوجها فاختارتبقاءه عنده على العودة إلى ذريتها، ولو لآخر الرفع الذي جلت عليه نفسه الشرفية لما علمنا أن السيدة صفية قصيرة بعيوبها صواحبها بالقصور، ولكنه سمع أحدي صواحبها تعقبها بفضحها فقال لها ما معناه من زيارات لا تخرج عن هذا المعنى : إنك قد تقطت بكلمة توقيفها في البحر لكدرها، وتجبر خاطر الآسيرة الغربية أن تسمع في بيته ما يذكرها ويغضض منها .

والسيدة زينب بنت جحش - ابنة عمته - زوجها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثة، فنفرت منه وعز على زيد أن يرضوها على طاعته ، فلما ذهبت له النبي في طلاقها، فنزوجها عليه السلام لأنه هو المسئول عن زواجهها، وما كان جمالها خلباً عليه قبل تزويجها بولاه . لأنها كانت بنت عمته يراها من طفلتها ولم تناجيه بروعة لم يعهد لها .

والسيدة زينب بنت خزيمة مات زوجها عبد الله بن جحش قتيلاً في غزوة أحد، ولم يكن بين المسلمين الفلاح في صحبتها من تقدم خطيبتها، فتكتفل بها عليه وهذا هو التحرر المشهور في أياميل البشرتين وأشقاء البشرتين، وهذه هي بواتت النفس التي استعصى على المطلعين أن يفهموها على جلجلتها، فلم يفهموا منها إلا أنها بواتت إنسان غارق في المدارس الحس، شهوان !

هو؟ ففُرغت فخر جست إله، وقال: حدث أمر عظيم أفلت ما هو؟ أجمعات غسان؟

قال: لا بل أعظم منه وأطول... طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساهه...
ولما تالب ربات البيت يشكين ويلحظن في طلب المزيد من النفقه لبث النبي في داره مهوموها بأمره، وأقبل أبو بكر فوجد الناس جلوسا لا يذدن لأحد منهم. فدخل الدار ولخق به عمر بن الخطاب فوجد النبي واجها وحوله نساوه، فما حب أبو بكر أن يسرى عنه بكلمة يقولها... وكأنه فعل لنسر هذا الوجه من الناس بين نسائه شاء أن تزيد في حصته في الأمر واجتماعن يسانده المزيد من النفقه وهي موفورة لديه لو الرجل الحكم في الانفس والأموال - سيد الجزيرة العربية - لم يستطع أن يزددهن على نصيبيه ونصيبيهم من الطعام والزينة، فامهلهم شهرًا وختيرهن بعده أن يفارقهن فعمت إليهما فوجلات عقولها باقصحك النسي و قال: هن حولي كما ثري يساند النقفة . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، ويفولان: تسألن رسول الله ما ليس عنده؟ فقلن: والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً، ليس عنده...^٩

وغير النبي نساهه شهراً، يمهلهم أن يختزن بعد الروبة بين البقاء على ما تيسر له ولهن من الرزق وبين الانصراف بمعية الطلاق. ولذا بالبسملة عائشة فقال: إن أزيد يا رسول الله! فغرض عليها الحيرة مع سائر نسائه في أمهرهن . فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير قوص؟ بيل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وأجابات أمهات المسلمين بما أجابات به السيدة عائشة ، واتجهت هذه الأزمة المكرية بسلام ، وما استطاع صاحب الدار - وهو يومئذ أقدر رجل في العالم المعور - أن يصل أربدة داره بغير إحدى اثنين: أن يجمع النبي على فراق نساهه أو يتعذر معه بالدينهن من رزق كفاف .

أعن مثل هذا الرجل يقال أنه حلس شهورات وأسير للذات ؟
أعن مثله يقال أنه ابتعى من رسالته ماريا يغطيه الدعاء غير المهدية والإصلاح
فيم كان هذا الشقاء بهوال الرسالة وأحوالها من ميغة الشباب إلى سن لا متنة فيها لمن صاحبه التوفيق والظفر أو لمن صاحبته الجيبة والهزيمة ؟
ومن أراد الدعوة لغير المهدية والإصلاح فلماذا يريد لها ، وما الذي يعممه من ورائها ؟

ولقد أقام هؤلاء الزوجات في بيت لا يوجدن فيه من الرغد ما يجدنه الزوجات في بيوت الكثريين من الرجال مسلمين كانوا أو مشركيـن . وعلى هذا الشرف الذي لا يحيـي بيـت لا يعيش فيه من الطعام والرئـنة فوق الكـنفـ والقـناعـة بـايـسرـ العـيشـ، يـدانـيه عـندـ المـرأـةـ المـسلـمـةـ شـرـفـ الـمـلـكـاتـ أوـ الـأـمـيرـاتـ ، شـفـقـ عـلـيـهـنـ شـدـةـ العـيشـ، فـانـقـعـنـ عـلـيـهـ مـفـعـلـهـ فـوقـ الـكـنـافـ والـقـنـاعـةـ بـايـسرـ الـبـيـسـ، شـاءـ أنـ تـزيدـ فـيـ حـصـتـهـ فـيـ الـأـمـرـ وـالـجـمـعـنـ يـسانـدـ الـمـلـكـاتـ الـمـلـكـاتـ وـهـيـ مـوـفـرـةـ لـدـيـهـ لـوـالـرـجـلـ الـحـكـمـ فـيـ الـأـنـفـسـ وـالـأـمـوـالـ - سـيدـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ - لمـ يـسـطـعـ أـنـ يـزـدـدـهـنـ علىـ نـصـيـبـهـ وـنـصـيـبـهـ مـنـ الطـعـامـ وـالـزـيـنـةـ ، فـامـهـلـهـ شـهـرـاـ وـخـتـيرـهـ بـعـدـهـ أـنـ يـفـارـقـهـ وـلـهـتـ مـنـهـ حـقـ الـمـارـةـ الـفـارـةـ مـنـ النـاغـ الـمـسـنـ ، أـوـ يـقـبـلـ مـاـ قـبـلـهـ لـنـفـسـهـ مـعـهـ مـنـ ذلكـ العـيشـ الـكـنـافـ .

ولأن هذا الخبر من أخبار بيت النبي كان من حوارـتـ السـيـرـةـ الـمـهـمـيـةـ التي تخـفـ عـلـيـهـ الـمـطـلـعـينـ الـمـوـسـعـينـ لـقـدـ كـانـ الـمـبـطـلـيـنـ بـعـضـ الـعـذـرـ فـيـما يـتـرـوـرـهـ عـلـيـهـ نـسـيـ الـإـسـلـامـ مـنـ كـلـبـ وـهـنـانـ . إـلـاـ تـخـرـ يـعـلـمـهـ كـلـ مـنـ اـطـلـعـ عـلـيـهـ الـقـرـآنـ وـوقفـ عـلـيـهـ الـسـبـابـ الـتـشـرـیـلـ ، وـلـیـسـ بـيـنـهـ مـاـ هـوـ أـشـهـرـ فـيـ كـتـبـ الـتـفـسـيـرـ مـنـ اـسـابـ تـرـوـلـ هـذـهـ الـأـيـاتـ فـيـ سـوـرـةـ الـأـحـرـابـ :

فـيـ أـيـهـ النـبـيـ قـلـ لـأـرـاحـلـ إـنـ كـتـنـ تـرـدـ الـحـيـةـ الـدـنـيـاـ وـرـيـتـهـ قـعـالـنـ أـمـكـنـ لـسـرـحـكـنـ سـرـاحـاـ جـمـيـلاـ (١)ـ وـإـنـ كـتـنـ تـرـدـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـالـدـارـ الـأـخـرـةـ فـيـ اللـهـ عـدـ لـلـمـحـسـنـاتـ مـمـكـنـ أـجـرـاـ عـظـيـظـاـ (٢)ـ (٣)ـ [الأـحـرـابـ : ٢٦، ٢٧]ـ

وـأـقـلـ الـمـشـرـنـ الـمـخـرـفـينـ وـلـمـ يـلـغـيـنـ عـنـ خـفـاـيـاـ السـيـرـةـ الـسـبـوـيـةـ خـلـقـ أـنـ يـطـلـعـ عـلـيـهـ تـفـاصـلـ هـذـاـ الـمـادـ بـعـدـ فـيـ الـفـرـانـ الـكـرـمـ خـاصـاـ بـالـلـهـ الـتـيـ نـكـالـ بـالـبـشـرـونـ الـمـخـرـفـونـ عـلـيـهـ اـسـتـقـصـاءـ أـخـبـارـهـ وـأـحـصـاءـ شـوـارـدـهـ ، وـهـيـ مـسـالـةـ إـرـواـجـ وـتـعـدـ الـرـوـجـاتـ . وـقـدـ كـانـ لـهـذـاـ الـمـادـ الـفـرـيدـ فـيـ سـبـرـةـ النـبـيـ صـلـيـ لـهـ حـادـثـ مـنـ الـحـوـادـثـ الـتـيـ عـيـتـ بـهـاـ الـعـشـرـةـ الـإـسـلـامـيـةـ حـيـنـ كـانتـ فـيـ يـسـتـهـاـ الـحـدوـدـ تـحـيـطـ بـيـانـهـ إـحـاطـةـ الـأـسـرـةـ بـالـيـاهـ .

حدـثـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ : «ـ كـانـ حـدـثـاـ أـنـ غـسـانـ تـنـعـلـ النـعـالـ مـرـواـ، فـنـزـلـ صـاحـبـيـ دـيـمـ نـوـيـهـ فـرـجـ عـشـاءـ فـضـرـ بـالـيـ ضـرـبـ بـالـيـ ضـرـبـاـ شـدـيـداـ وـقـالـ : أـتـمـ

المطبة



الطبقة في المجتمع هي الفئة التي تتشابه به في درجة العمل، وقطع المعيشة وأثرها المخلق والمادّة، وهي - أكبر الإحداث الاجتماعي ذكرها خصراً في العصر الحاضر.

والناس مصطفحون على تقديم الطبقات إلى ثلاث: غنية وغيرة ومسيرة، أو علي ودنا وسطي، وإعله تقديم مستعار من مقنعت المكان التي يمكن أن تنقسم إلى فوقة وتحتية ووسطية، أو من الرسم المخاغفة التي يمكن أن تنقسم إلى شرقية وشمالية، أو تظيمات الجمود التي يمكن أن تقسم إلى طليعة وساقفة ونفحة ومتوسطة، أو تجسيم الجمود إلى ثلاث طبقات من حيث درجات العمل وأساطير وقلب، أما تجسيم الجمود في بيته بين قوله إن لم تكن له رسالة يؤمن بها ولم تكن هذه الرسالة أحب إليه من النعمة والأمان؟

وعلم يعاده نفسه تلك الجمود في بيته بين قوله إن لم تكن له رسالة يؤمن بها وإن المشرعين المترفين لم يكتفوا من مسألة الزواج في السيرة النبوية مقتلاً بحسب محمداً أو يحيى دعوه من وراءه، ولكنهم قد كشفوا منها حجة لاحقة مثلها في الدلالة على صدق دعوته وإيانه برسلته واخلاصه لها في سره كإخلاصه لها في علاقته، ولو أنهم يعملون على جهل المستمعين لهم لاجتهدوا في من ملامح الوجوه، وكلها تقسيمات تقبل على وجه التشبيه والتقرير لا على وجه الدقة والحقيقة.

فإن نهاية الفوارق بين الناس في الطائفة الواحدة لا في العمل الواحد، ولا يوجد فاصل واحد تتحقق فيه أسباب التفرقة بين طائفتين وطائفتين أو بين واحد واحد من أبناء الطائفة، لأن المرجع في أسباب هذه التفرقة لا يقف بما في دون الظاهرة الكونية التي لا يشد عنها كافن واحد بين اسمومات والأرضين، فليس به محمد يضطلع به رجل عارق في لذات الحسن مشغول بشهوهات الجسد، ولكن كان كذلك ثم استطاع أن يتم دعمته في حياته وأن يعيشها تامة قوية لخلافاته ليكون إند آية الآيات على تكونين من الحق لا يداريه تكونين.

ولئن نعتقد أن دينا ريعنا يسول للمتدرين به أن يضرى الأباطيل على خلق الله، واقتصر ذلك في شرع الدين الرفع أن يكون الافتداء على الناس سبلاً إلى الشفاعة بكلمات الله، ولكن المشردين المحترفين لا يدبرون بالله ولا بالناس، وإنما يذبحون بعبارة الجسد الذي يذكره ذلك الإنكار ويذمون به في أعمالهم وأفعالهم إلا تضيق فيها عموماً هذه الناشر حتى تحصر يرمتها في سبب من أسباب أحسن الإياع.

حسب صفاتهم أو حسب الفرق التي تهتم بهم ويسوسونها بقولهم وأخلاقهم، لأن العوامل الاقتصادية وحدها هي التي تخلق طبقات المجتمع وبقيتها إلى أن تتبدل هذه فتبدل تلك معها ، كأنهما - معا - كذلة صماء تتغير من فترة إلى

للاختلاف أو سبب من أسباب الفكر أو أسباب الاقتصاد أو أسباب العوارض المادية واللحاجة المادية الطبيعية . فإن هذه العوامل المشابهة في كل جماعة إنسانية تتساند وتتآثر والذوق تتوسعها وتتوسّع . تعمل الأضداد كما تعمل عمل الأثناء في كل كعرض من عوارض الحياة . شبيها فشيئها إلى حفظ قلوب أبناءنا ملكتنا بما نحب أنه لو جاز أن يكون بينها عامل أضعاف من سائز العوامل لكان أضعفها جمعياً عامل الاقتصاد الذي نعم جماعة المادين التاريخيين أنه هو عاصمها الوحيد . توسيع الأفكار والآخر

وستبقى الطبقات ما بعى الناس مختلفين ، وسيبقى الاختلاف بينهم بلا عد وبلا حد ، يقسمه من يريد التقريب واليهود مثلاً أو أربعاً أو اثنين اثنين ، إلا أنه سيرجع في مسارات الفوارق والوفوها إلى تلك الظاهرة الكونية التي لا تدع ورقيتين على قرع واحد من الشجرة الواحدة مستشاريتي كل الشابه في الجماعات ترويضها الاقتصادية كل الشابه فيما يدا واستمر وفيما يملأه الأفواه أو عالكه الجماعات من إمداده وتدبره .

• • •

ويحق لنا أن ننظر إلى المسألة من وجهة أخرى غير وجهة الواقع الذي لا جيله لنا فيه . فسأل : أمّا أنا نسلم لهذه الظاهرة الكونية لأنها قضاها حتم ينعد فيها كما ينعد في الكون كله من أعلاه إلى أدناه ؟ أترانا يتبدل من هذه الظاهرة الكونية لو ملكتنا السبيل في حياتنا الإنسانية فلابدع بين الإنسان والأنسان موضوعاً لاختلاف التركيب في الأجسام أو في العقول أو في الأحوال والأطوار ؟

لو أنا فعلنا ذلك لفظمنا أنفسنا وحرمنا النوع الإنساني ثروة من الأفكار والمواطنة والأدوات يعني علينا الحزان منها أبداً ومحاجات .. فإن هذه الثروة النفسية هي التي تعيينا من الأحياء الدنيا ، وهي التي تغير المقدمين منا على المتأخرین ، وهي التي تغينا من توزيع الكفاءات وتوزيع الأعمال وجعل كل فريق من الأشخاص الكل فريق بين سكان الكثرة الأنصبة قاطبة أو بين السكان في كل بقعة من يقاعدها على انتزاع . وظل هذا التوزيع في أفكارنا وأحلاقنا وأذواقنا ثروة نفسية تحرص عليها ولو ثبت أنها - في أصولها - ضرورات اجتماعية تقضي علينا المفعمة

لأنها يتضمنون الأجر .
فإنما تلت الملاك الأولى فـ
والطبقة الغنية يخرج منها من يترجح يدخل إليها من يدخل كلما تغيرت فيهم
فإنهم النفسية أو الفكريـة . فنـى اليوم فـقـرـ العـدـ ، وـفـقـرـ الـأـمـسـ غـنـيـ الـيـومـ عـلـىـ
ـوـلـقـدـ فـصـلـاـ بـعـدـ
ـإـنـاـ يـتـضـمـنـ أـجـرـ .
ـوـهـيـ الـمـلـكـ الـأـسـلـ .
ـفـيـ الـذـيـ اـسـتـعـدـ لـبـعـدـ
ـوـهـذاـ اـجـمـعـ هـوـ
ـفـهـوـ لـأـيـمـ النـادـرـ
ـبـيـانـ مـيـانـ مـاـ قـبـلـ
ـكـلـ الـعـمـالـ فـيـ عـهـدـ الـرـوـانـ قـبـلـ
ـكـلـ الـعـمـالـ فـيـ عـهـدـ الـكـبرـيـ بـسـحـ عـشـرـينـ فـرـنـاـ
ـلـقـاـفـهـمـ لـأـيـمـ الـأـعـمـالـ فـيـ الـمـصـانـعـ وـيـكـرـهـوـاـ أـصـحـابـهـاـ عـلـىـ إـصـغـاءـ إـلـيـهـمـ
ـلـنـجـعـواـ فـيـ أـمـكـنـةـ مـتـقـارـبـةـ يـتـقـونـ فـيـهـاـ عـلـىـ الـطـالـبـ وـالـحـرـكـاتـ وـيـسـطـعـبـونـ
ـسـقـلـةـ تـقـدـمـ الصـفـرـ لـيـسـمـونـهـ حـربـ الطـبـقـاتـ ،ـ وـلـكـنـمـ خـمـرـواـ لـهـمـ الـخـربـ
ـوـالـصـنـاعـةـ الـكـبـرـيـ لـمـ تـكـنـ هـيـ الـطـرـورـ الـاـقـتصـادـيـ الـأـخـيـرـ الـذـيـ جـرـدـ الـعـمـالـ طـبـقـةـ
ـأـمـاـيـاـنـاـنـ أـنـ نـعـلـهـ اـخـتـ اـسـتـدـادـهـ طـبـقـةـ حـاكـمـةـ فـيـ الشـهـرـ الـمـلـادـ باـسـتـدـادـ نـظـمـ الـصـنـاعـةـ وـرـؤـسـ الـأـمـالـ .
ـوـهـيـ الـمـلـكـ الـأـسـلـ .
ـفـرـاسـ الـمـالـ زـالـ مـنـ الـبـلـادـ الـرـوـسـيـةـ وـزـلـ مـعـهـ أـغـيـاثـهـ وـسـرـاتـهـ وـبـلـاؤـهـ ،ـ وـظـهـرـتـ

فلا
ما الد

كسب المال مباح م Hammond ، ولكن الذين يكتزرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في

الآخر ملعونون مستحقون للعذاب الاليم :

و الذين يكتزرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فشتمهم عذاب

الله (٢) [التوبه: ٣٤]

وصلح المال أن تتدواله الأبدى .

ويكفي لا يكون قوله بين الأغبياء منكم (٣)

[الحضر: ٧]

وليس من المحرر في غنى المال أن يجعله الإنسان حتى يطغيه .

[العلق: ٧٠، ٨]

إن الإنسان ليطغى (٤) إن راه استغنى (٥)

[العلق: ٧٠]

اما المختركون فهم منبودون من المجتمع الإسلامي بغيرهم ولعنهم (٦) وكما جاءه

في الأحاديث النبوية الشريفة : « اجالب موزوق والمحكر ملعون (٧) وكما جاءه

« من احتكر طعاماً زرعين يوماً يربى به العلاء فقد برى من الله وبرى الله منه » .

ونفع الملحمة في المضاربة بالتقديف أو بالطعام لاحتكاره وتحليل الربا عليه قد نهى
 عليه السلام أشد النهي عن مبادلة المعدن والأطعمة المعلقة بزيادة فيها فطال في
 روایات متشابهة : « الدهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير
 والنمر بالنمر والملح بالملح مثل يداً بيد . فمن زاد أو استنزف فقد أدى (٨) .
 والإسلام يحب للمسلم أن يعمل ويسكب ويكره له أن يتطلب ويتكل على غزره .
 وأحاديث النبي ﷺ تؤكد الأوامر الإلهية في هذا المعنى فيما يجمعه قوله تعالى :

• • • •

الرقارم
 فاسألا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٩)

السحل : ١٣

• • • •

و لكن منكم أئمة يدعون إلى الخبر و يأمرؤون بالغروف و يهبون عن المذكر (١٠)
 [آل عمران: ١١٢]

وأسوء المجتمعات في الدين الإسلامي مجتمع أقزم لا يتراصون بالخبر ولا يتراهنون
 عن مذكر فعلوه لأن الإسلام يعني بالخصوص والتفسير إلى ذلك على ذلك على
 فدنه الدوام عيشه برافق الدنيا ومصالح الأجسام .

رؤس بغداد
 حصنا
 فللسالم مأمور كما تقدم - في غير موضوع - بأن يستوفى تصييبه من طيبات
 ذريته، وله أن يحسم من المال ما يستحقه بعمله وتدبيره ، ولكن في غير إسراف
 فإذا من قصر به عمله لا يسع به حسيبه (١١)

(١) داده ابن ماجه والملكام .

وليس في هذا الحال شرط من شروطه لا يسره تعاليم الإسلام ووصاياه في
التعاون أذن به يأمر به الناس جمعها وتندب للتبنيه إليه أمنة تتوافق
بالمعرفة وتتأهي عن المكر .

• وتعاونوا على السر والقوى ولا تعاونوا على الإثم والمدعوان • [المائدة: ٢١]

• وتعاونوا على الحق وقاوموا بالصبر • [العصر: ٣]

وواجب الكبار فيه كواجب الصغار . فليس من المسلمين كبير لا يرحم الصغير
وصغر لا يغفر الكبیر كما جاء في الحديث الشريف : « لِسَنْ هُنَّ مِنْ لَمْ يَغْفِرْ الْكَبِيرُ
وَيَغْفِرْ لَا يَغْفِرْ الْكَبِيرُ كَمَا جَاءَ فِي الْمَدِينَةِ الشَّرِيفِ : « لِسَنْ هُنَّ مِنْ لَمْ يَغْفِرْ الْكَبِيرُ
وَيَغْفِرْ لَا يَغْفِرْ الْكَبِيرُ كَمَا جَاءَ فِي الْمَدِينَةِ الشَّرِيفِ . »

وليست حصة الرزakah بالقدر الصغير عند المقارنة بينها وبين الحصص
من ثروة الأمة في المجتمعات الحديثة للإنفاق على العجزة والشريخ والمقطعين عمن
يعولهم ، فإنها - كما هو معلوم - تقارب جزءاً من إربعين جزعاً من ثروة الأمة في
كل سنة ، أو تقارب عشر التشرفات الوراعية وما إليها ، وليس في مجتمع من
ال المجتمعات - حتى الشيوعية منها - من يزيد على هذا القطر في الإنفاق على ذوي
الجاجات من العجزة والشريخ . إلا أن الإسلام مع هذا لم يقصر الإحسان على
فريضة الرزakah ولا أسقط عن القادرتين واجب العنوتين لمن يعقوله ويقدرون على
إدراكهم بما يعيثون على شدائدهم . إذ ليست الرزakah هي كل ما يصعن المسلمون
المقدارون على الإحسان ، ولكنها هي الإحسان الذي تفرضه الدولة وتحصله من
في الغنى وإفراط في الفاقة ، ولا استثمار ولا حرمان .

ولا محل مشكلة الطبقات بالرأي أو بالواقع إلا على هذا النحو الذي يتسم إلى
إلاة حرب الطبقات ولا يتسم إلى إلالة الطبقات . فالعالم يغير مادام فيه أنواع
الطبقات وفوارق المزايا والصفقات ، ومادامت هذه ، لأنواع والفوارق فيه يتم بعضها
بعضها وبعضاً بعضها على معونة بعض . والعالم على شر ما يكون إذا زال فيه كل
الطبقات وكلها عاملة متوجهة تحمل مشكلاتها بتصحح أو ضاعها
وإذا انفصلت مشكلة الفقر ومشكلة الطبقات على هذا النحو فالعاطلون كلهم في
الفلاح المجتمع والطبقات كلها عاملة متوجهة تحمل مشكلاتها بتصحح أو ضاعها
لتوضيد هذه الأوضاع على نظام عادل في مجتمع سليم .

وآخر الحلول التي أسفورت عنها محارب القرون المطلولة في مشكلة حرب
الطبقات - أن هذه المشكلة لا تزال بإذلة الطبقات بل بإذلة الحرب بيتها ، وإن هذه
الحرب تقع كلما تقارب الفجوة الواسعة بين الطبقات فلا إفراط في الغنى
ولا إفراط في الفقر ولا سبيل لفرقها إن يحور على فريق سواه وقد ابتدع تحريراً
الصناعة والاقتصاد في العصر الأخير وسبيل المقاوب بين ذوى الأموال وطبقات
الصناعة والعمال أن يستثروا في الصلاحة الكبرى متعاونين عليها مساهمين فيها ،
إذا بتوزيع المخصص على تقابوت مقتديها ، ولما يتعمق الموقف التعاونية التي
تلقي فيها منافع المستجدين والمستغدين وأرباح البائعين والشراء .

وأستاذ أرسطو - أفلاطون - يقضى في جمهوريته الفاضلة بمحكم العبيد حق «الوطينة» واجبواهم على الطاعة والخضوع للأحرار من سادتهم أو من السادة الغرباء، ومن تطاول منهم على سيد غريب أسلنته لدوله إليه ليقتص منه كما يريد.

وقد شرعت المخدرة اليونانية نظام الرق العام، كما شرعت نظام الرق الخاص أو تسيير العبيد في خدمة البيوت والأفراد، فكان للمهياكل فى أسيبا الصغرى إرازوها الموقوفون عليها، وكانت عليهم واجبات الخدمة والحراسة، ولم يكن من حفهم ولاية أعمال الكهنة والعبادة العامة.

وافتضى على العالم عصور بعد عصور وهذا النظام شائع في أرجائه بين الأمم المروفة في العارات الثلاثات، ينتشر بين أمم الحضارة وقبائل البداية التي تكثر فيها عازات السلب والرعى، وقتل انتشاره بين الأمم الزراعية عند أولية الأنهر الكبيرة كموادي النيل وأودية الانهار الهندية. إلا أن الأم في الأودية الهندية كانت تأخذ بنظام الطبيعة المسخرة أو الطبيعة التبتوءة، وهي في حكم الرقيق العام من وجهة النظر إلى المكانة الاجتماعية والحقوق الإنسانية.

وعلى هذه الحالة كان العالم كله يوم مبعث الدعوة الإسلامية من قبل الصحابة، ليس فيه من يتغير هذه الحالة أو من يتشعر بحاجة إلى تعديل فيها حيث يكثر الأرقاء أو حيث يقولون ..

فتشي البلاط الذي تكرر فيها عدد الأرقاء كانت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فيها مرتبطة بأعمال الرقيق في البيوت والمزارع والمرافق العامة، فلم يكن تغيير هذه الأوضاع مما يخطر على البال، ولم يكن تغييرها مستطاعاً بين يوم وليلة، لو أنه نظر فذلك يطاله من الرابعة عبداً كان أم حراً، ..

وأوصى الرسول بطرس بتقليل هذه الوصية، وأوجبها أيام الكذبية لأن الرق كفارة من ذنوب البشر يؤديها العبيد لا استحقوه من غضب السيد الأعظم، وأضاف القديس الغيلسوف توسا الأكروني رأى الفلسفه إلى رأى الرؤساء الدينيين فلم يعرض على الرق بل زكاه. لأنه على رأس أستاذ أرسطو حالة من الحالات التي على بال أحد.

وفي البلاد التي قل فيها عدد الأرقاء لم تكن هناك مسألة حازمة أو معجلة تسمى مسألة الرقيق وتستدعي من ذوي الشأن اهتماماً بالتغيير والتعديل.

وكانت عدد الأرقاء قليلاً في البداية العربية بالقياس إلى أم المخضرة إذ كان عددهم بين المسلمين الأوائل لا يزيد على عدد الأصحاب في البددين، فلم يكن يدخل عمل الآلات التي يتصرف فيها الإحرار ذرو الفكر. فهم الآلات حية تلحق في عملها بالآلات الجامدة، ويحمد من السادة الذين يستخدمون تلك الآلات الجية عليه: حالة لا يتغير بها أحد، ولا يفك أحد في تغييرها أو تعديليها. ولكنه لم يتركها، ولم يغفلها، ولم يوجهها بين الإغضاب، والاستحسان لموانئها وقلة جدواها.

الرق



شرع الإسلام العتق، إذ كان الرق مشروعًا قبل الإسلام في القوانين الوضعية والمدنية بجميل أنواعه: رق الأسر في الحرث، رق السبي في غارات القبائل بعضها على بعض، رق البيع والشراء، ونحوه رق الاستدامة أو الوفاء بالديون.

و كانت اليهودية تبيحه، وتشأت المسيحية وهو مباح ظلم شرمه ولم تنظر إلى المسيح، ولا بخدمة العين كمن يفرض الناس على كعبيد المسيح عاصفين مشينة الله من القلب خادمين ببنية صاملحة كمدرب ليس للناس، عاملين أن مهماعمل كل واحد من المثير بذلك يطاله من الرابعة عبداً كان أم حراً، ..

وأوصى الرسول بطرس بتقليل هذه الوصية، وأوجبها أيام الكذبية لأن الرق كفارة عن ذنوب البشر يؤديها العبيد لا استحقوه من غضب السيد الأعظم، وأضاف القديس الغيلسوف توسا الأكروني رأى الفلسفه إلى رأى الرؤساء الدينيين فلم يخل عنها بعض الناس بالغطرسة الطبيعية، وليس بما ينافض الإيمان أن يقتضي الإنسان من الدنيا بأهون نصيب .

وملعب أرسطو في الرق أن فريقاً من الناس مخالقون للمعهودية لأنهم يعملون عمل الآلات التي يتصرف فيها الإحرار ذرو الفكر. فهم الآلات حية تلحق في عملها بالآلات الجامدة، ويحمد من السادة الذين يستخدمون تلك الآلات الجية أن يتوصلاً فيها القدرة على الاستقلال والتغيير فيشجعوها ويرتقو بها من منزلة الأداء المسخرة إلى منزلة الكائن العاقل الرشيد .

بل جرى فيها على دأبه في علاج المسألة الاجتماعية والأخلاقية : يصلح منها ماهو قابل للإصلاح في حسنه ، ويعهد للتقدير إلى المزيد من الإصلاح مع الزمن كلما تهافت دواعيه .

ونحن نحب أن نلخص ما صنعه الإسلام في هذه المسألة قبل أربعة عشر قرنا في بعض كلمات : أنه حرم الرق جسعاً ولم يبع منه إلا ما هو مباح إلى الان . وفهو ذلك أنه قد صنع خيراً ما يطلب منه أن يصنع ، وأن الأم الإنسانية لم تأت بجد في هذه المسألة بعد الذي تقدم به الإسلام قبل ألف ونinetين وثلاثة عام . فالذى أباحه الإسلام من الرق مباح اليوم في أم الحضارة التي تعاهدت على منع الرق منذ القرن الثامن عشر إلى الان .

لأن هذه الأم التي اتفقت على معاها داد الرق تبيع الأمر واستغاد الأسرى إلى أن يتم الصلح بين المتعارفين على تبادل الأسرى أو التغورض عنهم بالغداة والغرامة . وهذا هو كل ما أباحه الإسلام من الرق لو من الأسر ، على التعبير الصحيح وغاية ما هناك من فرق بين الماضي قبل أربعة عشر قرنا وبين الحاضر في القرن العشرين أن الدول في عصرنا هذا تتولى الاتفاق على تبادل الأسرى أو على افتداء بعضهم بالغرامة والتعريض . أما في عصر الدعوة الإسلامية فلم تكون دوله من الدول تدخل نفسها بهذا الواجب نحو رعاياها المسلمين ، فمن وعدهم في الأسر حتى يفتدي نفسه بعمله أو عاليه : إذا سمع له الأسرى بالغداة .

فماذا لو أن الدول العصرية بقيت على خطط الدول في القرن السادس الميلادي ؟ فربما أن المخوب اليوم انتهت كما كانت تنتهي في عصر الدعوة الإسلامية بغير اتفاق على تبادل الأسرى أو على افتادتهم من الأسر بالتعريض والغرامة ؟

كانت حالة الأسرى اليوم تشبه حالة الأسرى قبل أربعة عشر قرنا في حقوق العمل والحرية والتسمى بالروايا الاجتماعية ، وكان كل أسرى يظل في موطن أسره قريباً في الخدمة العامة أو لائحة محروماً من المساواة في حقوق المواطن .

ولذلك قسم الظهار .

فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرر برقبة موقنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا بيته وين أبناء الأمة الغالية .

حالة كحالة الرفق التي سمح بها الإسلام على كره واضطرار .

ولكن الإسلام لم يقنع بها في إثبات دعوته ، وأضاف إلى شرعيته في الرق نوافل وشروط تسبق الشريعة الدولية بأكمله من الف سنة . فإذا كانت الشريعة الدولية لم تعرف الدولة في فكاك رعايتها من الأسر فقد سبق الإسلام إلى فرض هذا الواجب على الدولة فجعل من مصارف الرزك إيقافها في الرقاب « أى فكاك الأسرى ، وأن يحسب للأسرى حق من الفى ، والغائبة كحق غيرهم من المقاتلين .

لذا كان ارتباط الأسرى ضرورة لازب في الحرب الحديثة فالإسلام لم يجعله حتماً مقضيَا في جميع الحروب ، وحرص على التخفيف من شدته ما تيسر التخفيف منه وجعل الملىء في التسريح أفضل المخلصين : « فلما ما بعد إمام داده حتى تضع الحرب أوزارها »

وحيث المسلمين على قول الفدية من الأسير لو من أولائه :

« والذين يستغون الكتاب مما ملكت آيمانكم فكتبوهم إن علمتم فهم خيراً وأئوه من مال الله الذي أتاكم » [النور: ٣٣]

وقد كثرت وصايا النبي ﷺ بالأرقاء فقال في بعض الأحاديث « أوصاني حبيبي جبريل بالرقة حتى ظلت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » وكانت من آخر وصاياه قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى وصيته « بالصلة وما ملكت آيمانكم » ونهى المسلمين أن يتكمم أحد عمالك فيقول : عبدى وأمسى . ولما يذكركم فيقول فتاي وفتانى كما يذكر أبناء وبناته . وكان ﷺ يعلم صاحبته بالقلدة في معاملة الرقيق كما يعلمهم بالفرض ، فكان يتوعّى عن تأديب وصيغته ضرباً بالسوالك ، وقال لوصيفة أسلها فلبطات في الطريق : « لا ولا خوف القصاص لا وجعك بهذا السوالك » .

ومن الوسائل الفردية التي تجري بها الإسلام تعميم العتق وتعجيز فكاك الأسرى أنه جعل العتق كفارة عن كثيرون من الذنوب ، كالقتل الخطا والحدث بالمعين ومخالفه قسم الظهار .

ومن قبل مؤمناً حطأ فتحرر برقبة موقنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا بيته وين أبناء الأمة الغالية .

بِئْنَمِ فِدْيَةٍ مُسْلِمَةٍ إِلَى أَهْلِ وَتَحْرِيرِ رَقْبَةِ مُؤْسَدَةٍ

لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْغُرُورِ فِي أَيْسَاكُمْ وَلَكُمْ بِإِحْدَاكُمْ بِمَا عَدَمْتُمُ الْأَيْسَانَ

كَفَارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَعْمَلُونَ أَهْلَكُمْ أَوْ كَسْرُوكُمْ أَوْ تَحْرِيرُ

فِدَةٍ

وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نَسَانِهِمْ ثُمَّ يَعْوِدُونَ لَمَا فَالُوا فَسَحْرُرُ رَقْبَهُ مِنْ قَبْلِ

[الآيات: ٢٢ - ٣٠]

وَسَبِّبَ مِنَ الرَّذَائِلِ الْمُخْرَذَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ السَّبَقَ أَنَّهُ لَا يَتَّسِّمُ هَذِهِ الْمَعْنَى أَلَّا

[الجادلة: ٣]

يَهُضِّ بِهِذِهِ الْفَدْيَةِ الْمُوْكَدَةَ .

[البلد: ٦٥ - ٦٧]

فَلَا افْتَحْمَ الْعَقْبَةَ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةَ (٢) لَكَ رَقْبَهُ (٣) أَوْ إِطْعَامُ فِي يَوْمِ

يَسْعَيْهُ (٤) يَتَبَسِّا دَاءَ مَقْرَبَهُ (٥) (٦)

• • •

فَالْعَقْبَةُ إِذْ هُوَ الدِّيْنُ شَرْعَهُ الْإِسْلَامُ فِي أَمْرِ الرِّفِّ . وَأَمْا نَظَامُ الرِّفِّ بِأَوْاعِهِ فَقَدْ

جَدَهُ مُشْرُوعًا فَخَرَجَهُ جَمِيعًا ، وَلَمْ يَسْتَحِفْ مِنْهُ إِلَّا مَا هُوَ مُبَاحٌ إِلَى الْبَيْوْمِ فِي نَظَامِ

الْأَسْرِيِّ وَتَسْتَخِرُهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ مِنْ يَاسِرِهِمْ مِنَ الْمُغَاثَلِينَ . وَسَبِّقَ الْفَوَانِينِ الدُّولِيِّةِ

فَقْرِيرِهِ إِنْزَامُ الدُّولَةِ وَاجْبُ الصَّعْيِ فِي إِطْلَاقِ أَسْرِاهَا وَإِعْنَاقِهِمْ بِالْعَدَاءِ ، وَشَفَعَ ذَلِكَ

لِلْمُقَاتَلِ الْمُؤْمِنِ بِهَا .

• • •

أَحَيْنَ تَقْرِبَ مِنْ مَدِينَةِ لَكِيْ تَعْرِبَهَا إِسْتَدِعَهَا إِلَى الصَّلْحِ . فَإِنْ أَجْبَتَ إِلَى

الصَّلْحِ وَفَتَحَتَ لَكَ فَكِيلُ النَّعْبِ الْمُوْجُودُ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلْسَّخِيرِ وَتَسْتَعِيدُ لَلَّكِ

وَلَمْ تَسْمَلَكْ بِلَ عمَلَتْ مَعَكَ حَرْيَا فَخَاصِرَهَا ، وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَيْكَ

الْوَسَالَ الْفَرِديَّةَ فِيهَا تَتَعَلَّ بِهِ النَّدَمَ إِلَى الْأَغْوَادِ مِنْ مَالِكِيِّ الْأَرْقَاءِ بَعْدِ وَيَاهِ الدُّولَةِ

مَتَّهَا .

وَلَا يَقُولُ هَذَا عَمَلٌ كَثِيرٌ أَوْ قَلِيلٌ ، بَلْ يَقُولُ أَنَّهُ الْعَمَلُ الْوَحِيدُ الَّذِي أَسْتَطَعْ

صَحَارِيَّةِ نَظَامِ الرِّفِّ وَلَمْ يَسْطُعْ أَمْمَانِيَّةَ مَاهُومَ حَسِيرَ مِنْهُ فِي عَلاجِ هَذِهِ الْمَالَةِ

إِلَيْكَ . هَكَذَا تَنْعَلُ بِجَمِيعِ الْمَدِينَ الْبَعِيْدَةِ مَنَّكَ جَدَا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مَدِينَ هَوَلَاءِ الْأَمْ

هَا . أَمَا مَدِينَ هَوَلَاءِ الْمَعْوُبِ الَّتِي يَعْطِيُكَ إِلَيْكَ نَصِيبًا فَلَا تَسْتَبِقُ مِنْهَا

أَيْ شَفَاعَةَ كَانَتْ لِأَوْلَادِ الْمَسَاكِينِ النَّسِينِ فِي عَصَرِ يَصْفُونَهُ بِعَنْ - فِي تَارِيخِ

الْمَلَمَ - بَأْنَهُ عَصْرُ الْجَهَالَةِ وَالظَّلَمَاتِ؟

نَسْمَةٌ مَابَلِّغُهَا تَحْرِيْعاً

وَأَقْسَى مِنْ هَذَا الْجَزَاءِ جَزَاءُ الْمَدِينَ الَّتِي يَنْجُمُ فِيهَا تَاجِمَ بالْدَعْوَةِ إِلَيْهِ

إنساناً كاملاً يلهمه الحق والرشد ويعينه إلى الهدى عليهما يعمل يستطيعه

و يستطيع الناس أن يفهموه - متى حدث - كما يفهمون جلائل الأعمال - إلا أنهم لا يستطيعون أن يتذمرون إذا قصره على المأمور في سياق التاريخ.

وهذا تفسيرنا لوصايا الرقى في الإسلام ، ترتضيه عقولنا ونقول عن يقين أنه أقرب إلى العقل من معجزة الدجل وعجزة النافذين المستحيلة ، ونحسب أن المكاربة تفخر عن الدهاب إلى الأمد الذي يدفعها إليه من لا يغفرون بين الدجل والصدق أو لا يغفرون بين الواقع والمتحيل .

• • •

وتتطوى القرون وتكتئف الزمن عن أزمة الرق الكبرى في التاريخ الحديث .

إن وصايا الإسلام في مسالك الرق خولت كثيراً وكان من مخالفيها كثير من المسلمين ، ولكن الإسلام - على الرغم من هذه المخالفات المركبة - لا يضيئه ولا يغضبه . وأحرى بعوب الجاهليه أن يكونوا في قسوة بني إسرائيل أو أشد منهم قسوة لأنهم أهل باديه مملهم « يدعهم على كل إنسان ويد كل إنسان عليهم » كما قيل عنهم في العهد القديم .. فإذا علت وصايا الرق بالعمل الطبيعية

التي تسفيها عقوله فماذا يقول الدين ينكرون الدعوة الإسلامية تعصباً للدين آخر ؟ وماذا يقول الدين ينكرونها من الجاهلين للأديان ؟

يقول المكررون المتصحرون للدين غير الإسلام إن الدعوة برمتها تلقي رجل دجل . ولا ندرى كيف تسفي عقولهم أن يكون الرسول الدجل أرفع أدبياً وأشرف خلقاً وأبر بالإنسانية الفعالة من الرسل الصادقين .

فالقاراء الأفريقيه - في بلاد السود - مفتوجه أمام أبناء السواحل الجاودة لها منذ مئات السنين ، ولم تفتح للنخاسين من الغرب إلا بعد اتصال الملاحة على ساحل البحر الأطلسي في العالم القديم والعالم الجديد .

ويقول المكررون من أنصار العمل الطبيعية إن الدعوة الإسلامية ولidea البلاد العربية خرجت من أنطواء عقائدها وتقاليدها وساورتها . ولا ندرى كيف يكون الأمر كثرين : عدد يقترب خمسة أضعاف ضحايا النخاسة في القارات الثلاث منذ عدة الباقين من ذرتهم - بعد القتل والاضطهاد - نحو خمسة عشر مليوناً في الأمريكتين : إذا قلنا إن البيئة العربية جاءت بغيرها من تراثها وتقديرها وتعنيش العقول وتسريح إليه إذا قلنا إن البيئة العربية جاءت بغيرها من تراثها وتقديرها المستقر من العالم حولها .

إن تصديق أعرجيب الموارق لا يجرد بعقول الفريقين من قبول هذا اللغو الذي صدفوه وأطمأنوا إليه . ونحن نريد للدعوة الإسلامية سببها المعقول فلا ترى تافقنا بين هذا السبب وبين الواقع الذي لا غرابة فيه إلا إذا أوجبنا تحزن على عقولنا أن نستغربه متعسفين .

فالغريب عندنا أن يأتي رجل دجل يات به أرفع الحضارات والديانات من الشرق أمة من هذا القبيل ، لأن الأسود الذي يتنقل إليها يحسب من أحelaها بعد قليل واحد ، له ما له ولعله ما عليهم يغير حاجة إلى حماية من التشريع أو نصوص المصائر .

إسرافيل ، فإنها كما جاء في الإصحاح الثالث عشر من كتاب الشبيه .

« فصرنا تضرب بعد السيف وكم بكل مافيها من بهائمها بعد السيف تجمع كل مستعها إلى وسط ساحتها وترفرق بالدار .. المدينة وكل مستعها كاملة للرب ..

فالقدوة في حروب الدين وحروب الفتاح تغير بالفترة ولا تغير بالع فهو والرحمة . وأحرى بعوب الجاهليه أن يكونوا في قسوة بني إسرائيل أو أشد منهم قسوة لأنهم أهل باديه مملهم »

أما الواقع المواقف للعقل ، ولا ماتفاقه فيه لنؤميس الكون ، فهو أن يخلق الله الجاهلية .



حقوق الجنرال

ولم يشأني النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أبداً بالعداء في بلاد الدولتين، إنما كتب إلى الملوك إلى تحوم المهاجر الشمالي، وعادت السرية بغير قتال حين وجدت في بيوك أن

الروم لا ياهبون الرزق على بلاد العرب ذلك العام . إنما كتب إلى الملوك شائع عن الإسلام أنه دين السيف، وهو قول يصح في هذا الدين إذا أراد فالله أنه دين يفرض الجهد وجه الجهد بالسلاح، ولكنه غلط بين إذا أراد به أن الإسلام قد انتصر بعد السيف أو أنه يضع القتال في موضع الإقطاع . وقد فطن لسخف هذا الادعاء كاتب غربي كثيرون كـ توماس كاليل صاحب كتاب «الأبطال وعبادة البطولة» فإنه انتقد محدداً عليه السلام مثلاً بطولة النبوة وقال مامعنـه .

«إن اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة للدعوة سخيف غير مفهوم . الأذليـس ما يجوز في الفهم أن يشهد رجل نـوـيـسـهـ ليـقـتـلـ بهـ طـالـعـينـ مـصـدـقـيـنـ وـتـعـوـضـاـنـ الـحـرـبـ منـ أـعـدـائـهـ قـبـلـ أـنـ يـقـدـرـواـ عـلـيـهـ» . والواقع الثابت في أخبار الدعوة الإسلامية أن المسلمين كانوا هم ضحايا القسر والتعذيب قبل أن يقدروا على دفع الأذى من مشركي قريش في مكة المكرمة، فهجروا ديارهم وتقربوا من أهلهم حتى يبلغوا إلى الحبشة في هجرتهم، فعلـيـمـونـ على أنفسهم في مدينة عربية قبل التجائهم إلى «پـرـبـ» وأقامتهم في جوار أحوال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، مع ما بين المدينتين من التناقض الذي فتح للمسلمين بينهما ثغرة يدخل منهم في دينه . ظلم تکن بين المسلمين والشركـينـ حـسـنـ ثم فـتـحـ مـكـدـةـ في أيام صلح الحديبية، ثم عادت الحرب سجيلاً بين الفرقـينـ حتى تم انتقال الحرب من قتال سافر بين الشرـكـينـ والـسـلـمـلـيـنـ إلى قتال بالدلـسـ والمـكـيـدةـ بين هؤلاء وزمرة المتفـقـينـ . وقد حرص الإسلام على تسمية كل عدو من أعدائه باسمه لا يخدوه ولم يخلط بين حرب الشـرـكـ وـحـرـبـ الفـاقـ، لأنـهـ لا يـعـاـسـبـ على العداوة بالـنـيـاتـ كما يـعـاـسـبـ على العـدـاؤـ بالـأـعـمـالـ . أما فـيـانـ الجـرـيـةـ العـرـبـيةـ فـيـ قـرـيـشـ فـلـمـ يـحـارـبـهـ الـإـسـلـامـ إـلـاـ حـرـبـ دـفـاعـ أوـ حـرـبـ مـبـادـرـةـ لـاقـاءـ الـهـجـومـ منـ يـاـوـيـاـهـ الـسـلـمـونـ بعدـ أـنـ خـلـقـاـهـ هـجـومـ

قبلـ يـكـلـ لـأـنـيـهـ فيـ عـدـ المـعـاـلـيـةـ . ولـمـ يـعـدـ الـسـلـمـونـ قـطـ إلىـ القـوـةـ الـأـخـلـارـيـةـ الـقـوـةـ الـتـيـ تـصـدـهـ عـنـ الإـقـاعـ، فإذاـ وـصـدـتـ لـهـمـ الـدـوـلـةـ الـقـوـيـةـ جـنـدـهـاـ حـارـبـهـاـ لـأـنـ القـوـةـ الـأـخـلـارـيـةـ الـقـوـةـ الـتـيـ تـصـدـهـ عـنـ الإـقـاعـ، فإذاـ

وـكـفـواـهـ عـنـهـمـ لـمـ يـعـرـضـهـاـ الـهـبـوـهـ . ولـذـلـكـ حـارـبـهـ الـفـرسـ لـأـنـ كـسـرـىـ أـرـسـلـ إلىـ عـالـمـهـ فيـ الـبـيـنـ يـأـمـرـهـ بـتـادـيـبـ النـيـيـنـ أوـ ضـرـبـ عـنـهـ دـارـسـالـ رـسـلـهـ، وـحـارـبـهـ الـرـومـ لـأـنـهـ أـرـسـلـاـ طـلـاعـهـ بـلـيـكـ فـيـ بـلـدـهـ الـسـيـرـيـةـ الـمـشـهـورـةـ

عبد الله بن رواحة لما بلغتهم أن باطن زمام رئيس اليهود يسعى في تحرير العرب على قال المسلمين، ثم سرية عصرو بن أمينة الفسروي لقتل أبي سفيان جراء إرساله من يقتل النبي صلوات الله عليه غدرًا، ثم حرب العراق لما رأى كتبه كسرى عندما أرسل إليه كتاب عرض عليه فيه الإسلام، فإنه من قرق الكتاب وكتب إلى بازان - أمير له بالبيزن يقول له : «بلغني أن رجلاً من قريش خرج بعكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستبه فان تاب ولا فابعث إلى برلساه . أكتب إلى هذا الكتاب وهو عبدى»^٩ فبعث بازان يكتاب كسرى إلى النبي صلوات الله عليه مع فارسيين يأمره أن ينصرف معهها إلى كسرى فقدمها إليه وقال له : شاهنته بعث إلى الملك بازان يأمره أن يبعث إليك من يائى بك ، وقد بعثنا إليك فإن أبىت هلكت وأكلت قومك وخررت بلادك . فليس بعد ذلك عذر للمسلمين في انتقامهم عن حرب الفرس خصوصاً وقد كان العرب تارات كثيرة في ذمة العجم ... ثم غزوة تبوك لما بلغ المسلمون أن الروم الجموع تزيد عزوفهم في بلادهم ، وقد أمعنها فتح الشام والقسم الأعظم من دوله الروم^{١٠} .

• • •

فهذا حق السيد كما استخدمه الإسلام في إشد الأوقات حاجة إليه .
حق السيد مرادف لحق الحياة ، وكلم أبو جب الإسلام فيما أوجبه لأنه مضطرب إليه أو مضطرب إلى التخلّي عن حقه في الحياة وحقه في حرية الدعوه والاعتقاد . فإن يكن دروا للعدوان والانتهايات على حق الحياة وحق الحرية فالإسلام في كلمتين هو دين السلام .

كان ترمي الغاية ، ثم سرية محمد بن مسلمه إلى القصبة لما بلغ المسلمين أن بذلك الموضع ناساً يريدون الإغارة على نعم المسلمين التي ترعى بالبيضاء ، ثم سرية زيد بن حارثة لمحاكمة بنى سليم الذين كانوا من الأحزاب يوم الحديق ، ثم سرية زيد كذلك للإغارة على بنى قفارة الدين تعرضاً له ، ثم سرية عمر بن الخطاب لما بلغ المسلمين من أن جماعاً من هوازن يظهرون العداوة لل المسلمين ، ثم سرية بشير بن سعيد لما بلغهم من أن عبيدة بن حصرن واحد جعده من خطفان مقيمين يغزو خبر للإغارة على المدينة . ثم سرية غالب الليبي ليقتضص من بنى مرة بعذلك لأنهم أصياباً سرية بشير بن سعد ، ثم غزوة مؤتة وكانت لعراض شرجيل بن عمرو الغسانى للحارث بن عمير الأذى رسول النبي صلوات الله عليه إلى أمير بصرى يحمل كتاباً وكتله إيه ، ولم يقتل للنبي صلوات الله عليه رسول غفير حتى وجده لملك وجداً شديداً . ثم سرية عمرو بن العاص لما بلغهم من أن جماعة من قضاة ويتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى للإغارة على المدينة ، ثم سرية على ابن أبي طالب لما بلغهم من أن بنى سعد بن يكر يجتمعون الجموع لمساعدة بهود خبير على حرب المسلمين ، ثم غزوة خبير لأن أهلها كانوا من المسلمين ، ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء

(١) - المعاشرة السابقة من الماقررات الإسلامية .

والنسب هو حكمية الاجتماع من خلق الإنسان مذ تكوبته في صلب أبيه :

[الفرقان: ٢٤]

وهو الذي خلق من النساء يبشر أفعى بعد صدوره
وتقربن بين هذه البلاد والبلاد التي اجتهدت إليها غزوارات المسلمين لأول مرة في صدر
الدعوة الإسلامية: وهي بلاد العراق والشام، فإن عدد المسلمين قلماً يوم

على عشرة ملايين يعيشون من اختوارها السقا، على دينهم من المسيحيين واليهود
والوثنيين أو أشباه الوثنيين. ومن المفيد في هذا الصدد أن تعدد المقارنة بين البلاد التي
أهوا تلقى بينهم العداوة والبغضاء :

[المائدة: ٩١]

(إنساً يورث الشيطان أن يرث بعده العداوة والبغضاء في الخسر والسيء) [١]

والعداوة والبغضاء هما إجراء الذي يصعب الله به من ينسون أيامه ويكتفرون
والعداوة والبغضاء التي يصعب الله به أمر الكتاب بعد ما جاءهم من البيانات

[المائدة: ٦٣]

يُعمّت، وهما إجراء الذي يصعب الله به أمر الكتاب بعد ما جاءهم من البيانات
فضولياً عن سوانحه ولهم بيته لهم غير اسم يدعوه: فتسرا حطا مثنا ذكرها به فاغرتنا
وأنفع من الإحسانات والمقارنة أن تتفهم دخيلة الدين من روحه التي تصفي
المقدمة بمعبتتها فيما يعيه المتدين على فصله منه أو فيما ينساف إليه يوحى من
روح دينه كله عادة مطبوعة لا يلتفت إلى قصده منها. وروج الإسلام في العادة
بين المسلم وسائر بني الإنسان. تشف عنها كل أية وردت في القرآن الكريم عن
حكمه الاجتماع من أكبر الجماعات إلى أصغرها، ومن جماعة النوع الإنساني في

[الملائكة: ٧٢]

وقالت الظهور بد الله مخلقه غلت أيمتهم ولهموا بما قالوا بل يدأهم
يعرف كيف يشاء وليريدن كثروا منهم ما أنزل إليك من رب طغيبانا وكفرنا والقبيشا
بینهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة كلما أوقفوا بدارا للحرب أطلقها الله ويسعون
في الأرض فسادا والله لا يحب المسلمين [١] [١]

[المائدة: ٦٤]

• • •

حكمتها كلها فيما يتعلمه المسلم من كتابه أنها وضيحة من وسائل الموجة

.

والرحمة، وسبيل إلى التعارف والتقارب بين الفرقاء.

فالتعارف هو حكمية التعدد والتكاثر بين الشعوب والقبائل من أبناء آدم وحواء:

فريا إليها الناس إبا حلقاتكم من ذكر وأنتي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعازفوا [٢]

[الحجرات: ١٠]

ولموجة والرحمة هي حكمية الاجتماع في الأسرة:

فرو من أيامه أن حلقي لكم من نفسكم أزواجاً سكروا إليها وعمل بعزم مودة

[الروم: ٢١]

وقد تعددت آراء المشرعين وأصحاب الآراء في القواعد بين طائفتين ترى أن
عياه أن يسلكونا سبيل المودة والسلام ويستخطف منهم أن يسلكونا سبيل العداوة
والعداوة.

وفي سورة النحل :

إِنَّمَا مُطْبِعٌ عَلَى الشَّرِّ وَإِنْ حَالَ الْحَرْبُ هِيَ أَحَسْنُ إِذْنٍ
أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحَكْمَةِ وَالْمُوَعَظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاءَهُمْ بِالْأَحْسَنِ
لَرِبُّهُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِأَعْلَمِ الْمُهَمَّاتِ (١٢٦) [النحل: ١٢٦]

سَبِيلٌ مَا عَرَفْتُمْ يَهُوَ لَنَا صَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٧) [النحل: ١٢٧]
وَفِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ :

أَنَّ جَنَاحِرَ الْمُسْلِمِ فَاجْتَهَ لَهَا وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ (١) [الأنفال: ١١]
هُوَ أَنْ جَنَاحِرَ الْمُسْلِمِ فَاجْتَهَ لَهَا وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ (٢)

وَفِي سُورَةِ النَّسَاءِ :

فَإِنْ أَعْزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْاتِلُوكُمْ وَالْقُرَا إِلَيْكُمُ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ
[النساء: ٥٠]

• • •

الإِنْسَانُ مُطْبِعٌ عَلَى الشَّرِّ وَإِنْ حَالَ الْحَرْبُ هِيَ أَحَسْنُ إِذْنٍ
تَتَغَرَّبُ بِنَيْمَهُمْ حَالَةً غَيْرَهَا مِنْ أَحْوَالِ الْمُضْلَلَةِ وَالْمُرَاضِعِيِّةِ ، وَطَافَةً
لَرِيَ إِنَّ الْإِنْسَانَ - بِطَبِيعَهُ - مُخْلُوقٌ وَدَيْعٌ يَدْفَعُهُ الْحَرْفُ وَالْمَسَاجِيَّةُ إِلَى الْمَشَاكِيَّةِ
فَيَسْعُدُهُ عَلَى كَرْهٍ وَيَصْدُدُ الْعَدُوَانَ عَلَى كَرْهٍ وَيَجْرِي عَادَتَهُ عَلَى وَنَفَقَ مَا عَلَيْهِ عَلَيْهِ
مُعْيَثَةُ الْأَمْنِ وَالرِّخَايَةِ أَوْ مُعْيَثَةُ الْقَلْقِ وَالْأَضْطَرَابِ .

وَالْإِسْلَامُ دِينٌ يَنْظَرُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْمَشَكِّلَةِ نَظَرَةَ الدِّينِ وَلَا يَعْتَبِرُهُ الْوَاقِعَ لِيَسْجُلَهُ مَثَلًا
مُخْتَارًا لِلْمُعْلَاقَةِ بَيْنَ النَّاسِ . بَلْ يَعْتَبِرُهُ الْوَاقِعَ لِيَخْتَارَ لَهُمْ مَاهُرًا أَجْدَرَ بِالْخَيْرِ لَهُمْ وَاصْلَحَهُ
لِشَفَوْتِهِنَّ أَفْرَادَهُمْ وَجَمَاعَاتَهُمْ ، وَيُرِضُّهُمْ عَلَى إِنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْ الْوَاقِعِ فَيَقُولُهُمْ يَطْبِقُونَهُ
وَيَنْفَعُهُمْ أَنْ يَطْبِقُوهُ .

فَالْمُعْلَاقَةُ بَيْنَ النَّاسِ فِي دَسْتُورِ الْإِسْلَامِ عَلَاقَةُ سَلَمٍ حَتَّى يَضْطُرُوا إِلَى الْحَرْبِ
دَعَاعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَوْ اتِّقاءً لِلْمُجُومِ تَكُونُ الْمُبَادِرَةُ فِيهِ ضُرُورًا مِنَ الدِّفاعِ . فَالْحَرْبُ يُؤْمَنُ
أَمَّا الْمُشَرِّكُونَ الَّذِينَ لَمْ يَصْدُرُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ وَلَمْ يَبْلُوْهُمْ بِالْمَدْعَوَةِ فَلَا
يَرْجِعُهُمْ إِلَيْهِ فِي الْأَذْنِ ، وَسَامِرُو بِتَخْرِيرِهِمْ مَا يَقْبِلُهُ وَسَبِيلَهُ إِلَى
الْحَرْبِ بِالْقَدْرِ الَّذِي يَكْفُلُ لَهُ دُفُعُ الْأَذْنِ ، وَسَامِرُو بِتَخْرِيرِهِمْ مَا يَقْبِلُهُ وَسَبِيلَهُ إِلَى
الصَّبَرِ وَالسَّالِمَةِ وَيَتَكَرَّرُ هَذَا الْأَمْرُ كَلَمَا تَكَرَّرَ الْإِذْنُ بِالْقَتَالِ وَالْتَّخْرِيرِ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ
تَخْرِيرٍ أَمْرٌ بِهِ وَلِيَ الْأَمْرِ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ التَّخْرِيرُ عَلَى تَجْبِيدِ الْجَنْدِ وَحْضُنِ الْعَزَّامِ
عَلَى حَرْبٍ لَمْ يَقْتَلُهُ مَنْ يَخْرُجُكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ إِنْ دِيَارَكُمْ أَنْ
لَا يَهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يَقْاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخْرُجُكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ إِنْ
لَا يَهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ وَلَمْ يَقْاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ إِنَّمَا يَهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ
نَبِرُّهُمْ وَتَقْسِطُرُهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ
فَقَاتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهِرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ إِنْ تَوْلُوهُمْ وَمِنْ
[المتحدة: ٣، ٨]

• • •

أَمَا أَوَّلُ الصَّالِفِينَ فَمِنْ أَيْمَانِهِ فِي الْقَرْآنِ الْكَرِيمِ مَا وَارَدَ فِي سُورَةِ الْبَرِّةِ .
يَسَّاسُ الدِّينُ كُفُرُوا وَاللَّهُ أَشَدُ يَأسًا وَأَشَدُ تَكْبِلاً (١٢٨) [النساء: ٤٤]
وَقَاتُلُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْاتِلُوكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْدِنِينَ (١٢٩)
أَنَّهَا قَاتُلُوكُمْ إِلَيْهِمْ عَيْدُهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَعَقِّنِ (١٣٠) [الغُرْفَة: ١٤٠]
وَلَمْ يَجْعَلِ الْإِسْلَامَ وَفَاءَ الْمَعَاهِدِينَ بِعِهْدِهِمْ تَدْبِيرًا مِنْ تَدْبِيرِاتِ السَّيَاسَةِ أَوْ
ضَرُورَةِ مِنْ ضَرُورَاتِهَا الَّتِي تَحْمِلُهُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بَسْطَلَ ما اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ (١٣١) [الغُرْفَة: ١٤١]

أمانات العقل والضمير وخلقاً شرفاً يكاد المخارج عليه أن يخرج من أحديه ويسلك في عداد السائمة التي لا ملامة عليها :

﴿وَأَفْرِجُوا بِعِهْدِهِ إِذَا عَاهَدُوكُمْ وَلَا تَنْهَضُوا بِالْأَيْمَانِ بَعْدَ مَوْكِدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كُفِيلًا﴾ [السحل: ٤١]

إن شر الدواب عبد الله الدين كفروا بهم لا يغشوا الأنبياء بعد موكيدهم [٢٥٦] ثم يغشون عهدهم في كل مرة رغم لا يتغرون [٢٥٧] [الأناشيد: ٣٥٠، ٣٦٠]

﴿إِذْ أَنْ نَصَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُخْبِطُ الْإِكْرَاهَ فِي الدِّينِ :
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَّعَ الرَّشْدَ مِنَ الْعَيْنِ يَكْفُرُ بِالظَّاهِرَاتِ وَيُؤْمِنُ بِالْأَكْرَاهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]
فقد استسلم بالعوراة والرقيقة لا انتقام لها والله سبحانه عليم [٢٥٨]
ولكن معنى تقييم البلاد إلى بلاد سلم زياد حرب أن بلاد الحرب لاتدخل في السلم إلا قبلت الدين أو تعادلت على الصلح يعتد أو يغير قتال . وتأتي طبيعة الأمور تقييباً لحقوق السلام وال الحرب غير هذا التقييم .

﴿كَيْفَ يَكُونُ الْمُشْرِكُونَ كُنُونَ عَنْهُدِهِ عَنْ رَسُولِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَادِهِمْ عَدْدَهُمْ عَدْدُهُمْ﴾ [الشورى: ٧]
المسجد العرام فيما استقاموا لكم فاستفسروا لهم إن الله يحب المسلمين [٢٥٩]

ومن توكيده الإسلام لواجب الوفاء بالعهد أنه يحرم على المسلمين أن يستبيحوه [٢٦٠]
القول منهم يستنصرونهم في الدين إذا كان بينهم وبين أعداء المستنصرين لهم عهد ويعتاق :

﴿وَإِنْ اسْتَصْرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَلَعَلَّمُكُمُ النَّصْرَ إِلَى أَعْلَى قَوْمٍ يُبَكِّمُ وَيُبَهِّمُ بِتَنَافِقَ﴾ [الأناشيد: ٣٧]
• • • • •

ولا يسيح الإسلام لولي الأمر أن يستخدم السيف فيما شجر بين المسلمين من زراع وبخاف أن ينضرى بينهم إلى القتال فإذا بعث طافقة منهم على الأخرى ظله بعد وتشتمل تعاليم الإسلام على أحكام منفصلة لكل حالة من الحالات التي تعرض بين المغاربين في أثناة القتال أو بعد . وهي حالات الأمان والاستئمان والهادئة والمودعة والصلح على معاهدة .
فلا مكان هو رفع استباحة المربى ورفه وماله حين قتله أو العزم عليه [٢٦١]
والاستئمان هو تأمين حررى ينزل لأمر الله فإن قاتل قاتلوا على مقتضاه «
وأقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يَحْبُبُ الْمَقْسُطَنَ» [الحجرات: ٤٠]

والهادئة «عقد لسلم مع حربي على المسالمة مدة ليس هو فيها على حكم
الإسلام» .
«وللملاعة «عقد غير لازم محضنل النقض ، بالإمام أن يتباهي حسب قوله تعالى :
وَمَا تَفْعَلُ مِنْ قَوْمٍ حَسِبَةً فَإِنَّهُمْ عَلَى سَوَاءٍ» (١) . ويشترط في حالة البيضاء أن
يلغى القاند إلى جنده ولأي الأعداء وهو على حكم الأمان حتى يعلموا بانتهاه
الملاعة» (٢) .

ثُمَّ أَخْذَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِمْلَاءِ الْمُهَدَّدِ وَإِنْتَاهَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فَأَقَى سَهْلِ بْنِ عَمْرَو أَنْ يَبْدِأُ الْعَهْدَ بِهِنْهَ الْفَاتِحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَقَالَ بْنُ يَكْبَرٍ : بِسْمِ اللَّهِمَّ فَاجْعَلْهُ النَّبِيَّ إِلَى مَا تَطَلَّبُ وَعَصَى عَلَى قَاتِلِهِ : هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ سَهْلٌ : اللَّهُ لَوْ كَانَ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ وَلَا فَاتَّنَاكَ ، لِكَنْ : اكْتُبْ أَسْسَلَتْ وَأَسْأَلْتْ .

وينما هم يكتبون العهد لم يشرغا منه أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يوسف في القيد فرمي بنفسه بين المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول ما أفيضيك عليه وأخذ بتأليفه والده . فقال النبي لأبي جندل : يا أبي جندل قد جلت الفضية بينا وبينهم لا اندر . ” ومضى النبي وصحابه على رعاية عهدهم حتى نفثه قرني وأمدت بني بكر بالسلاح والآذاده في سرورهم لرعاة قاضي المسلمين في حل من شخص ذلك العهد وعده إلى مكة فلما فتحوها بعد ذلك قليل .

سنوات، وكان يزور الكعبة متعمراً ملائكة من صحبته فتصدى له الشركون
وحاولوا بينه وبين النبي الحرام، فقال النبي عليه السلام لرسولهم : إنما تم
لقتل أحد، ولكن جئنا معتمرين . وإن قرضاً قد نهكتهم الحرب وأصرت بهم فلان
شاماً ما مادتهم مدة وبنطاً بيني وبين الناس . فإن شاماً أنا بدخلها فيما دخل فيه
هذا حتى تفرد سالفتي وينفذ الله أمره ثم أخلفت قريش رسولها سهيل بن عمرو
العامري فانفق مع النبي عليه السلام على أن يرجع النبي وصحابه فلا يدخلوا مكة
تالى السنة، فإذا كانت السنة القادمة ودخلوها فاقموا فيها ثلاثة بعد أن تخرج منها
قريش ، ونهادوا عشر سنين لا حرب فيها ولا اغلال ولا أسلال ، ومن أنى قرضاً من المسلمين لم يزوروا ،
من قريش بغير إذن ولبس رداء عليهم ، ومن أنى قرضاً من المسلمين لم يزوروا ،
وأكثروا المسلمين هذا الشرط فقال عليه السلام : نعم إنه من ذهب هنا إليهم
فابعده الله ، ومن جاءنا منهم فجعل الله له فرجاً ومحرجاً . ومن أحب منهم أن
يدخل في عقد قريش وعدهم دخل فيه .

(٢) تراجم البذائع المكتابي وشروع حدود الإمام الأكبر التوسي وزاد المعاد ل ابن القبيم .

110

فخرج من الكنيسة وصلى في جوارها ولم يبع لنفسه أن يورط أتباعه في ذريعة يتعللون بها مالافية عهد من عهوده . وكلا العهدين ، عهد مكة وعهد بيت المقدس ، ينفي زعم الراعمين أن الإسلام يعتمد على الإكراه في نشر دعوته . وإنهما - وهو عهد الصلح في الشام بعد هزيمة دوله الروم - واضح في بيان الشرط التي يعرضها الإسلام على المعاهدين بعد الحرب التي ينتصر فيها . فمن أحب أن يقيم في مكانه فله أن يقيم وهو أمن على نفسه ودينه وحربه ، ومن أحب أن يرحل إلى بلاد الدولة المهزمة فله أن يرحل كما أراد وهو أمن في طريقه ، ومن دان بالإسلام فهو مقابل في زمرة المسلمين ، ومنطقى على دينه فليس عليه إلا أن يومن الجريمة فتحصيمه الدولة بما يحصى منه سائر عبادها ولهم عليه ما عليهم لا الحرب ، فإنها لا تطلب منه في خدمة دين غير دينه .

لآخرتهم من ديارهم ، لا يحرمون حراما في مهادتهم ولا في مسالتهم ولابرالون الأعداء من داخل الجزيرة وخارجها . وأصرروا على ذلك مرة بعد مرة حتى أصبحت معاهداتهم عبنا لايبيده ولما يغنى عن القتال فشة الاردعهم إليه بعد قليل ، ووضع من لدد القوم وأصاراهم عليه أنهم لا يهدون إلا بتوفرها على جمع العدة وتطلب العدو من المخصوص والأحلاف ، فبطلت حكمية الدعوة إلى العهد ولم يبق المسلمين من سبيل إلى الأمان معهم إلا أن يخربوهم من حيث أرادوا أن يخربوا المسلمين ولا يغدوا أحدا غير مسلم في تلك الجزيرة التي أبى أن تكون وطنا للمشركين وأحلافهم دون موافهم . فانتهت حكمية التخابر بين المعاهدة والقتال ، وجوب الخبار بين أهرين لثالث لهما ، وهم الجوار على الإسلام أو الخفوج تحكم ، فلا جوار في الجريمة لا حد من المشركين وأحلافهم اليهود إلا أن يدين بالإسلام أو بالطاعة .

وشرع الإسلام القتال على درجات فلم يشرع حالة إلا وضع لها حدودها وبين المسلمين ما يجب عليهم فيها ، رغم أنه في نحو عشرين سنة قانون دولي كامل لا حول للمرجع مع المقاييس على اختلافهم ، ظالم في القرن السادس ما يدل على أوربا في القرن السابع عشر ، ولم ينزل قاصرا عن غايته مهملا في ساعة الحاجة إليه . بدأ النبي عليه السلام دعوه واستجواب له من استجواب من قومه وهو لا يأنف بقتل . فلما اشتد به وب أصحابه ما أصابهم من أذى المشركين فعل بهم وفتزههم وأخر جوهم من ديارهم كان ذلك بداية الإنبعاثة المعتدين في الحد الذي يكتفى بالدفع العدو ، كما تقدم ، ولا يبقى بعده أثرا للفتننة والانتقام :

﴿أَذْنَ اللَّهِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَّمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نِصْرِهِمْ لَقِدِيرٌ﴾ (٣٢) الدين [الخط : ٣٤، ٣٥] .

﴿وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حِلْتِ الْحُكْمِ وَالنَّسْتَأْنِدُ مِنَ الْقُلْبِ﴾ [البقرة : ١٩١] . وقال النبي عليه السلام يومئذ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» . فمن قالها عصم من ماله ودمه لا يحقها وحسابهم على الله . وفي هذا المعنى ينص القرآن الكريم على محاربة أهل الكتاب الذين تحالفوا مع المشركين وتقضوا العهود التوالية بينهم وبين النبي كما تقدم في ذكر الغزوات والرسايا :

﴿قَاتَلُوا النَّاسَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يَحْرُمُونَ حَرَمَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَلَا يَدْعُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الْدِينِ أَوْ تُرْوَى الْكِتَابَ حَتَّى يَعْطُوا الْجَزَرِيَّةَ عَنْ يَدِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٤] .

والوجه الوحيد الذي يتصور إليه هذا الحكم أنه حيطة لأمحيد عنها الضمان أن من المسلمين من يتجاوزون في ديارهم ويتامرون على حربهم ، فلا يحل المسؤولون عن المسلمين أن يتكلّم لهم إلى عهد ينقض في كل مرة . ولكنه يامن عليهم في جوار قوم مطبعين للدولة يومن لها حقها ، فهم إذ لا يعلكون من الاستقلال بالعمل في طاعة تلك الدولة ما يملك العاهد المؤمن على عهوده . بكل عهد من تلك العهود ، وعقدوا النية سرا وجعلوها على اعتدال المسلمين

وعلى الجملة شرع الإسلام حكم الكل حالة يمكن أن توجد بينه وبين جيرانه على الحدود أو على الأمان . فنص على حالة الدفاع والعدوان ، ونص على الدفاع الواجب في حدوده على حسب العدوان ، ونص على التعاقد والسلامة إلى مدة أو لغير مدة ، ولما بطلت جدوى المعاهدة لم تبق له خطة يأخذ بها أعداء غير الإيان بالإسلام حتىما على أعدائه المسوون على العداء . بل جعله خيارا بين أمرين ، ومن سام الإسلام أن يرضي بغیر هلين الأمرین فقد سالمه أن يرضي بحالة ثلاثة لا يرضها أحد وهي حالة المحوف الدائم من عدو متربص به لاجدي معه المهانة ولا يؤمن على عهد من العهود .

وتفصي عهد النبي صلوات الله عليه والسليمون يعلمون حدودهم في كل علاقة ت exposures لهم بين أنفسهم وبين غيرائهم : علاقة المودة والثبات ، وعلاقة الشعب والفتنة . وعلاقة الحرب أو علاقة الشاهد أو علاقة المواجهة والمهانة أو علاقة الأمان والاستئمان . وهذه العناية بإقامة الحدود وبيان واجباتها هي وحدتها علقة قافية للإسلام على خصوصه الذين يفهمونه بأنه دين الإكراه الذي لا يُعرف غير شريعة السيف . فمن كان لا يُعرف غير شريعة السيف فما حاجته إلى بيان لكل حالات السلام وال الحرب بالحكمها وواجباتها وحدودها ومتاعبها ؟ لا حاجة به إلى حد من هذه الحدود مادام معه السيف الذي يجرده مني استطاع ، ولا حاجة به إلى حد من هذه الحدود مادام عزلًا من السيف مغلوبيا على كل حال .

ولما يبحث عن تلك الحدود من بعض السيف في موضعه يأتي أن يضعه في موضع ما يليه عليه علامة والقارة المسلم ليتسع حين يقرأ في مراجع تلك البحوث الفجوة أنها يبحث في شريعة تسرى على العالم الأوروبي الذي كان معروفا يومئذ باسم العالم المسيحي Christendom ، ولأنه مسيحي على العالم الحمدى Mohammedanism لا يأبه عالم جهله لا يفقه هذه الحدود ولا يلتزم بواجباتها وتعابتها . فمن دواعي السخرية التي يقال هنا عن دين يتناول المعلم المبتدئ فيه مرجحا من مراجع أصوله التي

ويتضمنها كانت هذه الحدود معلومة مقصورة بأقسامها وتعابتها في شريعة الإسلام كانت العلاقة بين الأم في المغاريات الثلاث فرضي لا يترب إلى ضبط ولا يستقر والشهد والمهانة والصلح والذمة والمهنة والواسطة والسفارة ، ويرى بكل حكم من الأحكام واجباته على المسلم في حالتي إبراهيم ونقضه وواجبات الإمام والرغبة فيه مفصلة مرددة كلها صحب العقود التي يتحرى فيها المؤمنون غایة التوكيد بينما السلام الإيجابي يفتح وجود الحرب في المجتمع وجود الحرب بالضرورة التي لا اختيارات فيها .

كانت شريعة الرومان أن كل قوي يجاوره عدو تفرض عليه . فلم يكن للقاراء المدينة (التي سموها بقرطاجنة) من ذنب إلا أنها دولة قوية تعيش على الدولة الأخرى من بحرومهم الذي أغلقوه دون غيرهم أو mare clausum أو الذين سموه بحروا وحرموا على حرهم أن يشاركون فيه Mare nostrum . وكذلك كانت شريعة الإسكندر وخلفائه على دولته الواسعة ، وكذلك بقيت شريعة الدول في القارة الأوربية إلى القرن السادس عشر أول عهده بالبحث في المحوف يوم كان الحق كله للسيف تواه دونه واحدة تتضمن من حولها من العايا المفترقين ولاتزاعها دولة أخرى في ولاتها عليهم واستبدادها بالمرء ، لم تكن تلك شريعة في المحوف يوم كانت شريعة السيف كافية مغيبة لمن يلتكه إذا غلب ولم ينفع له إذا حقق عليه الغلبة . فلما انقسمت الدولة الكبيرة في القارة الأوربية نفرقت الدول شيئاً وتنازع العروش والتجان تتابع المطام الموروث لاتفاق المحوف والواجبات بين الأمم والشعوب . ويومئذ - في أوائل القرن السادس عشر - بدأت بظهورهم في حدود الحرب والسلام وتصدى فقههم الكبير جرونيتوس Grotius لاستنباط هذه الحدود من وقائع الحال فيما ينانون الحرب Bellum , De Jure Belli et Pacis ، ولا يزال ينهم أساس المراجع إلى العصر الحديث . لم يحدث فيه جديد ذو بال إلا أنهما يرجعون عنه إلى الوراء عدة قرون ، فسيجيرون اليوم ما كان محظوظا من اقتحام الحرب بغيرة علة أو بلاغ .

وإن القارئ المسلم ليتسع حين يقرأ في مراجع تلك البحوث الفجوة أنها يبحث في شريعة تسرى على العالم الأوروبي الذي كان معروفا يومئذ باسم العالم المسيحي Christendom ، ولأنه مسيحي على العالم الحمدى Mohammedanism لا يأبه

ولما حاولت دول الإسلام ودول الغرب حول البحر الأبيض المتوسط كانت شريعة الدول الغربية في القانون الدولي هي الشريعة التي خالفتها لها دولة الرومان .

من جاور ذلك فهو عدو لا تضuduه أو يخضع له وتبادره حتى استطعت أو يسلمه هو بالطبع حتى استطاع ... وكانت هذه الشريعة عمل أشد ما في معاملتهم لبلاد المسلمين لأنهم أفردوها بعداء واحد فوق كل عداء.

ولذا وضح المبران بين هذه الدول في هذه الفترة ذهب كل غدرة من جانب الدول الإسلامية بعدها من جانب الدول الغربية ويفت في كفة الغربية غدرات كثيرة لا ظهر لها ولا مسوغ لها غير شريعة العداء الدائم في جميع الأحوال . والترك العثمانيون هم مضرب المثل عند الغربيين للشريعة التي تجوز في معاملات الغرب والتجزء في معاملات الأم الأخرى . ونفهم من يخاطر بين كلمة الترك وكلمة المسلم فيظن أن المسلمين كلهم من الترك وكتب كتابهم يومئذ عن قصيدة التركى وذمة التركى ولغة التركى يهو يشمل بالكلمة جميع المسلمين للأوربيين من المسلمين . وحقهم في عرف القوم أنهم لاحق لهم معروف بين الأوربيين .

ولكن هؤلاء الترك لم يكن من شرعيتهم فقط أنهم يعاملون أناسا سلبت حقوقهم واستبيحت دمائهم وأموالهم لهم سبب ولا مسوغ غير الخلاف في الدين . وطالما هم سلاطين الترك يأكلون المسلمين في بلادهم على الإسلام أو تستباح دسائهم وأموالهم فنهاهم عن ذلك شيوخ الإسلام وقيودهم بالفتواوى الشرعية التي لا تبيح للسلطان المسلم أن يقتل ذميا أو يقتل مخالفًا يقبل أداء الجزية بعد تغييره بينها وبين المعاهد أو الإسلام ... ولو لا هذه الفتواوى لاستطاع سلاطين الترك أن يحملوا أوربا الشرقية إلى الدين الإسلامي في جيل واحد أو جيلين ، ولو لا أن الفتوح الشرعية كانت لها رعيتها في ضمير السلطان المسلم لما اكتفى لها أولئك المسلمين الأقوية المحكمون في عالمهم ولا سيما أيام الفتوح التي أضافت إلى قوتهم الجد ونجلاء الظفر والسطو . فقد كانت رعبية الفتوى من العالم العارف بأوامر الدين ونواجهه تخيف بطل الحرب الذي لا تخيفه الجوش والملاعنة لأنها رهبة من الله سيد السادة وملك الملوك القادر على أن يحدّل المنتصر وينصر الخندول ، بل كانت هذه البغي إلى نهاية كل جامع عسوف مستبد برؤيه .

ومن البديهي أن الأديان تعليم بين الناس مواطن التحليل والتلحرم ، وليس هي بالقول المادية التي تجرهم من اعتقادهم إلى الخنزير ومجيئهم بالسلود لتصدهم عن مقارقة الشر ، وليس هي بترباق الساعة الذي يقال في أسطيير السخر أنه يبرر الأدواء ل ساعته ويخلفها بالصيحة السابعة والشباب المقلد . وقارارها من الهدائية أنها كالصابيح التي تثير المسالك أمام السالك وتبطل العذر لمن يسلك أسرا الطريقين على علم بما فيه من السوء والوحش وما في غيره من السداد والاستفادة ، وهي على هذا كسب عظيم لبني الإنسان يضرهم أن يقدروه . فالناس يخالفون القوانين والأداب كل يوم ولاتصال من أجل هذا إنهم لم يكتبوا شيئا يتدرون القوانين أو لم يطالبة برعايتها ، وأنهم في الزمن الذي يخالفون فيه القوانين لا يذلون كما كانوا في زمن المجتمعية السافعة لا يميزون بين الحرم والمباح ولا يعرفون أنهم يخالفوا القانون أو لم يخالفوه .

والمسلمون قد تعلموا أصول « القانون الدولي » قبل ظهور القانون الدولي في العرب بأكثر من عشرة قرون ، فحالغره كثيرا فيما بينهم ونتائجوه كغيرها فيما بينهم وبين غيرهم ، وتحلوا العاذير أحيانا لتسويغ الحرب التي لا توسيغ وتفوض المهدود التي يوصيهم الدين برعايتها ، وظهور بينهم الجنرالون كما يظهر الجنرالون والعصابة مع كل قانون وكل عرف مأثور إلا أن هؤلاء الجنرالين - - كثروا أو قلوا - لم يطلبوا قضية دينهم ولم ينسخوا أحکامه بعصاباتهم ، وذهبوا وبقيت تلك الأحكام ماثلة أيام ولاة الأمر يطمعونها أو يرسول لهم الطمع أن يتعدوا حدودها ، فلا يجسروا على تعديها جهراً إلا أن يتمحلا لها معاذيرها ويبدلوا معاملتها ، ومن لمح به البعض فتعذر حذووها ولم يكتثر الموقب العداون لم ينج من تلك العرائب في مصيره وانتهى به البعض إلى نهاية كل جامع عسوف مستبد برؤيه .

والتقييد منعا للاغلال والأسلال كما جاء في أول عهد بين الإسلام والشركين . فإن القارة المسلام حين يمر بذلك السخف المضحك في باكير القانون الدولي عند الفرم ليحس بأنه على مشهد من الأعيب أطفال يتواصون فيما بينهم على كتمان أسرارهم عن كبارهم .. لأن هؤلاء الكبار الجبناء أغرار لا أسان لهم على تلك الأسرار !

وتؤسس الحوادث إلا أن تخفيه، عفواً بما يتحقق بهم من فورها، وكثيراً ما يليها المكررون
والسلطان فاستندا إليها حتى جراز حمله، وكثيراً ما يليها السلاطين أنفسهم
الإسلام للقوانين والمعاهد، فيطلق الغرب نفسه لقب « سليمان القانوني » على
سلطان من أكبر سلطانين الفاطميين لم يشتهر بعمل من أعماله الحرية كما
اشتهر باعماله القانونية التي أقامها العاملات بين الغرب وببلاده على سفن
التجارة والمعاهدة، وهذه هي السن التي اعترف بها في إيان مسجده وقوته منحا
سخرية للغرب فما زالت حتى أصبحت مع الصعب قيوداً وأغلالها يتحكم بها

المستعمرات الغربيات حتى أضافا شرقيين !

• • •

وتحزن نكتب هذه الصور عن حقوق الأمم في الإسلام وعن حقوقها عند الفقهاء
الغربيين بعد أن تسبوا إلى البحث فيها منذ أوائل القرن السابع عشر ولأندرى
ماصير هذه الحقوق من الوجهة العملية في عالما الحديث .
فقد تقهقرت دول الغرب في بعض أحكام القانون الدولي إلى ظلمات القرون
الوسطى، وأسقطت حرمته في أحضر المشرق وهي حق المائحة بالمركب أو حتى
الإغارة على الأمم بغير إعلان .
ولأن تقديم العالم الإنساني بالقانون الدولي فهو ضرورة قاسية ليس فيها كثير فضل
من نصوص وأحكام ولا كثير فضل للمعاصد والنيات . فإن اشتباك العالم في
الصالح بعد اقتراب أنسائه بالصلوات وتتساحج الأخبار قد خلق بين الأمم علاقات
مقصودة وغير مقصودة تزعم التقوى على محاسبة الفاسد، وتعجل الخطر في بعض
أطراف الكورة الأرضية محسوساً به في أبعد أطرافها من بلاط الأقويا والضعفاء .
فهذه العلاقات موجودة الخبر مبتدئة بالآم لـ طریق لا يسمى عليها النكوص عنه
وهي أمنة على سلامتها وسلامة العالم الإنساني في جملته، فإذا صاح فيها رجاء
العلم والتذير، ولكنه رجاء يتلاعه المسلم تصديقاً لإيمانه بالله ولعمقته في
حكمه . لأنه يؤمن بأن التعاون بين الناس هو الحكمية الإلهية من خلق الشعوب
والسائل واحتلال الأجناس والألوان .

الرعبية تزلزل العروش تحت أربابها وتطويء بهم من فورها، وكثيراً ما يليها المكررون
لحكم السلاطين فأذنوا إليها حتى جراز حمله، وكثيراً ما يليها السلاطين أنفسهم
لإجازة ولاية بعدهم لا يحيزن لهم قوة السيف والمالي، أو لإجادة العقابل الذي يحملونه
بالعصاوة ولابلده من سند شرعى يسوعده لولي الأمر قادر عليه، وأما استطاع
السلطان أن يوقع بجمع « الاذكارية » المتمردين على الإصلاح إلا بسند من تلك
الفاتاوى يحتوى به من غضب الله وغضب رعاياه .
ومن أضاليل فقهاء الغرب في القانون الدولي أنهم استقطروا حقوق الترك في
المعاملات الدولية لأنهم مغيرين على البلاد الأوروبية في غير مسوغ للإغارة عليهم ،
وهم - أي هؤلاء الفقهاء - لا يشق عليهم أن يملموا مسوغ تلك الإغارة لو كان لهم
ميراث واحد للمعاملات بين الدول بغيرها جميعها على سواء . فإن العالم
الأوروبى بالاتفاق ملوكه وأسراته وباليوهاته قد شهد الحرب على العالم الإسلامي في
حربوية الصليبية قبل زحف العثمانيين على آسيا الصغرى في أواخر القرن
الثالث عشر للميلاد، وكانت أخبار مذابح المسلمين في بيت المقدس وفي المغرب
الandalusi غورب أفاق القارة الأسيوية إلى أقصاها شرقاً وتجوب أفاق القارة الإفريقية
إلى أقصاها جنوباً، وتغلغل في أنحاء العالم الإسلامي مع المهاجر والمهاجرين في
كل عام، فلا تدع مسلمًا في الأرض بغير عن الشعور بحاله الحرب الداهمة لأنه
يعلم أنها مشهورة عليه . وعمل فقهاء الغرب بجهلون عميق هذا الشعور الذي ملا
جوائب العالم الإسلامي علة قرون لأنهم يجهلون مدى انتشار الخبر الذي يهم
شعوب المسلمين على أفواه القوافل المريرة في آسيا وأفريقيا من الحاجاج
والهجرتين . وعميق هذا الشعور هو الذي قوض دولتي الآستانة والبرتغال في آسيا
قبل سائر المستعمرات لأنهما وصلتا إلى الشرق الإسلامي مستعدين بسمعة العداوة
التي لا عداوة مثلها لشعوب إسلام، أما أن يعلم فقهاء الغرب عميق هذا الشعور
في بلاد العالم الإسلامي ثم يستنكروا على شعب من شعوبه أن ينظر إلى الغرب
نظرة إلى محارب يقتضى منه قلاعه إلا الأئمة العمياء التي تحيّز لصاحبه أن
يقتضي بلاد غيره ثم لا يفهم من افتتاح يلاده بعد ذلك إلا أنه عدوان بغير سابقة !

الْأَخْدُودُ



وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه [الذناعم: ١١٢]

الإمام في الإسلام هو وكيل الأمانة في إقامة حدود الله . فحقه مرادف لحق الأمة ما قام بهذه الأمة . لأنه يتولى الإمامة لإيتاء كل ذي حق حقه ، وعلك الأمر وتجنب له الطاغية فيما تدعوه مصلحة الأمة فيه إلى تشريع جديد ، بن من الدين أن ينافي المسلم آيات ربه في كتابه وأيات ربه في خلقه بغير وطاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله :

卷之三

فأقصى الصحن لهم يفكرون (١٧٣) **]** [النساء: ٥٦]

[۱۷۵]

[النحل : ١١]

[النحل : ٨٦]

11

وليس له أن يقيم حدنا منها في غير موضعه .
وأقامته في غير موضعه أن يقال حيث لا ثبت أركانه ولا تدرا شبهاته . فالإمام
الذى يعطى الحمد مخالف لأوامر الله ، والإمام الذى يقيم حدا ليس بباب الأركان
كذلك نفصل الآيات لفروع يتعلون (٧٨) .

20

卷之三

- 6 -

二

[القرآن: ١٧٣] ليس في القرآن الكريم أمر واجب على الإنسان أكثر من واجب العقل [١] فكير، وليس فيه نهي على قومٍ أشد من النهي على الذين لا يعقلون ولا يرون.

66

فرعائية الضرورات نصوص فيها حكم ينص أو إجماع المحدث بواقة فيها حكم
بعير ذلك فهو الذي يجتهد بأى من عنده يخالف صريح النصوص . ● ● ●

أنا موضع الاجتهاد الذى يطلب من الإمام فى مسائل التشريع فهو الذى فضل تحقيق مصلحة معينة » .

النفهاء فى أبواب القىاس واقعة الاستحسان واقعة تعارض فى حكمها دليلان . وعدل الأستاذ عبد الوهاب خلاف فى كتابه عن مصادر التشريع الإسلامي فيما لا يصر الإجتهاد وجوبه عند الاضطرار إليه ، وأشهر وصياغة عليه السلام لكتاب صحبه فيه فقال « أنه إذا عرضت للمكلف واقعة فيها حكم دل عليه نص فى القرآن أو فى الفقهاء فى العصور وجب اتبأ وقد روى الإمام أحمد بسند مرفوع إلى أصحاب معاذ من أهل حمص فقال :

السنة انعقد عليه إجماع المجتهدين من المسلمين فى عصر من العصور وجب اتبأ وهذا عرضت واقعة . وإذا عرضت واقعة وهذا الواقعه . حين يبعث إلى اليمن قال : كيف تصنخ إذا عرض لك قضايا هذا الحكم ولا مجال للإجتهاد بالرأى فى حكم هذه الواقعه . حين يبعث إلى رسول الله صل ليس فيها حكم بتصنخ ولا إجماع ولكن ظهر للمجتهد أنها تساوى واقعة فيما صل : أقضى بافى كتاب الله . قال : فإن لم يكن فى كتاب الله؟ قال : فبستة حكم بتصنخ أو إجماع فى العلة التي بنى عليها حكم النص أو الإجماع فإنه يسمى رسول الله . قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله؟ قال : ألو . قال : هى القىاس وهو أول طريق الإجتهاد بالرأى ، لأن الإجتهاد يستتبع علة حكم النص لما يرضى رسول الله صل صدرى ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول الله صل .

« وإذا عرضت واقعة يتضمن عموم النص حكما فيها أو يتضمن القىاس الناهى وروى عن عمر بن العاص أنه جاء خصمان يختصمان إلى رسول الله صل فقال :

المبادر حكما فيها أو يتضمن تطبيق الحكم الكلى حكما فيها وظاهر للمجتهد أن يباشر أقضى بينهما . قال : أنت أولى بذلك مني يا نبى الله . قال : وإن كان لهذه الواقعه طرفا وملابسات خاصة يجعل تطبيق النص العام أو الحكم الكلى عليها أو اتباع القىاس الظاهر فيها ينفيو الصالحة أو يؤدى إلى مفسدة فعل فيتهملت فاختلطت فائل حسنة .

« وإذا عرضت واقعة اقتضاه تخصيصها فى العام أو استثناؤها من الكل ويلاحظ بعض رواة الأحاديث أن حديث معاذ مرفوع إلى أصحاب له مجھولين عن هذا الحكم إلى حكم آخر اقتضاه تخصيصها فى العام أو كتابه أعلام المؤعدين ردا على هذه الملاحظة أن الحديث أو اقتضاه قىاس خفى غير متبار فهذا العدول هو الاستحسان : وهو من طرائق الإمام ابن القيم فى تشريع حكم معاذ منهم فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الإجتهاد بالرأى لأن الإجتهاد يقلل الظروف الخاصة لهذه الواقعه باجتهاده برأيان كانوا غير مسمعين فهم عن جماعة من أصحاب معاذ ويرجح دليلا على دليل باجتهاده برأيه » .

« وإذا عرضت واقعة ليس فيها حكم بتصنخ ولا إجماع ولا قىاس ولا يتعارض واحد منهم ، وهذا يبلغ فى الشهوة من أن يكون عن واحد منهم ولو سمي كيف فيها دليلان وظاهر للمجتهد أن هذه الواقعه فيها أمر مناسب لتشريع حكم أى أ Mehr أصحابه متهم ولا دليل ولا موجر ؟ بل أصحابه من أفضل المسلمين وخيارهم تشريع الحكم بناء عليه يتحقق مصلحة مطلقة لأنه يجلب ثقىماً أو يدفع ضرراً أصحابه متهم ولا دليل ولا موجر ؟ بل أصحابه من أفضل المسلمين وخيارهم فاجتهاد فى تشريع الحكم لتحقيق هذه المصلحة فهذا هو الاستصلاح ، وهو ميشك أهل العلم بالنقل فى ذلك . كيف وشعبية حامل لواء هذا الحديث ، وقد قال طريق الإجتهاد بالرأى لأن الإجتهاد يهتمد إلى الأمر المناسب فى الواقعه يربأ فى أئمة الحديث : إذا رأيت شعبية فى إسناد حديث فاشددي يدك به . . . قال أبو يوسف إلى الحكم الذى يبنى عليه برأيه » .

ووهذا إسناد منهبل ورجاله معروفون بالشقة . على أن أهل العلم نقوله واحتتجوا به عمال النبي عليه الصلاة والسلام وأعمل خلقاته الرشدين ، ولا سيما الخليفة فوفقا بذلك على صحة قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما وقفتنا على قوله في البخاري : لا وصبة لوراثت ، وقوله في البخاري : هو الطهور ماهه والحمل ميتته ، وقوله : إذا ذهرب في البحر

العلاقة، وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد، ولكن لما يقتضي عليها السلام تدرج في إبعاد التكليف، ووجهه في رواية الإمام أحمد : الكافية عن الكافية غيرها يصححها عندهم عن طلب الإسناد لها، فكتل ذلك حدديثاً واحداً يعنونه بـ «مداد لاما احتجوا به جميعاً غنوا عن طلب الإسناد» . . .

وقد عنى الإمام ابن القبّاع بناقض مخالقه على دينه فنفعه الإسلام في التحرير، فلما أتى بحسبهم، سعد حبيب الصدر واسلام "الم لا يحيطوا
من إبداء الرأي أو معارضته بغير دليل والمرص على إبراء الذمة في كل قول فنزل النبي صلى الله عليه وسلم منهم ما أشطر طره وهو يقول كمسا جاه في رواية أبي داود أنهم
يأخذون به أو ينقولونه، فاجاب المشككين في إسناد الحديث بالحقيقة التي أصلحهم فلما سمعوا ذلك قال لهم سعيد بن جعفر: «إنكم
عليها علماء الآثر، ولكنه كان في غنى عن ذلك بذلة الاجتهاد الكثيرة من أعمال حمدقون وبجاهدون » .

النبي عليه السلام وأعمال المخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم . وفي هذا الأمر لهم وشاهدوه غيرهم من المسلمين يتصدقون ويتحرجون للمجهود . خاصية - أمر عصاذه رضي الله عنه - كان الإمام ابن القاسم في غنى عن مناقب ميدوري أبو داود عن عبد الله بن فضالة عن أبيه قال « علمت رسول الله صلوات اللہ علیہ السالام واعمل المخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم . وفي هذا الأمر لهم وشاهدوه غيرهم من المسلمين يتصدقون ويتحرجون للمجهود .

يراه موافق المقرن أن الكرم لما مكن أن تستند الولاية إلى أحد وفي القرآن الكريم يقتصر مثل هذه الرواية أن رجل أتى النبي عليه الصلاة والسلام فاسلم على أنه لا يهمه ورسيط تهم أو مسترد بـ... .
ويوم يجيء من حمل إمام إن يعصي بهم الشتم وصلاحه قبل عروبيها .

يجعلها الولاء ويحيمها كان تأمين المقاولين في جواز الإجتهداد فيما يكتون الصالحين راكي صلاتين فقبل ذلك منه .

كمثل الحمار يحمل أسفاراً يس مثل القروم الذين كذبوا بآيات الله وقد ضع رسول الله ذلك ترغيباً للمشركين في الإسلام وتأليفاً لقولهم وتدريجاً فاسعد فيها قلوبهم بما يحيط بهم من جهات فيبعث ¹¹

أجمع كتاب اجتهدوا في الدراسات الفقهية الإسلامية على إثبات مذهب الحنفية.

وأعدهت مسائل الإجهاض التي قضى بها الفاروق في خلافة فاعني من العقوبة كالشام والجريدة والكافرة والبصرة ومصر لا بد لها أن تشنن بالجيش ودارار العطايا رأيك ، نعم ما قلت وما أرأيت . إنما تشنن هذه الشغور وعله المدن بالرجال وبخري يكن معهولاً به قبل حلوله .

كان يقول : لا تقطع البدر في عذر ولا عام سنت ، وسرق غلطة لحاطب بن أبي عليهم يتفرون به - رجع أهل الكفر إلى منتهم .

بلطفة نافقة لرجل من مرتزقه وأفروا بالسرقة فقال عمر الكثیر بن الصلت : اذهب فاقتها وقد أخذه عمر بتمييز السابقين إلى الإسلام بالكافرة على الذين تبعوه كثراً .

أيديهم ، ولوح في وجوههم شحونا فلم يبردمعه وقال : أنا والله لولا إني علم أتكولم بشهودنا من الغزوارات ما شهدوا . وأنفذ فتوى على رضي الله عنه حين أفتى أيديهم . واع الله إذ لم أعمل لاغر منه غرامه تجعلك . ثم قال : يا مزني يكواه ضي كثيراً من المكاففات والمقوبات على هذا القياس .

أربدت ملك نافتات ؟ قال بالنعمانة . قال عمر : اذهب فاعطه شفاعة .

ولم يتخرج الخليفة الأول من الإجهاض بالرأي عند وجوده ، وإنما أكثر الإجهاض وسائل الإمام أحمد بن حنبل : أعمل به ؟ قال : لي العمري . لاتقطع بد السارق عهد الخليفة الثاني لكتيبة دواعيه ، وكان الصديق يقدم على الإجهاض أحياناً حين يعزم عليه صاحبه كما حدث في حروب الودة حيث أمر الصديق بحرث إن حمله الحاجة على ذلك والناس في مجاعة وشدة .

ولسقط عمر سهم المؤلفة قلوبهم ، وكان النبي عليه السلام قد أعطى أبا سفيان أغنى الزكاة وتردد عمر في جواز حرب الناطق بالشهادتين .

والافق بن حابس وعباس بن مرداوس وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن كل - وسائل الصديق عن الكلالة فقال : أني سأقول فيها برأي فإن يكن خطأ فبني ومنهم مائة من الإبل . وطلب عبيدة بن حصن والافق بن حابس أرضًا من أبي بالله وإن يكن خطأ فبني ومن الشيطان . أراه ما خلا الموالد والولد .

الصديق فكتب لهاها بها . فلما رأى عمر الكتاب مزقه وقال : إن الله أعز الإيمان واجتهاد عثمان وعلي كما اجتهد أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم . فمن اجتهاد شمام ما كان بكتابه الصحف على حرف واحد منها الاختلاف الأليست في القراءة ،

وأغنى عكم . فإن تبت عليه ولا فائتنا وينتكم السيف .

ومن سوء الفهم أن يقال إن الفاروق حالف النص في هذه النسبة ، وإنما يقال إن إنشاك أن يكون المعنى رضي الله عنه رأى في كل معضلة عرضت للخلافة من قبله ،

ومن سوء الفهم أن يقال إن إنشاك أن يكون المعنى فلم يجد لهم ، إنما رأى الرأى ثم عدل عنه ثم عدل عن عدوله كما حدث في فتواه بيع أمهات البنين .

ديوان العطاء .
ولما فتحت أرض المخربة وما وراءها لم يشا أن يقسمها وقال : كيف يعن بلئي بعرض الإمام المسنون بطلب الأرواح والثواب والمناسبات ، وأحرى أن مقدمة من معاهد التزكى وجزرة بعد لهم . الأئم هذه الشفاعة لا بد لها من رجال يلزمونها . ألا يلزم هذه المدن العصريات الوسول ومانور السلف الصالح فخلصت لهم من تلك تحية قيمه من

القواعد والشروط يتحقق لنا أن نسمى قوانين التقنين ، وهي تقابل اليوم ما يسمى في الإسلامى تضيق عن حكمها الذى يناسب زمامها وأحوالها ، ولا يجوز مع هذا أن عرف المشرعين الغربيين بالملك وجراج المثال *Maxims* .
ومن هذه القواعد أن البشر مفضل على الحظر فى أوامر الشريع ونواهيه . فعجباً لمحب الشريعة الإسلامية من الشرائع المتجوزة التي لا تقبل المرونة ، وإن كانت أمكن السماح فهو أفضل من الحجر والتقييد ، قوله تعالى : « يُبَدِّل اللَّهُ كُمُّ الْسُّرُور » وقد حاول حاكم من أكبر حكام الغرب أن يلصق بالتشريع الإسلامي مظنة ولابد لكم العسر » (١) ولما أثر عن النبي عليه الصلاة والسلام فى حدث السيدة التحجز فى العصر الحاضر ، فشاء القدر أن يجري عليه قصاصها كان ينعاوه على عائشة أنه : « ما خبر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بن أمرين إلا احترأسهما مالم يكن إثناء . التشريع الإسلامي فى معاقبة المفسدين ، لأنه أمر بإحراف عصابة من الصوص فى مزاعنة من القصب لاذ بها ومحضت فيها من مطريقها ، فى جهة البلى من فإن يكن إثناء كان أبعد الناس عنه » .

ولاتقع فى الخبيان - بهذه المثابة - قضية واحدة يقال إن مصادر التشريع لا يتحقق فى الشرعية الإسلامية من الشرائع المتجوزة التي لا تقبل المرونة ، وإن كانت تطلب الشرعية الإسلامية من الشرائع الرخوة التي لا تمسك على أساس متين .
كلذك لا تحب من الشرائع الرخوة التي لا تمسك على أساس متين .
وقد حاول حاكم من أكبر حكام الغرب أن يلصق بالتشريع الإسلامي مظنة وله بدمكم العسر » (٢) ولما أثر عن النبي عليه الصلاة والسلام فى حدث السيدة التحجز فى العصر الحاضر ، فشاء القدر أن يجري عليه قصاصها كان ينعاوه على عائشة أنه : « ما خبر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بن أمرين إلا احترأسهما مالم يكن إثناء . التشريع أن المعرف عرفاً كالشرط شرطاً ، وما رأى المسلمين حسناً صعب مصر ، فامر الحكم منه من قومه بأن يشنع النار فى المزاعة ويفصله من ومن قواعد التشريع أن المعرف عرفاً كالشرط شرطاً ، وما رأى المسلمين حسناً صعب مصر ، فامر الحكم منه من قومه بأن يشنع النار فى المزاعة كما يلقيونه فى زمه فهو حسن ، وأنه لا يجوز إبقاء المحى مع احتفال عدم الشاندة ، وأن الضرورات يهرب منها ضرباً بالرصاص
تبني المظروطات » وأنه « لا ضرر ولا ضرار » وأن اختيارات الشررين مصلحة » ذلك الحاكم هو لورد كرومر قصر قصر الدوبار فى القاهرة كما يلقيونه فى زمه
والبيئة على المدى واليسرين على من انكر » و الصالح جائز بين المسلمين إلا وقد أخذ على الشيخ العباسى مفى الديار المصرية أنه مثل عن عذاب العصابات
صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً « و لا يعنك قضاه بالآمن أن تراجع ذكره كما جاء فى الآية الكريمة : الحق » إياك والغضب والقلق والضجر والنادى بالناس » .
ومن ضوابط التشريع فصل السلطات وفصل عمل الحكم عن عمل التنفيذ ، هإنما جراء الدين يصاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يفلسو أو
ومن ضوابط التشريع حق التقاضى « فيما خالف نص آية أو سنة أو جماعة أو ما
وفي ذلك يقول أحمد بن الفرقان فى الخبرة : « إن ولاية التقاضى متناولة للحكم يصلواها أو تقطع أبدى لهم وأرجلاهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم حرفي في
لأنه لا يتحمل إلا معنى واحد أو الدليل ثالثاً عذر قرنا وفيها التحجز بين السجن أو الإقصاء من
لديار ، وفيها العقوبة ثالثاً عذاب عظيم (٣) إلا الذين ثابوا من قبل أن تقدروا عليهم
[المذكرة : ٣٣، ٣٤] ».
على كونه حاكماً ... وليس للقاضى قسمة العذاب وتفريق أموال بيت المال على بالاعلموا أن الله غفور رحيم (٤) .
على الصالح وإقامة العدالة وتركيب الجوش وقتل البغاة » .
ومن ضوابط التشريع حق التقاضى « فيما خالف نص آية أو سنة أو جماعة أو ما
يشبت من عمل أهل المدينة أو القبائل الذى لا يتحمل إلا معنى واحد أو الدليل
الذاته الذى لا يتحمل إلا معنى واحد أو الدليل ثالثاً عذر قرنا وفيها التحجز بين السجن أو الإقصاء من
وقضى ذلك مستفيض فى كتاب الفقهاء .
ونقضى ذلك مستفيض فى كتاب الفقهاء .
فالإمام ، بهذه الضوابط والأدلة ، مصدر دائم من مصادر التشريع الكل زمنها وقبل الاحتلال البريطانى المصر - أثناء الاحتلال الفرنسي فى القرن الثامن عشر
يستخدم فيه ، وكل حالة بما يناسبها ، يواجه به الإسلام ضرورات التشريع بغيركم قضاه نابليون على سليمان الحلسى قاتل القائد كليبر بالقتل على الخارق
حضر على الإمام أو على الأمة ، وحقهم فى ذلك سواء لأن الإمام وكل الأمة فى قطع بيده ووجلبيه يداً بعد بدء دجل ثم إحراق جها بعد هذا التعذيب -
حياته الحقوق ولأن إجماع الأمة هو الحجة التي يستند إليها الإمام كلها تضر ألماء الذين حاكفهم محكمة التفتيش فى القرن الثالث عشر للميلاد - أى بعد
ثلاثة السنين العرسى بسبعين قرون - فحكمت عليهم بالإحراف فعدتهم مثاث ولويف ،
الإجماع الثامن فهم تضر منه كاف فى أحراه أعمال الإمامة .

سلاح ولا قاطع طريق، وذريهم كله أنهم يحثون من المعرفة ما يحرمه رجال الدين
 وما من جهة واحدة يستند إليها حق الإمامة كله في الإسلام ولا استثناء في
 بذلك لصاحب الرسالة وأمين التبليغ نهى الإسلام عليه الإسلام . . .

لا نعلم أن أحداً من قضاته تابلييون نادم على إجراف الناس
 بقيه الحياة ، ولكننا نعلم أن خلية مسلماً عاقب لصا من عادة المسلمين غير
 بعده الأمان وقتل الأبراء ،
 الخلية بالشارع . ذلك هو الفجاءة بين إيس بن عبد ، بالليل الذي وفده على الخليفة أمن
 بكر الصديق يسأله سلاحاً يحارب به المرتدين ويحسم بيده الطريق ، فلما أصطدم
 السلاح خرج به يقطع الطريق ونذهب السالبة ومحارب المسلمين ، فظارده الخليفة
 حتى ظفر به فالقى به في النار ، وعاش بقية حياته يندم على هذه المثلة لأنها من
 غضب الخدا ، وإن كان غصباً لا يعاب
 وقل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمدة سوا سوا ويسكم إلا تعبد إلا الله ولا
 شرك له شيئاً ولا يستخد بعضاً بعضاً أرباباً من دون الله . . .

[آف : ٢٢]
 [آل عمران : ٣١]
 [آل عمران : ٣٢]
 [آل عمران : ٣٣]
 [آل عمران : ٣٤]
 [آل عمران : ٣٥]
 [آل عمران : ٣٦]
 [آل عمران : ٣٧]
 [آل عمران : ٣٨]
 [آل عمران : ٣٩]
 [آل عمران : ٤٠]
 [آل عمران : ٤١]
 [آل عمران : ٤٢]
 [آل عمران : ٤٣]
 [آل عمران : ٤٤]
 [آل عمران : ٤٥]
 [آل عمران : ٤٦]
 [آل عمران : ٤٧]
 والغيرة في معظم هذه الأخطاء التي يقع فيها نقاد الشريعة الإسلامية من مasse
 الغرب أنهم يرغبون في توجيهها ولا يكتفون أنفسهم أن يتزدوا عنها ، ولو لا ذلك لما
 وجهوا تقدthem إلى موضع الاستيفاء والضمغان من هذه الشرعية . لأنهم لم يسلما
 أنفسهم فقط في أمر العقوبات التي يستعظمونها : هل هي على يعين أنها تم تكفين في
 حالة من الحالات رادعة لازمة للتحذير والتذريغ؟ وهل أوجبتها الشريعة
 وأمرهم شرورى لهم
 • • • • •
 • • • • •
 • • • • •
 • • • • •
 • • • • •
 والغيرة في معظم هذه الأخطاء التي يقع فيها نقاد الشريعة الإسلامية من مasse
 الأسئلة ، لأنهم ينكرون على الشريعة الإسلامية شرط الشرع الذي يزعمون أنهم
 يطلبون وهو الوفاء بحاجة الزمن والمطابقة للجنس الأحوال ويستطرعن من حسابهم أنهم
 زمانها وفي غير زمانها؟ وهم خلقاء أن يترددوا في النقد إذا كانوا أنفسهم بعض هذه
 حق الإمامة إذن أعم من حق السيادة لأنها في جانبي التشريع والتنفيذ مستمد
 مصدر التشريع الدائم في الإسلام وهو مصدر الإمامة ومن ورائه حق الإمامة أو حتى
 الإمام ، فإن هذا المصدر أوفي من أكبر المصادر العصرية التي يعيشون عليها وهو
 مصدر السيادة . إذ كانت السيادة معززة بحق ولادة الأمر وحق الإمام ، فأمام بالخروج من الدين أو بمعصية الخالت ف فهو لا يطاع إذن لأنه ليس بإسلام .
 وكانت الإمامة شاملة لهذه الم حقوق جميعها وتزيد عليها قداسة الدين ودعنته كما جاء في حديث عبادة بين الصامتين : يائعا
 في جميع أزمتها ، كانها وحدة عالم لا تقبل بخلاف الأحياء في فترة واحدة .
 سول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والشطط والماكره وعلى البرة علينا
 ولا حاجة للأمة في عصر من عصورها إلى مصدر من التشريع أولى من مصدر آخر . . .
 السيادة بهذا المعنى الواسع المحيط بكل حرمة من حرمات الشريعة في غير حد ودرك من الله فيه برهان . . .
 كل جيل من أجيال الأحياء . . .

ججر على حرية الأحياء ولا حرية الأجيال المقبولة لأن السعادة على قدر السلطة في
 يقول عثمان بن عفان - يعيش - : « إن الله يزع بلسلطان ما لا يزع بالغران » . . .

وفي الأثر «إن السلطان ظل الله في أرضه يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر ، فإذا جاز كان عليه الإصر وعلى الرعية المثبير» .

الفصل الرابع

الدجال والدجال

ومن ثم وجب أن يتولى الإمام عمله بالختيار رعاياه . ولابد من البيعة العama كل إمام مستول يجب له الطاعة ، يرشحه من استطاع من أولى الرجال والعقد وينعقد له الأمر بعد إجازة هذا الترشيح بالبيعة العامة ويجوز أن يرشحه واحد أو يشترط في ترشيحه اتفاق عدد المسلمين تجاهز لهم صلاة الجمعة . إلا أن الاتفاق على عدد المرشحين لا يعني عن المرجع الأخير وهو اتفاق الجماعة . بلا خلاف أو اتفاقها على القدر الذي ترجح به الكفة وتنبع به الفتنة . ومن أقدم على الفتنة فلائمها على يغتصب في الإمام الخاز أو يغتصب في سلطان المقدمة حيث استقام لها سلطان مشرع

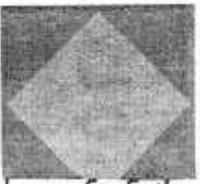
ومن عام التكاليف « والتضامن » في المجتمع الإسلامي أن أمانة « الإمامية » لا تعنى الأئمة من واجب النصيحة لإمامها ، وقد جمع النبي الإسلام الدين في ورسوله ولائمه المسلمين وعامتهم » .
وقال عليه السلام في حديث آخر : « أفضل المجاهد كلمة حق عند سلطان جاوز »
ولذاته هذا الواجب من الرعية واجب يتبعه من قبل الإمام ، ويتأسس فيه الانتماء بصاحب الإمامية الأولى قال لرجل أصحابه وجمل عند لقائه : « رويتك يا عذراً »
إما أنا بشر : « أنا ابن أمارة أمرأة أمراء كاتنت تأكل الفديه » . وفي كتاب الله خطاب للنبي وكل إمام متبرع :

[الحضر : ١٨٨]

[الشعراء : ٢١]

﴿ وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَبْعَدَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ونختم القول في هذا الحق المحيط بجميع الحقوق - حق الإمامية - أنه يأتى مفتوح التشريع في كل عصر وكل مجتمع وأنه يكتفى للأمة الإسلامية ما يكتفى حق السيادة وزيادة . فلا منفذ لفقد الشرع الإسلامي في جميع مصادره مما يعمى لهذا المصدر مستمدًا من ضمير الإنسان ، وحكمة الله :



وَجَهْ هُولَاءِ بِالْفَهْمِ أَكْرَمْ مِنْ جَهْلِهِمْ بِالْغَلَةِ . لَأَنَّ الْإِسْلَامَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَخَرْجَهُ الْإِسْلَامُ لِغَيْرِهِ يَأْبَى عَلَى السَّلْمَ أَنْ يَسْلُمَ لِلظَّالِمِ أَوْ يَسْلُمَ لِلْمُتَحَكِّمِ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنْ صَرْوَفِ الْحَيَاةِ ، وَيَنْهَى أَنْ يَسْتَلِمَ لِلْخَيْرِيَّةِ وَلِلْقَسْمَيْةِ الْجَائِرَةِ ، وَأَنْ يَسْتَلِمَ لِكُلِّ قَضَاءِ .

لَا يَرِضُهُ وَعِلْمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرِضُهُ .

الشَّافِعِيَّةُ ظَاهِرَةٌ عَجَبَيْهِ فِي الْإِسْلَامِ ، يَلْمِسُهَا مِنْ تَامِّ فِيهِ وَلَقِيَ عَلَيْهِ فِي وَعِصْمَهِ بَرِيَّ أَنَّ الْإِسْلَامَ وَالسَّلْمَ تَقْبِيسَانِ ، لَأَنَّ بَيْهُمْ مِنْ كَلْمَةِ أَسْلَمْ أَنَّهَا مُجْمُوعَهُ نَظَرَهُ عَامَّةً بَيْنَ عَقَائِدِهِ وَعِبَادَاتِهِ وَبَيْنَ مَا يُشَرِّعُهُ مِنَ الْعَمَالَاتِ وَالْمَحْقُوقِيَّةِ الْتَّسْلِيمِ فِي الْحَرْبِ (Surrender) أَوِ الْتَّسْلِيمِ قَبْلَ الْحَرْبِ خَرْفًا مِنَ الْقَتَالِ . فَكُلُّ مُسْلِمٍ فَهُوَ خَاضِعٌ لِلْمَسِيفِ هُرْبَتِهِ بَعْدَ الْحَرْبِ أَوْ خَرْفًا مِنَ الْحَرْبِ قَبْلَ إِسْهَارِهِ عَلَيْهِ .

هَذَالَكَ وَحْدَةٌ ثَامِّةٌ أُبَيْنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ يَجْمِعُهَا مَا يَجْمِعُ الْبَنِيَّةَ الْجَيْشِيَّةَ مُسْلِمٌ فَهُوَ خَاضِعٌ لِلْمَسِيفِ هُرْبَتِهِ بَعْدَ الْحَرْبِ أَوْ خَرْفًا مِنَ الْحَرْبِ قَبْلَ إِسْهَارِهِ عَلَيْهِ .

وَيَنْدِرُ أَنْ تَقْرَأَ فِي كَلَامِ نَاقِدِهِ مِنَ الْأَجَابِ عَنِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ شَيْئًا مِنْ مَا خَلَدَ الْوَقَائِفَ وَتَنَاسُقَ الْمَحَاجَرِ وَالْأَعْصَاءِ .

الشَّافِعِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَيْهِ بَدَلَكَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَنَّهُ مُخْطَنِيَّ ، وَأَنَّ سُرْدَ الْمَحَاطِ عَنْهُ إِلَيْهِ الْكَلِمَةِ فِي الدِّينِ أَنَّهَا اسْتَبَقَ اللَّهَ وَالْإِتْخَاهَ إِلَيْهِ ، فَعَنْ أَسْلَمِ وَجْهِهِ لَهُ فَقَدْ يَسْتَظُهُ الْفَاظُهَا وَلَا يَتَدَوَّهُ وَلَا يَنْدَقُهَا إِلَيْهَا مِنْ وَرَاهِ نَصْوصَ الْقَوَاعِدِ وَالْتَّرَاكِيبِ .

جَهْلِ الْإِسْلَامِ أَوْ جَهْلِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَعِصْمَهُ يَجْهِلُهَا وَهُوَ مِنَ الْمُسْتَقْرِيْنَ لِأَنَّهُ الْمُدْعُوَّةُ لَمْ يَجْهِلْهَا وَلَا يَنْدَقُهَا إِلَيْهَا مِنْ وَرَاهِ نَصْوصَ الْمُسْلِمِوْنَ بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُوْنَ كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْبَغْرَةِ :

وَمِنْ يُرْغَبُ عَنْ مَلَهِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَهَّلَ نَفْسَهُ وَلَقْدَ اصْطَلَاهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّهُ فِي قُرْآنِ الْعَصْبِهِمْ أَخْبَرَ كَذَابًا عَنِ الشَّيْطَانِ لَمْ فَيْهُ بِعَصْفَةِ إِلَيْسِ فِي الْإِسْلَامِ .

لَادِمْ معَ أَنَّهُ الدِّينَ الَّذِي اشْتَهِرَ بِعَيْنِيَّةِ التَّشْدِيدِ فِي إِكْتَارِ الشَّرِكِ وَتَكْثِيرِ كَلْرُوسِيِّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بِسِيَهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَسِيَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَنِي لِكُمِ الدِّينِ فَلَا تَسْوِيْنِ إِلَّا دَمْ .

سَاجِدُ لِغَيْرِ اللَّهِ .

أَنَّمِسْ مُسْلِمُونَ (١٢٣) أَمْ كَسْمَ شَهِداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ السُّوتَ إِذْ قَالَ لِسِيَهِ مَا تَعْدُونَ وَمَوْرَدَ الْمَحَاطِ فِيمَا بَدَرَ إِلَى الْكَاتِبِ مِنَ التَّنَاقُضِ بَيْنَ التَّوْجِيدِ وَبَيْنَ السَّجْدَةِ لِأَدَاءِ

أَنَّهُ فَهُمُ الْسَّجْدَهُ بِعْنِي الصَّلَاةِ دُونَ غَفْرَاهَا مِنْ مَعَانِي الْكَلِمَةِ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ . وَفَقَدْ أَنَّهُ فَهُمُ الْكَلِمَةِ عُرْفَتْ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَعْرُفَ الْعَرَبُ صَلَاةَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَفْهُمُوهُ مُسْلِمُونَ (١٢٤) .

وَسِتَّغْرِبُ فِيْهِ - مِنْ هَذَا الدِّينِ أَنْ يَقُولُ عَنِ الْهَنَاءِ أَنْهُ أَمْرُ الْمَلَكَةِ بِالسَّجْدَهِ لِأَخْرِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ (١٢٥) .

أَنَّهَا كَلِمَةٌ تَتَصَرَّفُ إِلَى الْعِبَادَةِ دُونَ غَيْرِهَا ، لَا يَهُمْ يَقُولُونَ (سَجَدَتْ عَيْبِهِ) أَكَيْ وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَصَفُوا بِالْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ كَمَا جَاءَ فِي

أَنْفَسَتْ ، وَسَجَدَ عَيْبِهِ أَنِي غَضِيْنَ مَنْهَا ، وَسَجَدَتْ النَّخَلَةُ أَنِي مَلَكَتْ ، وَسَجَدَ الْأَكْسَرَةُ الْحَجَّ :

عَضْ رَأْسِهِ بِالْتَّسْجِيْهِ ، وَسَجَدَ لِعَطِيْمِ (أَنِي وَقَرَهُ وَتَشَحَّعَ بَيْنَ يَدِيهِ ، وَلَا تَنَقَّضُ عَلَيْهِ وَجَاهُدوْنَ فِي اللَّهِ حَتَّى جَهَادُهُ هُوَ اجْتِيَّاكمُ وَهَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ فَرِجَّعَ) .

وَجَاهُدوْنَ فِي اللَّهِ حَتَّى جَهَادُهُ هُوَ السَّجْدَهُ هُنَّ هُوَ السَّاجِدُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ (الْحَجَّ : ١٢٦) .

عَضْ مِنْ هَذِهِ الْمَلَكَيِّ بَيْنَ السَّجْدَهِ لِأَدَاءِهِ وَتَوْجِيدِهِ . وَإِنَّ السَّجْدَهُ هُنَّ هُوَ السَّاجِدُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ كَلِمَهَا ، وَهُوَ تَعْظِيمُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْتَالِفُ الْمَعْوِمَةِ فَهُوَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْأَنْخَطَاءِ فِي الْمُسْتَنَدِ مِنَ الْمَقْسِمَةِ .

وَعِصْمَهُ بِرِيَّ أَنَّ الْإِسْلَامَ مَنْقَصُ بِطْبِيعَتِهِ الْمَعْلُومِ وَالسَّعْيِ فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ . وَأَكْثَرُ مَا اطْلَعْنَا عَلَيْهِ مِنَ سَعْيِ الْمُسْلِمِيْنَ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ عَلَى مَعَانِيهِ الْمَلَفَةِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَنْفَاطِ عَلَى مَعَانِيهِهَا الْمَلَفَةِ .

لَا يَهُمُ مِنَ الْإِسْلَامِ أَنْوَاعُهُ تَوْرَكَلِ وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ الْمُرْغَبَةِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ إِلَيْهِ بَغْرِيْرٍ .

وَالْقَوْفَةُ لَا يَهُلُّ وَلَا فَوَّأْ بَالَّهِ .

وفيما عدا هذه التناقضات وما إليها يرود الباحث في الإسلام ذلك الشائق بين الأخلاق والأخلاقيات وبين العبيد والعبود، وقسم للعبيد لا يقبله عقلياته وأحكامه أو بين عقلياته وأخلاقه. فليس بين الناشق أظهر ما يكون بين السادة. فعلى هذا الناشق أن يلتفت لهم في صفة من الصفات، بل الأخلاق المتعلقة التي حمدتها الدين من المسلم، وهي متفرقات تجمعها وحدها هم أعداء يتسلطون على العاجز لاستوعبها وحدتها الإسلامية. فهو في جملة وصفها أخلاقيات وكتف.

هل هي أخلاقيات قوية؟ هل هي أخلاقيات مجيبة؟ هل هي أخلاقيات قصد واعتلال؟ هل

هي أخلاقيات اجتماعية؟ هل هي أخلاقيات إنسانية؟ كذلك في جميع الأحيان؛ لأن أخلاقيات الفقرة هي كل ذلك أحياناً ولكنها ليست كذلك في جميع الأحيان؛ لأن أخلاقيات الفقرة قد تفهم على وجوه متعددة، أو متناقضة، يعتمد الإسلام بعضها ولا يعتمد بعضها، أو ينفيها جمعياً إذا فهمت على مذهب فلاسفة الفقرة في العصر الأخير.

وقد توصف الأخلاق في الإسلام بأنها «أخلاقيات سجن» لأن أصول العلاقات بين الناس قائمة في الإسلام على شرعة الحببة والأخوة كأنهم من أسرة واحدة، ولكن الإسلام يذكر من المسلم أن يجب الخير كمن يعامل الآخرين والنظراء، والناس يخدمون العفو؛ لأن الذي يعمون عن المسئ إليه يعتقد بقوته ويائمه إن يكن لهم بالشك أو غدر به على سواء.

وليس قوام الأخلاق كله في التوسط أو في القصد والاعتدال على مذهب المفترض إليه غير الأقواء. الفلسفة اليونانية أو فلسفه أرسطو على المخصوص وليس مثال الأخلاق كله في الإسلام إلى وجهي المجتمع أو وجهي الإنسانية يرميها، لأن المجتمع قد يدان بالأخلاق تحت وقوفه الشفيف. فهو يصبر على بلاهاته لأنه قوي يتحمل منه مالا يتحمله كما يدانت الفرد، ولأن الإنسانية لا ترتفع إلى ما فوق جوانب الصعف فيها إن لم الفساد. ولأن عظم عليه المصائب.

وهم يحملون الداء؛ لأن قوة في العقل يتمكّن بها صاحب العقل القوى من تخمير الأقواء بالأجسام، ويحملون الذكاء والخلق والمعرفة والبراعة في صناعة يكتب لها من المثل العليا ما يسمى عليها أو تسمى به إليه جيلاً بعد جيل.

أخلاقيات الفقرة في العصر الأخير مقتربة باسم «فودريك بيتش» رسول المسؤوليات بين الصناعات؛ لأنها علامة من علامات الفقرة على نحو من الانداء. وهذه الفضائل، أو المزايا، تقييد أصحابها قوتها كما تسمى فيهم القوقة التي تصدر الذي كاد يعاده بالمسؤوليات أن ينقلب إلى عدوة للإنسان.

فالمسؤوليات لا يرسم ولا ينجز ولا يعرف للضعف نفسها من «الإنسان الأعلى» عنها. فهي محظوظة لما تدل عليه، ولا تؤدي إليه. غير تهبيب الزرارة والإذلال، أو الإيذاء والاستهان، ملاحظة على سلامة النوع أما العظمية واحد والشجاعة فعلا حاجة إليها إلى تفسير عند من يرجعون من عدوى الضعف وعواقب الإبقاء على الضعفاء، وهم في عرف أولى بالاجتناب بالاختلاف جمعها إلى القوة على هذا الأسلوب. لأنها ظاهرة يقوتها معترف بسبب الإعجاب بها بين الأقواء أو الضعفاء.

وقبل الرجوع بالأخلاق المثلى إلى القوة على مذهب هوبيز أو على مذهب رببى - كانت المدرسة البوذية تصر على الأخلاق الفاضلة وسطاً بين طرقين ، لم تمحط طلب الفضيلة على الاعتدال في جميع الأمور والاجاه إلى الحسن من كل خلق على قدر حجمه من الاعتدال .

فالشجاعة وسط بين التهور والجنون ، والكرم وسط بين الإسراف والبخل ، والصبر وسط بين الجمود والجشع ، والحلم وسط بين التردد والبلادة ، والرحمة وسط بين القسوة والخنور . وكل فضيلة على هذا القيد فهو مسألة توسط في المسافة بين عاشقين .

وفي زماننا هذا يغلب على مدارس الأخلاق أنها تدور بالفضل كلها إلى باعث واحد وهو باعث المصلحة الاجتماعية ، أو باعث الغرائز النوعية التي يحصل بها بقاء نوع الإنسان . ومن هذه المدارس ما يحضر المصلحة في الطبيعة الفضالية على المجتمع ، فلا مصلحة للمجتمع كله في الأخلاق الفاضلة التي يحصلها المجتمع في عهد من المهدود ، ولكن المصلحة فيها للطبقة الحاكمة فيه بشروطها وسلطتها . فما تراه حسنا فهو الحسن بالنسبة إليها الاستيقان ، متاعها هوهى إذن سرور الطبقات الأخرى أن تستحسن على المحاكة والتقليل وإن لم يكن لها خير فيه .

● ● ●

والإسلام يعتمد كثيراً من الأخلاق المحمدة في هذه المذاهب ، ولكننا لا نستطيع أن نجمع الأخلاق الإسلامية كأفة في نطاق مذهب منها ، ولا سيما مذهب القوة في فلسفة نيشنه ومذهب الطبقة الاجتماعية في فلسفة الماديين .

فمذهب القوة في رأي نيشنه ينافق جمجم الأديان الإلهية ، وأعلمه يوافق دينا يعتقد أنه دين إله واحد يخسارونه ويختارونه فيسبقه لهم ويعني غيرهم من العالمين . . . ولكنه لا يوافق الأديان التي تدعوا إلى إله واحد للأقواء والضعفاء ، وقد يكون المذهب عذاب القوة في رأي نيشنه هدما لهذه الأديان من قواعدها وافتلاعها لبعضها البعض . إذ لا قيمة للدين مالم يثنى أمام القوة الطاغية قوة تكفيها لهما من جذورها . إذ لا قيمة للدين مالم يثنى أمام القوة الطاغية قوة تكفيها لهما وتنهيها وهي قوة الضمير ، ولا رسالة للدين بين البشر أن لم تكن رسالته أن يرى في فهمه وزاعماً للقوة البدنية وقوة الطامع والشهوات . وقد تعلم الناس دهراً طويلاً أن يأكلوها حلالـ متباعدة تختلف بالباـعـتـ لهاـ وتـخـلـفـ بـقيـمـتهاـ فيـ مـعـابـرـ الـاخـلـاقـ .

حـمـاـيـةـ الـمـرـيـضـ فـيـ حـمـاـيـةـ الـمـرـضـ ، وـإـنـ الـعـنـادـيـةـ بـالـأـرـضـ تـبـولـ عـلـىـ الدـوـامـ إـلـىـ عـلـىـ

بـالـسـيـرـةـ ، وـبـلـيـشـيـرـ مـعـهاـ الصـحـاهـ شـاـبـيـهـ مـعـهاـ الصـابـرـ ، وـبـلـيـشـرـ بـالـسـيـرـ عـلـيـهمـ

أـنـ يـتـبـلـهـاـ إـنـكـارـ ، أـنـ حـمـاـيـةـ الـفـضـيـلـ غـيـرـ حـمـاـيـةـ الـفـضـيـلـ ، وـإـنـ الصـاحـيـةـ بـالـفـضـيـلـ

تـبـولـ إـلـىـ عـلـىـ حـمـاـيـةـ شـامـلـةـ . . . تـبـولـ مـعـهاـ الـفـقـرـ ، وـالـفـقـرـ ، أـوـ بـكـونـ عـادـةـ الـأـقـرـاءـ مـعـهاـ

قـدـ تـبـلـ عـلـىـ فـانـدـةـ الـفـسـخـ . . .

وـنـفـرـ هـوـبـيـزـ الـقـوـةـ لـاـقـرـبـ مـذـهـبـ الـقـوـةـ كـثـيرـ إـلـىـ حـقـيقـةـ الـأـخـلـاقـ الـإـسـلـامـيـةـ .

لـاـنـ إـلـاسـمـ الـإـيمـانـ مـذـهـبـ الـأـخـلـاقـ إـنـهـ حـيـاةـ مـلـوـرـيـةـ أـوـ مـسـقـيـةـ إـلـىـ عـلـلـ، الـقـوـةـ ، بـلـ

يـحـدـدـ مـهـنـهاـ فـيـ كـلـ شـائـنـ مـشـوـنـ الـإـنـسـانـ إـنـهـ وـسـيـلـ إـلـىـ طـلـبـ الـكـسـالـ ، وـيـحـبـ

إـلـىـ إـلـاسـمـ اـسـيـادـ إـنـ يـؤـرـ الـهـرـةـ مـعـ الـكـسـالـ عـلـىـ الـتـلـفـرـ عـلـىـ الـقـوـةـ ، إـلـىـ دـاـنـ الـظـفـرـ وـسـيـلـ

مـنـ وـسـائـلـ الـقـوـةـ الـبـاعـيـةـ الـتـىـ لـاـ تـنـوـرـ عـنـ النـجـاحـ بـكـلـ سـلاحـ .

وـمـذـهـبـ الـفـلـسـفـةـ الـبـيـانـيـةـ يـسـهـلـ بـاـلـىـ مـقـيـاسـ الـأـخـلـاقـ شـبـيـهـ عـقـالـيـسـ

الـهـنـدـسـةـ وـالـمـلـسـابـ بـعـدـ عـنـ تـقـدـيرـ الـعـرـامـ الـنـفـسـيـةـ وـالـقـيـمـ الـبـرـوـجـيـةـ فـيـ الـأـخـلـاقـ

الـعـلـيـاـ عـلـىـ التـخـصـيـصـ . . . وـقـدـ تـصـنـفـ هـذـهـ الـفـلـسـفـةـ إـذـ كـانـ الـمـطـلـوبـ مـنـ إـلـاسـمـ

يـحـسـنـ الـأـخـيـارـ بـالـشـوـصـنـ . . . فـلـيـهـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ يـحـسـنـ الـأـخـيـارـ بـالـشـوـصـنـ . . .

طـرـفـيـنـ مـتـقـابـلـيـنـ كـلـاهـمـ مـلـمـومـ وـمـسـرـوكـ . . . إـلـىـنـاـ لـتـقـولـ مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ أـنـ الـكـرـمـ

يـقـضـيـ فـيـ رـضـيـةـ الـبـخـلـ ، أـوـ نـقـصـ فـيـ رـضـيـةـ الـسـرـفـ ، وـلـاـ تـقـولـ مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ أـنـ

الـكـرـمـ إـذـ أـلـأـمـصـحـ سـرـفاـ ، وـإـنـ السـرـفـ إـذـ يـقـضـيـ فـيـ رـضـيـةـ الـبـخـلـ

الـكـرـمـ كـمـاـ كـبـيرـ ، وـالـقـضـنـ فـيـ السـرـفـ سـرـفاـ قـلـلاـ ، وـلـاـ يـكـونـ الـكـرـمـ أـبـداـ درـجـةـ مـنـ

درجـاتـ السـرـفـ ، وـلـاـ بـخـلـ أـبـداـ درـجـةـ مـنـ درـجـاتـ الـكـرـمـ . . . بـلـ هـىـ أـخـلـاقـ مـتـبـاـعـةـ

فـيـ الـبـاعـثـ مـتـبـاـعـةـ فـيـ الـقـيـمـ ، يـتـقـارـبـ الـطـرفـانـ فـيـهـ أـحـدـهـمـاـ مـنـ الـأـخـرـ ، وـلـاـ

يـتـقـارـبـ الـطـرفـ مـنـ الـمـوـسـطـ كـمـاـ يـظـلـمـ مـنـ قـيـاسـ الـهـنـدـسـةـ لـوـ قـيـاسـ الـمـلـسـابـ .

وـقـدـ رـأـيـاـ فـيـ مـبـاـحـتـ الـعـلـلـ الـنـفـسـيـةـ الـتـىـ كـشـفـهـ الـعـلـمـ الـحـدـيـثـ أـنـ الشـذـوذـ يـقـربـ

بـيـنـ الـسـرـفـيـنـ وـالـبـخـلـيـنـ فـيـ أـعـرـاضـ مـتـبـاـعـةـ ، وـإـنـ الـعـلـةـ الـكـامـنـةـ فـيـ الـتـرـكـيبـ قدـ

يـتـهـلـلـ فـيـ الـأـسـرـةـ الـوـاحـدةـ بـخـلـافـ أـحـدـ الـأـخـرـينـ ، كـرـمـاـ فـيـ أـخـ وـسـرـفاـ فـيـ الـأـخـ

الـأـخـرـ . . . وـتـهـلـلـ فـيـ أـحـدـهـمـاـ هـوـسـاـ بـالـقـدـامـ وـالـقـتـحـامـ ، وـتـهـلـلـ فـيـ أـخـيـهـ هـوـسـاـ بـالـخـنـورـ

وـالـحـيـامـ . . . فـلـأـفـاطـهـ دـاـنـ الـظـفـرـ وـلـفـاطـهـ دـاـنـ الـقـبـيـلـ . . .

وـلـكـهـ حـلـالـقـ مـتـبـاـعـةـ تـخـلـفـ بـالـبـاعـتـ لهاـ وـتـخـلـفـ بـقـيـمـتهاـ فـيـ مـعـابـرـ الـأـخـلـاقـ .

لوجه مذهب الفلسفه البوذية أو مذهب أسطرو على الأصح لا جاز للإنسان أن يطلب المزيد من فضيلة الكرم - مثلاً - لـ أنه يستغل على هذا الرأي إلى زدينه السرف والتبذير. إلا أن زيادة الكرم لا تكون إلا زيادة في فضيلة مشكورة، ولا بد من التفرق بين زيادة الكرم وزيادة المطاع، فلنهاها في الواقع أمران مختلفان، وقد قيل لأخير في السرف ولآخر في الحبر. وفي القول الثاني توضح لازم للقول الأول، لأن زيادة الحبر إلى أقصى حدوده واجبة لأنخرج به عن كونه خيراً محموداً يزداد حمله مع إزيداده، ولا يحسب من السرف على وجه من الوجه .

وأنا يلبس الأمر على أصحاب مدرسة التوسط في جميع الأمور لأنهم ينظرون في تقديم الكرم إلى المال المبذول على مصلحة الباطل في حساب المال، ولا التنسى في الأمور إذا نظروا إلى الباعث والموجب والمصلحة في عمومها ولو ناقشت مصلحة الباطل في بعض الأحيان .

فمن كانت طلاقه أن ينفق ألف دينار ولا يتقاضاه الواجب أو يتقاضاه مصلحته أن ينفق شيئاً فهو سرف مافي ذلك خلاف. لـ أنه يفعل شيئاً يتضرر ولا توجبه عليه مصلحة أكبر من مصلحته . أما إذا كان باعث الإنفاق شيئاً غير مصلحته وغير هو أنه كان حسر المال في بيده ضاراً وخصم المعاقة على الناس وعليه في النهاية - فالكرم أن يزداد في الإنفاق على حسب المصلحة المظني ، وعلى قدر التضييغ وإنكار الناس يكون حظ البطل من الفضيلة الحمودة أو حظه من الحبر الذي لا سرف فيه .

وتصعب المقارنة بين التطرف والتوسط حين تكون المسألة مسألة درجات ولا تكون هناك مقادير تعدد بالأرقام . فإذا ترجحنا فنقول أن الكرم هو الذي يبذل ألف دينار ، وأن المسرف هو الذي يبذل ألفين أو ثلاثة آلاف ، والبخيل هو الذي يبذل مائة أو لا يبذل شيئاً على الإطلاق - فمن هو الشجاع ومن هو التهور ومن هو الجبان ؟ ليست هنا مقادير تعدد بالأرقام . فإذا عرفنا أن الجبان هو الذي يحجم عن الخطير فمن هو الشجاع؟ ومن هو التهور؟ إن التهور ليكون أفضل من الشجاعة إذا قلنا أن التهار قلل الإقدام على الخطير وأن التهور يكتئب الإقدام عليه ، أو قلنا أن درجة الخطير الذي يقدم عليه التهور أعظم من درجة الخطير الذي يقدم عليه الشجاع . ولكننا حين نقول إن الشجاع هو الذي يقدم على الخطير حيث يجب الإقدام عليه نرجع بالفضيلة والربطة إلى مقياس الواجب وتقديره ، وتصبح المسألة هنا مسألة قدرة على فهم

الواجب والعمل به ، ولست مسألة أعداد أو أعداد . . فالتهور والجبن كلاهما عابر عن فهم الواجب والعمل به ، والشجاع هو القادر على الفهم والعمل ، ولا يستقيم في التعبير أنقذ أن يقول أن التهور أكثر شجاعة من الشجاع ، وأن الجبن أقل شجاعة منه ، لأنهما معاً خلو من الشجاعة الواجبة بغير إفراط أو تفريط .

بعد ما في معرفة الأبعاد وماذا يعاب في جمال الوجه - مثلاً - إذا انتهت إلى مثل تلك الغاية في معرفة الصفات؟ إن كلمة من كلمات اللغة العربية العاملة بدلولاها النسبة والذكرية لمهدتها إلى قسطناس الحمد في كل حسنة ملؤرة . فكلمة « تناهياً » حين تقول تناهيك من رجل أو تناهيك من عمل أو تناهيك من خلق - هي قسطناس النهاية فيما تتشدد النفوس الإنسانية من كل فعل منشود . فهو الفضل الذي يتسمى بنا إلى النهاية فلا تنقطع بعده إلى موته .

غير أن مذهب الاعتدال - مع هذا - أقرب للناهيك إلى فهم الأخلاق الحمودة في الإسلام ، على اعتبار أن خلق الاعتدال فضيلة مستقلة تدل على طبع مسلم وعقل شديد يقدر أن الكل عمل قدره ولا ينبعها الاعتدال أن ينبعها به إلى غاية الكمال ، إذا كان له هذا القدر بين قدران الأخلاق .

• • •

ومن مذهب المصلحة الاجتماعي لا ينبعها مكارم الأخلاق الإسلامية كل التأفيضه ولا ينفعها كل المكافحة . إذ مجلس الرأي في الإسلام أن المجتمع يقاوم بالدين وليس وزاراً كانت مصلحة النوع الإنساني أصدق التأنيس للخلل الحمود في الإسلام . ولكن النوع الإنساني يترقى في العلم بمصلحة حقيقة وبعد حقيقة ، ومن حراوه إلى التسفي أن تكون أمهاته أسلمة علياً للأخلاق أرفع من ملوك الأخلاق التي يترسل إليها بغرض جهد وغير رضاة وغير تيبة مفروضة عليه ، يعتقد أنه ينبعها من هو أكبر والربطة إلى مقياس الواجب وتقديره ، وتصبح المسألة هنا مسألة قدرة على فهم

من الإنسان وأحق منه بالطاعة والاصناف إلى هدائه وتعليمه .

[الرموم: ١٠٣]

اللَّذِينَ فِي جَهَنَّمْ مُنْتَى الْمُشْكِرِينَ

لابد من الفضائل الإلهية في تطهير الإنسان مكارم الأخلاق ، وما اكتسب الإنسان أفضل أخلاقه إلا بالإيمان ب مصدر مساوٍ يعلو به عن طبيعته الأرضية .

وهذا هو المقياس الأوفى للكمال الأخلاق في الإسلام . ليس مقياسها الأوفى أنها أخلاق قوة ، ولا أنها أوساط بين أطراف ، ولا أنها تترجمان المنفعة النوع الإنساني بالجمعه في وقت من الأوقات .

ولما مقياسها أنها أخلاق كاملة ، وأن الكمال أقرب من الله . وقد يكون الكمال كالجمال مقياساً غير منافق عليه قابل للتفاوت - بل للتفاضل - كما تتفاوت مقياسات العرف وتفاضل في كثير من المقولات والمحسوسات ... لكننا نقول قوله مفاداً حين نقول أن الإنسان يجب أن يحمل الموجوه ، أو أحمل الشعائير ، أو أحمل الحصال ، وتقول قوله مفاداً حين نضع الكمال في موضع الجمال .

إلا أن الإسلام يقرن مثل الأعلى في كل فضيلة بالصفات الإلهية .
... وله مثل الأعلى ...
... وكل صفة من صفات الله الحسيني محفوظة في القرآن الكريم ، يترسمها المسلم ليبلغ فيها غاية المستطاع في طاقة الخلق .

ولا تكفي نفس إنسانها كما جاء في غيره من موضع من الكتاب المكيم .
ليس للأخلاق الإسلامية مقياس جامع من القوة ، ولا من التوسط بين الأطراف ، ولا من منفعة أمّة قد تناقضها منفعة أمّة غيرها ، ولا من منفعة الأمّ جميعها في عصر يتلوه عصر شبهه منفعة أكرم منها وأحرى بالسعى إليها .
فالدين الإسلامي يعقده وأدائه ، أو بجهاته وتصفيته ، يستحب القهوة للمسلم والمأوم بالعاد عدتها من قدرة الروح والبدن ، ولكنه يستحبها قوة تعطف على الصعب ، وتحسن إلى المسكين واليتيم ، ويعتني قوته تهان بالجبروت والجلا ، ولا يبالى الصعفاء منها غير المهران والإذلال .

إن الله لا يحب كُلَّ مختال فخور
• • •
[العنان: ٢٨] .
[النحل: ٢٢] .
[فليس مني المشكرون] .
[الأنعام: ١٢١] .
[الأعراف: ٢١] .
[وكلوا وَاشْرِبُوا وَلَا تَسْرُفُوا إِنَّ اللَّهَ يَحْبُبُ

وفي العهد الجديد يقول يوحنا الالهوتى فى الإصلاح الرابع من رؤياه :

بعد هذه انفرات وإذابات مفتوحة فى السماء والصوت الأول الذى سمعته كبوة يتكلم معن قائلة: أاصعد إلى هنا فاريك مالا بد أن يغير بعد هذا. وللوقت صررت فى الروت،

وإذ اعرض موضوع فى السماء وعلى العرش جالس. وكان الجالس فى المنظر شبه حسر فى سبيل الحق فلا هواة ولا توسيط هنا بين طرفين، وإنما هو واجب واحد يحمد من

الشيء والمتفق وقوس فرج حول العرش فى المنظر شبه الزمرد وحول العرش أربعة عشر وعشرين عرشا، ورأيت على العروض أربعة وعشرين شيخاً حالسين مستورين بثياب

وأذاعرث عرضه. ومن العرش تخرج برق ورعد وأصوات وأمام عشر وعشرين أكاليل من ذهب. ومن العرش أربعة حيوانات مخلوقة عبيوانا من قدام ومن

العرش سبعة مخلائق تار معتقدة هن سبعة أرواح الله. وقدام العرش بعزم رجاح شبيه البليور، وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مخلوقة عبيوانا من قدام ومن

الحيوان الأول شبه الأسد والحيوان الثاني شبه عجل والحيوان الثالث وجده مثل

الحيوانين :

[الإسراء: ٢٤]

البليور، وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مخلوقة عبيوانا من قدام ومن

الحيوان الرابع شبه نسر طائر.

ولأن الدل هنا زيادة فى الرحمة يأتى من كرمامة فى النفس ولا يأتي من هوان فيها .

وراء، والحيوان الأول شبه الأسد والحيوان الثاني شبه عجل والحيوان الثالث وجده مثل

وحلالك الاعتدال فى الخلق الإسلامى أن المسلم يُؤمر بالعمل للدنياه كما يعلم

لدينه، ويُؤمر بصلاح الجسد كما يُؤمر بصلاح الروح. فلا يكون فى هذه الدنيا

محضا ولا يمكن زيهجا جسدا محضا. ومن أى عليه دينه أن يكون فى هذه الدنيا

زوابياً أذراض. جوج وصاجوج ليجعلهم للحرب وعددهم مثل رمل البحر... فنزلت نار

ويعول فى الإصلاح المشرعين :

«من عند الله من السماء واكتلهم... والبيس الذي كان يفضلهم طرس فى بعيرة النار».

وقد ضلل بعض المغرضين من دعاء الأديان عقولاً كثيرة فى شئى الأقطار حين

والكبriet..... وكل من لم يوجد مكتوبًا فى سفر الحجية طرح فى بعيرة النار.

علم الروح والصفاء .

وقد ضلل بعض المغرضين من دعاء الأديان عقولاً كثيرة فى شئى الأقطار حين

زععوا أن الخطاب بالمحسوسات فى أمر الجنة والنار مقصود على العقيدة الإسلامية،

ويقول فى الإصلاح المادى والمعابر :

وأن المؤمنين بالدين لا يؤتون بالنعم المؤمنين بالقرآن .

شمرأيت سماه جديدة وارضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتها

والأنبياء والقديسين فى جميع الأديان الكتابية قد عثروا المحسوس فى رضوان الله

والبحر لا يوجد فيما بعد، وأنأبيو حثا رأيت المدينة المقدسة أو رشيم الجديدة نازلة من

ورفعوه على هذه الصفة فى كتب العهد القديم والعهد الجديد وفي كتب التراث

والدعوات. ففى العهد القديم يصف أشعهاء يوم الرضوان فى الإصلاح الخامس

فلاتلهاودا مسكن الله مع الناس».

والمعابر من سفره فيقول :

يضع رب الجنود لجميع الشعوب فى هذا الجبل ولهم خمر على دردي

سمائى مختة: دردى مصطفى ويُنس فى هذا الجبل وجهه القباب.. النقاب الذى على كل

عامة العياد بين غمار الدهماء. ومن أشهر هؤلاء الأقطاب العذاريين رجال عاشوا فى

سورية فى القرن الرابع للميلاد وترك بعده ترتيل مقرورة يتغنى بها طلاب التعليم

الشعوب والقطباء المنطوى به على كل الأمم يبلغ الموت إلى الأبد ويسحق السيد رب الدموع

وهو القديس أفرام الذى يقول فى إحدى هذه الترتيل :

ولكن الفطلان فى فضائل الإسلام لا يرجع إلى المقدار والتوضط فيه، بل يرجع إلى الواجب وباعتباره لكل أمر من الأمور. فإذا وجب بذلك المال كله وبدل الحياة معه ولا يصدق هذا على شهون القراءة والكرم وحسب، بل يصلق فى شهون الرحمة والشيء والمقدار فالإسلام على كراهته النذر لا يتعارض بهما طلاق العياد . حيث لم هو أهل لها .

فإلا يذهب فيه إلى أقصده .

وأنا أخصر لهاجا جمال من الرحمة

صفات الله الحسنى كما تجلت فى السماء التي وردت فى القرآن الكريم .
التي ينتدلى بها فى كل مكادم الاخلاق لا يكفى أن ينزلك منها شأو الكمال الالهى .
لكنه يكفى منها ياعنى وسعه كأنها قطب السماء الذي ينتدلى به سلاح البحر وهو

وارأيت ما كان المسلمين يأتونه بالقطط منهم المدحور ويقوس منه العسير تزييمه
ضفائر الماكهة والريحان ... وكل من عرف عن حمر الدنیا تعطشت إليه حمر المندوس،
وكل من عرف عن الدلوارات تافتته المسنان في صدر طاغور ..

الأخلاق التي يهتم بها المسلم بهدلي الأسماء الحسنى كثيرة وأقية يحيى
الفرد الكمال المطلوب لكتابها مع عموم نعمها في حياة الفرد
ومنها: العزة، والقدرة، والملائكة، والكرم، والإحسان، والرحمه، والود،
والغفو، والعدل، والصدق، والحكمة، والرشد، والحفظ، والحلل، والطف،

ولم يبلغ الإسلام هذا المبلغ من التثليل بالمحسوسات ، ولكنه يشفعها بمقتده التي تغعّل المسلم أن يكون جدماً محسناً في دنياه فضلاً عن آخرته ، وينهى المسلم أن ينكر فضائله إلا ما نسب إلى ذلك .

والوسط والصلاحة الاجتماعية في إجميل مطالبيها وأصحابها على هدى الفكر وهدى الفحصير ثم لا تستوعبه مدرسة تجارية من هذه المدارس المفرقة كما تستوعبه مدرسة إلا لأنها مدارس فلكلار، مدارس الأباء.

أو كما جاء الحديث الشريف : «ففيها ملا عن رأى، ولا أذن سمعت، ولا

الآفات الوبية من تناقض المخالق الإلهية، فإصلاحها التزاف من الدين، أو يصلحها أن تقطع عنها لا يصلحها أن تتعادى، فعلاً.

إن أبيب الإسلام يخرج للإنسان إيمانه في خبر له الإيمان

سیاه

ومن عناية الإسلام بالتفصيل والاشتقاق في كل أمر من الأمور أنه يشتمل الأصول
بفروعها في مسائل الأخلاق ووسائل الغرائز والعبادات . . . فمما لا خفاء به أن
الرجل الذي يعرف العزة والصدق واللطف « جناتلما » على أجمل ما تكون

و هذا قسطنطس لا يخطئ في تقويم كل خلق حسن يستحبه الدين في المثلم ، فإنه أمر لا ينسى تحبيب من الحياة الجسدية ، ولكنه مأمور في الوقت نفسه أن ينظر إلى

(٤) - رابع كتاب المذكرة للمرأة المذلف.

«الجنتلمنية» في رأى الرجل المهندب الكريم . ولكن الإسلام يستوفى صفات
يتصف بها لائحة يخاطب الناس كافة ويتوجه بالارشاد إلى أمحاج الناس إليه ، فلابد
الإرشاد إلى الآداب الاجتماعية في أدق تفصيلاتها التي تُحسب من آداب المعامالت
في اللقاء والتحية بين الناس أو في عرف السلوك في المفتر والمخرب .

لا يدخل أحد يبتئأ حتى يستاذن :

«يا أباها الذين أسموا لاده خلوا بسوا غير بيوكم حتى تستاذروا ويسأموا على

أهلاها » [الطور : ٢٧]

ولا يصحى بتحية إلا أجاها بعثتها أو يفضل منها :

« إذا حيتم بتحية فتحورا باحسن منها أو ردوها » [المساء : ٨٦]

ولا يحسن بلاده أن يغفر للناس إلا فولا حسنا :

« وقولوا للناس حسنا » [الغافر : ٨٣]

ولا يحسن به أن يسخر من يصغره ويستطيل عليه :

« لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن
يكونوا خيراً منهم ولا تذمروا أهلكم ولا تذمروا بأذنكم » [الحجرات : ١٠]

ولا يحسن أن يقول عن الناس سوءاً في الخضر أو المغريب :

« ولا تحيسوا ولا يعتب بعضكم بعضاً » [الحجرات : ١٢]

• • •

ولا خفاء بصفات الكمال في القرآن الكريم ، ولكن الإسلام في مجده يتباهى
جنة متسقة تصدر في العناوين والأخلاق من بناء واحد . فمن عرف عقيدة المسلم
عرف أن الحق الذي يحمله الإسلام هو الحق الذي يرتضيه إنسان يؤمن بأن الله
رب العالمين ، وأن النبيوة تعليم لا تتجمّم ، وأن الإنسان مخلوق مكلف على صورة
الله ، وأن الشيطان يغوي الصعيدي ولا يستولى عليه إلا إذا واه زمامه بيده ، وأن
العلم يا ربب أسرة واحدة من خلق الله أكرمه عند الله أتقاها له .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولنا منذ الساعة أن نقول على ثقة أن حملات المخصوص الذين يهاجمون الإسلام صارفة إلى هذا المصير . إلا أنها تنظر إلى قوى معروفة من الباحثين ، ونرى أن فرصة الإسلام في هذه الجولة خلية أن تبعث في الصدر أملاً أكبر من الأمل في مجرد الشباث والصمود . وبخاصة حين تذكر أن العدة التي يعتد بها خصوم الإسلام كما حصلاتهم عليه هي عدة سلبية لا يعتمدون فيها على حجتهم وبيانهم كما يعتقدون فيها على ضعف العقائد عامة في عصر المادية الطاغية على العقول وأوضاعها . فهم ضعفاء يحذرون الحمالة على الإسلام لظنهم أن الشبهات المادية زلاته من داخله وفتحت بين أهل ثغرة ينفذ منها المهاجم وإن ضعف وضعفت معه حجته وبيانه . فإذا اكتشفت هذه الرغوة عن زلتها وعرضت قوى الإسلام فوق خصومه عرضًا يناسب هذا العصر الحديث فالذي يتقدم هو الإسلام ، والذي يريد أو يدعى للحقيقة هو الخصم المستعد للإنفاق .

• • •
يتلقى الإسلام أشد الحمارات في العصر الحاضر من منكريه لأنهم يحتفون بالبشر بدين آخر ، أو من منكريهم ينكرون جميع الأديان . وكذا المتصمين لا يستطيعون أن ينال من الإسلام إما وزن بيانان واحد وأخذل وبعير واحد فيما يؤيدوه وفيما ينكروه من دعوى الإسلام

لا يستطيع البشر المترنف أن ينال من الإسلام بما يدعوه عليه من التحرف والتدويم للأديان التي سبقته ، فإن الإسلام في الإله وفي النبوة وفي الخبر والشر وفى حقوق الإنسان أرفع وأصالح مما جاءت به الأديان التي سبقته إذا ورثت كلها جانبيها مشغولة بخصوصياتها ومتازعاتها بين تحملها ومذاهبيها ، تتجدد للحملة عليه إلا أن تناه布 الغلبة عليه بقوة السلاح ؟
لما حملات العصر الحديث فاهمتها فيما ترى حملات الدولة والسلطان ، وهي الحملات التي شنتها عليه الاستعمار ثم ظهر منها بعد حين أنها لم تقتل فيه قوة المقاومة ولم تمنعه أن يعمد لها في ميدان السياسة والجبلية . مكان صمود الإسلام لعنة الاستعمار إليه من أيام القووة الروسية التي تسعده المتخصصين بها حين تدخلهم فيه السلاح وقوته السياسية وقوه العلم وقوه المال . ولو لم يكن في هذه العقيدة المقدمة سر أعمق جداً من أسرار العقائد الشائعة لما اعتصم المسلمين منها بمعتصم نافع أيام هذه الفتن والملابسات . فإن من هذه العقائد - كالعقيدة في رب العالمين - ما ينقض القوى المضادة عليها مجتمعات .

ولنا إذن أن نقول - على ثقة - إن القضية الروحية بين الإسلام والاستعمار قضية يبلغت حلها المأمول أو كانت أولى تبلغه ، فهي قضية مفروغ منها في هذا القرن العشرين .

وأفة هؤلاء الماديين ضيق الأفق العقلي أو ضيق حظيرة النفس في حالات

التصديق والإنكار .

فهم ينكرون الرسالة النبوية لأنهم لا يقدرون على تصورها في غير الصورة التي

يرفضونها ، وعلهم بذلك لهم أن يتصوروها على هذه الصورة لأنها تتضمن في طيافتهم

مع شهوة الإنكار التي تسلط على عقول المساخاء، ولا سبباً المساخاء من أدعية

.

ولأنهمون بالجهد القديم يؤمنون بما جاء في فيه من دواد علىه السلام، ويؤمنون

.

برسوان الله عنه واختصاصه بالشارة الإلهية من ذريته، ويتقررون ما جاء في

.

الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الثاني عن قصة داود مع القائد «أوروبا»

.

وزوجهه التي يبني بها بعد تعريضه للقتل وهو في خدمته يهجر داره ويجاري بحياته

.

لخارية أعدائه .

يعهم أن قبلوا عقلآه وحسي من عند الله .

فسن حقائق العقل والعلم أن الشكوك لا تجعل فرضاً من الفرض إلا إذا كانت

.

فاطحة في بطلانه، ولا يجوز فيها الاخذ بأحد الرأيين المختلفين .. فما هي شكوكهم

.

التي يروونها على الإسلام فمعنى أن يكون ديناً صالحاً أو ينفع أن يكون ديناً من عند

.

لا يجوز أن ينكره لأ فيه من التعبيرات الرومزية . لأن التعبيرات الرومزية متمثلة

.

ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامة وشرب وأسكنه، وخرج عند المساء ليفسجع

.

في مفجده مع عبيده سيده وإلى بيته لم ينزل . وفي الصباح كتب داود مكتوبها إلى

.

ياوب وأرسله يهد أوروبا وكتب في الكتاب يقول: إجعلوا أوروبا في وجه الحرب

.

الشديدة وارجعوا من رأته فيضرب ويعتبر . وكان في محاصرة يواوب المدينة أنه جعل

.

أوروبا في الموضع الذي علم أن رجال اليأس فيه ... فلما سمعت امرأة أوروبا أنه قد

.

مات زوجها تدبب بعثها . ولما مقتطعت الماتحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له

.

امرأة ولدت له ابنة . وأما الأمر الذي ق فعله داود فنقيح في عيني الرب ..

.

فسن كانت هذه الفحصة في عقیدته لا تغض من النبوة ولا تندىء إلى إكثارها

.

فليس له أن ينكر نبوة رسول الإسلام لما يتعلّم به من أحاديث زواجه ولو صحي منها

.

ولا يجوز لهم أن ينكروه لأن الصور المعقّدة تتدرج في نفهمه والغناذه إلى سره .

.

فمهما ينتهي تدرج الصور في النهاية إلى سر الدين الذي تدين به أحباب بعد

.

فمهما ينتهي تدرج الصور في الأدباء لأنهما لا تدين النقوس إذا توجه بهما

.

أحباب ، وهكذا يمكن الخطاب في الأدباء لأنهما لا تدين الخطاب اليوم لبعض عبيده ولا يغضبهما بيده .

.

إنما الذين يحملون على الإسلام من غير المتدربين فهم جماعة الماديين الذين

.

يمكرون الإسلام لأنهم ينكرون الإسلام لأنهم ينكرون جميع الأديان ، ويفرضون

.

ويجدون الله غير فضول الإيمان بصددوا شئ من الأشياء من عند الله .

ومن ينكر النبوة على صاحب الملة من العدل الماجحة التي يتمثلونها فهو

سرّهم على إنكار ثبات كثيرة يقبلها ولا يشك في مصدرها السماوي ومعاذيرها

الغبية عند الله .

الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الثاني عن قصة داود مع القائد «أوروبا»

وزوجهه التي يبني بها بعد تعريضه للقتل وهو في خدمته يهجر داره ويجاري بحياته

لخارية أعدائه .

يقول راوي القصبة كما جاءت في الإصحاح الخامس عشر من كتاب صموئيل الثاني :

«... قال داود لأوروبا: إقم هنا اليوم أيضاً وغداً المطاقت . فلما قام أوروبا في أول شهرين

ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامة وشرب وأسكنه، وخرج عند المساء ليفسجع

في مفجده مع عبيده سيده وإلى بيته لم ينزل . وفي الصباح كتب داود مكتوبها إلى

ياوب وأرسله يهد أوروبا وكتب في الكتاب يقول: إجعلوا أوروبا في وجه الحرب

.

الشديدة وارجعوا من رأته فيضرب ويعتبر . وكان في محاصرة يواوب المدينة أنه جعل

أوروبا في الموضع الذي علم أن رجال اليأس فيه ... فلما سمعت امرأة أوروبا أنه قد

مات زوجها تدبب بعثها . ولما مقتطعت الماتحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له

امرأة ولدت له ابنة . وأما الأمر الذي فعله داود فنقيح في عيني الرب ..

.

فسن كانت هذه الفحصة في عقیدته لا تغض من النبوة ولا تندىء إلى إكثارها

.

فليس له أن ينكر نبوة رسول الإسلام لما يتعلّم به من أحاديث زواجه ولو صحي منها

.

ولا يجوز لهم أن ينكروه لأن الصور المعقّدة تتدرج في نفهمه والغناذه إلى سره .

.

فمهما ينتهي تدرج الصور في النهاية إلى سر الدين الذي تدين به أحباب بعد

.

فمهما ينتهي تدرج الصور في الأدباء لأنهما لا تدين النقوس إذا توجه بهما

.

أحباب ، وهكذا يمكن الخطاب في الأدباء لأنهما لا تدين الخطاب اليوم لبعض عبيده ولا يغضبهما بيده .

.

إنما الذين يحملون على الإسلام من غير المتدربين فهم جماعة الماديين الذين

.

يمكرون الإسلام لأنهم ينكرون الإسلام لأنهم ينكرون جميع الأديان ، ويفرضون

.

ويجدون الله غير فضول الإيمان بصددوا شئ من الأشياء من عند الله .

الفهرس

الفصل الثالث	
١٠٧	الخطوة
١٠٨	١- الحرية الإسلامية
١٠٩	٢- الأمة
١١٠	٣- الأسرة
١١١	٤- زواج النبي
١١٢	٥- الطبيعة
١١٣	٦- الرق
١١٤	٧- حقوق الحرب
١١٥	٨- حق الإمام
١١٦	الفصل الرابع
١١٧	الأخلاق والأداب
١١٨	خاتمة
١١٩	الفصل الثاني
١٢٠	المعاملات
١٢١	تقديم : بقلم أبو السادات
١٢٢	فاتحة
١٢٣	شهادة الشرف
١٢٤	شهادة المراة
١٢٥	وإذ وفى المسلم بامانة الشكر وعرفان الجميل فلا ينسى أنه مدين لهذا الدين
١٢٦	النبيف يوجد به الرؤوسى ووجوهه المادى فى حاضره الذى وصل إليه بعد عهد شئىء
١٢٧	من عمود الحنة والبلاء ولولا قوية بالغة يعتصم بها المسلم من هذه العروفة الوثقى
١٢٨	لضاع يوجد به الرؤوسى ووجوهه المادى فى غمار عيجه ولا يبقى له على معلم يقاومه ..
١٢٩	ومن حق هذا الدين عليه أن يسلمه إلى الأعقارب قوته يعتصم بها العالم فى
١٣٠	مستقبله بين زناعي المحن التي ابتليت بها الإنسانية فى هذا الزمن العصيب .. لعله
١٣١	من تعييب هذا الميراث فى عدهه الغريب أن يكون مصادقاً لزبورة الإسلام بحكمته
١٣٢	جل وعلا فى خلق عباده شعورياً وسائل متقرفين ، وجعل هذا الدين القويم الذي دعا
١٣٣	أول دعوه إلى رب العالمين أن يكون دين الشعوب والأمم معترفين متسللين مسلمين .
١٣٤	ولا تكون أمانة الدين يوملا سياسة حسنة تخدم بها نعمن المسلمين حاضرنا
١٣٥	ومصيرنا ، بل هو الإيمان برب الله كما تتجلى طلاقه يواديه كل من عرفها بقدار
١٣٦	ما عرف منها ، وسيذكرها كل من ينجو بها من أمم العالم فيذكر الرسالة الإلهية التي
١٣٧	تفتح باسم الله الرحمن الرحيم وتختتم بمحمد الله رب العالمين .

له على حسب الاستعداد بين الأجيال والأمم . وأنه لعقل بديع ذلك العقل الذي يذكر الشئ ، ثم لا يستطيع أن يتصوره حقا إلا على الصورة التي انكرها ...